

كِتَابُ

الْأَسْبَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تأليف

(الامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم)

(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

اجتني بطبعه وتصحيحه وشرح بعض مسائله مع كلماته اللغوية

محمداً بن محمد

(حقوق الطبع محفوظة)

سنة ١٣٢٢ هجرية — سنة ١٩٠٤ م

مطبعة النيل بشارع محمد علي بدار المنجمه بمصر

jabir.abbas@yahoo.com

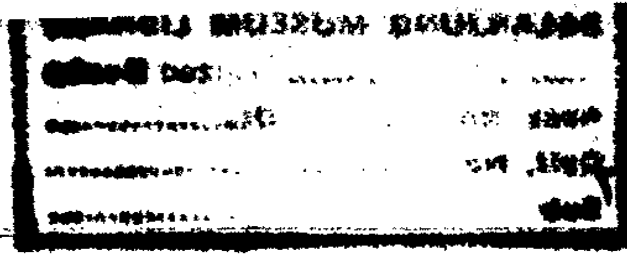
Page No	Di
Call. No	
Sub	٢٠٨٨

فهرست

﴿ كتاب الامامة والسياسة ﴾

(للامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري)

صفحة	مقدمة الناشر وترجمة المؤلف	صفحة
٣٤	قتل عمر بن الخطاب	١
٣٨	تولية عمر بن الخطاب الستة	١
٤٣	الشورى وعهده اليهم	٣
٤٦	ذكر الشورى وبيعة عثمان بن عفان	٧
٤٩	ذكر الانكار على عثمان	١٣
٥٣	ذكر القول والمجادلة لعثمان ومعاوية	١٤
٥٨	ما انكر الناس على عثمان رحمه الله	١٦
٦١	حصار عثمان رضي الله عنه	١٨
٦٣	تولية محمد بن أبي بكر على مصر	٢٠
٦٤	حصار أهل مصر والكوفة عثمان	٢٧
٦٤	مخاطبة عثمان من أعلى القصر	٢٩
٧٢	طلحة وأهل الكوفة وغيرهم	٣٣
٧٥	قتل عثمان وكيف كان	
٧٧	دفن عثمان رضي الله عنه	
٨٥	بيعة على وكيف كانت	
	خطبة على بن أبي طالب	



صحيفة	صحيفة
٨٦	اختلاف الزبير وطلحة على علي
٨٨	خلاف عائشة على علي
٨٩	اعتزال عبد الله بن عمرو وسعد
١١٧	ابن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة
١٢٢	عن مشاهدة علي وحروبه
١٢٤	مخاطبة علي لطلحة بين الصفيين
١٢٦	مروب مروان بن الحكم
١٣٣	من المدينة
١٣٥	خروج علي من المدينة
١٣٥	كتاب ام مسلمة الى عائشة
١٣٧	استنفار عدي بن حاتم قومه
١٤١	لنصرة علي كرم الله وجهه
١٤٣	استنفار زفر بن زيد قومه
١٤٣	لنصرة علي كرم الله وجهه
١٤٣	توجه عائشة وطلحة والزبير
١٤٤	الى البصرة وكتبهم الى القوم
١٤٤	نزول طلحة والزبير وعائشة
١٤٥	البصرة
١٤٥	نزول علي بن أبي طالب الكوفة
١٤٦	دخول طلحة والزبير وعائشة
١٤٧	البصرة
١٤٨	قتل أصحاب عثمان بن حنيف

صحيفة	صحيفة
١٤٨ ما أشار به الاشر على على	١٥٩ قدوم عمرو الى معاوية
١٤٩ كتاب على الى جرير بن عبدالله	١٦٠ مشورة معاوية عمراً
١٥٠ خطبة زفر بن قيس	١٦٢ كتاب معاوية الى أهل مكة
١٥٠ خطبة جرير بن عبدالله البجلي	والمدينة وجوابهما
١٥١ كتاب على الى الاشعث بن قيس	١٦٣ كتاب معاوية الى ابن عمر
١٥٢ خطبة زياد بن كعب	١٦٤ " " " سعد بن أبي
١٥٢ خطبة الاشعث — مشورة	وقاص . وجوابه
الاشعث ثقاه في الحقوق بمعاوية	١٦٥ كتاب معاوية الى محمد بن
١٥٣ كتاب جرير الى الاشعث	مسلمة الانصاري . وجوابه
١٥٣ ارسال على جريراً الى معاوية	١٦٦ كتاب معاوية الى على
١٥٤ كتاب على الى معاوية مرة ثانية	١٦٧ جواب على الى معاوية
١٥٥ قدوم جرير الى معاوية	١٦٨ قدوم عبيد الله بن عمر على معاوية
١٥٥ اشارة الناس على عليّ بالمقام	١٦٨ تعبئة معاوية أهل الشام لقتال علي
بالكوفة	١٧٠ " عليّ أهل العراق للقتال
١٥٦ مشورة معاوية أهل ثقته	١٧١ منع معاوية الماء من أصحاب على
١٥٦ كتاب معاوية الى عمرو بن العاص	١٧٢ غلبة أصحاب عليّ على الماء
١٥٧ ما سأل معاوية من على من	١٧٣ دعاء على معاوية الى البراز
الاقرار بالشام ومصر	١٧٤ براز عمرو بن العاص لعلي
١٥٧ كتاب علي الى جرير	١٧٤ قطع الميرة من أهل الشام
١٥٨ استشارة عمرو بن العاص	١٧٥ قدوم أبي هريرة وأبي الدرداء
ابنيه ومواليه	على معاوية وعلى

صحيفة	صحيفة
١٧٧ وقوع عمرو بن العاص في علي	١٩٤ مقال الحصين بن المنذر
١٧٨ كتاب معاوية الى أبي أيوب	١٩٥ « عثمان بن حنيف
الانصاري • وجوابه له	١٩٥ « عدي بن حاتم
١٧٩ ما خاطب به النعمان بن بشير	١٩٦ « عبد الله بن حنبل
قيس بن سعد	١٩٧ « صعصعة بن صوحان
١٨٠ كتاب عمرو الى ابن عباس	١٩٨ « المنذر بن الجارود
وجوابه	١٩٨ « الاحنف بن قيس
١٨٢ أمر معاوية مروان بحرب الاشتر	١٩٨ « عمير بن عطار
١٨٣ كتاب معاوية الى ابن عباس	١٩٩ خطبة علي رضي الله عنه
وجوابه	١٩٩ نداء أهل الشام واستغاثتهم علياً
١٨٥ خطبة علي كرم الله وجهه	٢٠٠ ما أشار به عدي بن حاتم
١٨٦ قدوم ابن أبي محجن على معاوية	٢٠٠ مقال عمرو بن الحلق
١٨٧ رفع أهل الشام المصاحف	٢٠١ « الأشعث بن قيس
١٨٨ ما تكلم به عبد الله بن عمرو	٢٠١ « عبد الرحمن بن الحارث
وأهل العراق	٢٠١ ما رآه علي كرم الله وجهه
١٨٩ ما خاطب به عتبة الاشعث	٢٠٢ مقال عمار بن ياسر
١٩٠ كتاب معاوية الى علي	٢٠٢ قتل « « «
١٩٢ اختلاف أهل العراق في المواعدة	٢٠٣ هزيمة أهل الشام
١٩٣ ماردة كردوس علي علي	٢٠٥ مقال الاشعث
١٩٣ مقاله سفيان بن ثور	٢٠٦ « عثمان بن حنيف
١٩٤ مقال خالد بن معمر	٢٠٦ « الاشتر وقيس بن سعد

صحيفة	صحيفة
٢٠٧ ذكر الاتفاق علي الصلح ٢٢٢ كتاب معاوية الى أبي موسى وارسال الحكمين	٢٠٧
٢٠٨ اختلاف أهل العراق في ٢٢٣ كتاب علي الى أبي موسى وجوابه الحكمين	٢٠٨
٢٠٩ مقال أهل الشام لأهل العراق ٢٢٧ خطبة علي كرم الله وجهه	٢٠٩
٢١٠ « الأخف بن قيس ٢٢٨ كتاب علي للخوارج » وجوابه	٢١٠
٢١٠ « علي كرم الله وجهه ٢٢٩ كتاب علي الى ابن عباس	٢١٠
٢١١ الاختلاف في كتاب صحيفة ٢٢٩ مقال ابن عباس الى أهل البصرة الصلح .	٢١١
٢١٣ ماوصى به شرح بن هاني ٢٣٢ « علي في الحتمى	٢١٣
أبا موسى الأشعري ٢٣٣ اجتماع علي للذهاب الى صفين	٢١٣
٢١٤ ماوصى به الأخف بن قيس ٢٣٤ مسير علي الى الخوارج ومقال لهم	٢١٤
أبا موسى ٢٣٦ قتل الخوارج	٢١٤
٢١٤ مقال معاوية لعمر ٢٣٨ خطبة علي كرم الله وجهه	٢١٤
٢١٥ « مقال شرحيل لعمر ٢٤٥ ما كتب علي لأهل العراق	٢١٥
٢١٥ اجتماع أبي موسى وعمر ٢٥٣ مقتل علي عليه السلام	٢١٥
٢١٦ مقال سعيد بن قيس للحكمين ٢٥٩ بيعة الحسن لمعاوية »	٢١٦
٢١٦ « عدي بن حاتم لعمر ٢٦٠ انكار سليمان بن صرد للبيعة	٢١٦
٢١٧ « عمرو لابن موسى ٢٦٢ كراهية الحسين للبيعة	٢١٧
٢٢١ كتاب ابن عمر الى أبي موسى ٢٦٢ ما أشار به المغيرة علي معاوية وجوابه	٢٢١
	من البيعة ليزيد

(تمت)

﴿ الخطأ والصواب ﴾

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
صاحبك	صاحبك	۸	۲
متوكئاً	متوكا	۱۰	۴
مؤثرين	مؤثرون	۱۴	۹
أقوى	أقوره	۴	۱۶
بشير بن سعد	قنيس بن سعد	۱۶	۱۶
لتوجيه	لتوحيد	۳	۲۷
سمعت	سمعت	۹	۳۹
يستقد	يسقتد	۱۶	۶۹
فه هل	هل فه	۳	۱۳۶
الربذة	الربدة	۳	۱۳۷
اقض	اقضى	۶	۱۴۶
سروره	سروه	۷	۱۶۰
شبت	شبيب	۱۳	۲۰۸
تعطه	تعطيه	۶	۲۱۴
يداه ورجلاه واذناه	يديه ورجليه واذنيه	۱۲	۲۵۶
عن الآباء	على الآباء	۱۵	۲۷۴
الحسين	الحسن	۱	۲۸۲

jabir.abbas@yahoo.com

۞

jabir.abbas@yahoo.com

فهرست

﴿ الجزء الثاني من كتاب الامامة والسياسة ﴾

صفحة	موضوع	صفحة
٢	ذكر اختلاف الرواة في اوقعة	٢٣
٤	الحرة وخبر يزيد	٢٤
٧	ولاية الوليد المدينة وخروج الحسين بن علي	٢٥
١٠	قتال عمرو بن سعيد الحسين	٢٧
١١	وقته	٢٨
١٦	قدوم من أسر من آل علي	٣٥
١٧	علي يزيد	٣٧
١٩	اخراج بني أمية عن المدينة	٣٨
٢٠	وقتل أهل الحرة	٣٩
٢٢	حرب ابن الزبير	٤٢
	خلافة معاوية بن يزيد	٤٣
	غلبة ابن الزبير وظهوره	
	حريق الكعبة	
	اختلاف أهل الشام على ابن	

صفحة	موضوع	صفحة
٤٥	حرب ابن الزبير وقتله	١٠٣ كتاب عبدالعزیز بالفتح وجوابه
٤٨	ولاية الحجاج على العراقيين	١٠٤ فتح هواراة وزناته وكتامه
٥١	خروج عبدالرحمن بن الأشعث	١٠٥ فتح صنهاجه
	علي الحجاج	١٠٦ بالفتح سجوناً
٥٢	ذكر الاعرابي والغضبان	١٠٨ قدوم الفتح على عبد الملك
٥٦	حرب الحجاج مع ابن الأشعث	١١٠ غزوة موسى بن نصير في البحر
	وقته	١١٣ غزوة السوس الاقصى
٨٠	قتل سعيد بن جبير	١١٣ قدوم الفتوحات على الوليد
٨٦	ذكر بيعة الوليد وسليمان ابني	١١٤ الحيلة في فتح قلعة ارساف
	عبد الملك	١١٥ فتح الاندلس
٩٠	موت عبد الملك وبيعة الوليد	١١٩ اتهام الوليد موسي بالخلع
٩٤	تولية موسى بن نصير البصرة	١٢٠ دخول وفد موسي على الوليد
٩٦	دخول موسى على عبد الملك	١٢٠ ما وجد موسي في البيت الذي
٩٦	تولية موسى على افريقية	وجد فيه المائدة مع صور العرب
٩٨	خطبة موسى بن نصير	١٢٢ ذكر ما أفاة الله عليهم
٩٩	دخول موسى بن نصير افريقية	١٢٤ غزوة موسى البشكيس والافرنج
٩٩	خطبة موسى بن نصير بافريقية	١٢٨ خروج موسى من الاندلس
١٠٠	فتح زغوان	١٢٩ قدوم موسى افريقية
١٠١	قدوم كتاب الفتح على عبد	١٣٠ » » الى مضر
	العزیز بن مروان	١٣١ » » على الوليد
١٠٢	انكار عبد الملك تولية موسى	١٣٢ خلافة سليمان وما صنع بموسي

صحيفة	صحيفة
١٣٤ - عدد موالى موسى بن نصير	ابن عبد العزيز
١٣٥ - مارآه موسى بالمغرب من العجائب	١٨٢ أيام عمر بن عبد العزيز
١٣٩ - تولية سليمان بن عبد الملك أخاه	١٨٤ ذكر قدوم جرير على عمر بن عبد العزيز
١٤٠ - مسألة وما أشار به موسى عليه	١٨٧ دخول الخوارج على عمر
١٤١ - قدوم موسى على الوليد	١٩٠ وفاة عمر بن عبد العزيز
١٤٣ - اختلاف الثاقلين في صنع سليمان	١٩١ ذكر رؤيا « « « «
ابن عبد الملك بموسى بن نصير	١٩٥ ما علم به موت عمر في الامصار
١٤٦ - نسخة القضية	١٩٧ ولاية يزيد بن عبد الملك
١٤٨ - ذكر يد موسى الى المهلب	١٩٨ ولاية هشام بن عبد الملك
١٥٠ - قتل عبد العزيز بن موسى	١٩٩ قدوم خالد بن صفوان على هشام
بالاندلس	٢٠٧ بدء الفتن والدولة العباسية
١٥٣ - قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان	٢٠٩ دخول محمد بن عليّ على هشام
١٥٧ - سؤال سليمان موسى عن اخباره وأفعاله	٢١٠ ولاية الوليد بن يزيد وفتن الدولة
١٦٣ - ولاية الاندلس بعد موسى	٢١٢ قتل خالد بن عبدالله القسري
١٦٥ - ما قال طاووس اليماني لسليمان	٢١٣ وثوب أهل دمشق على الوليد
بمكة	ابن يزيد وقتله
١٦٦ - ما قال أبو حازم لسليمان	٢١٦ ولاية مروان بن محمد
١٧٥ - وفاة سليمان واستخلافه عمر	٢١٧ خروج أبي مسلم الخراساني
	٢٢٢ ما أمال أصحاب الكرماني الى أبي مسلم الخراساني

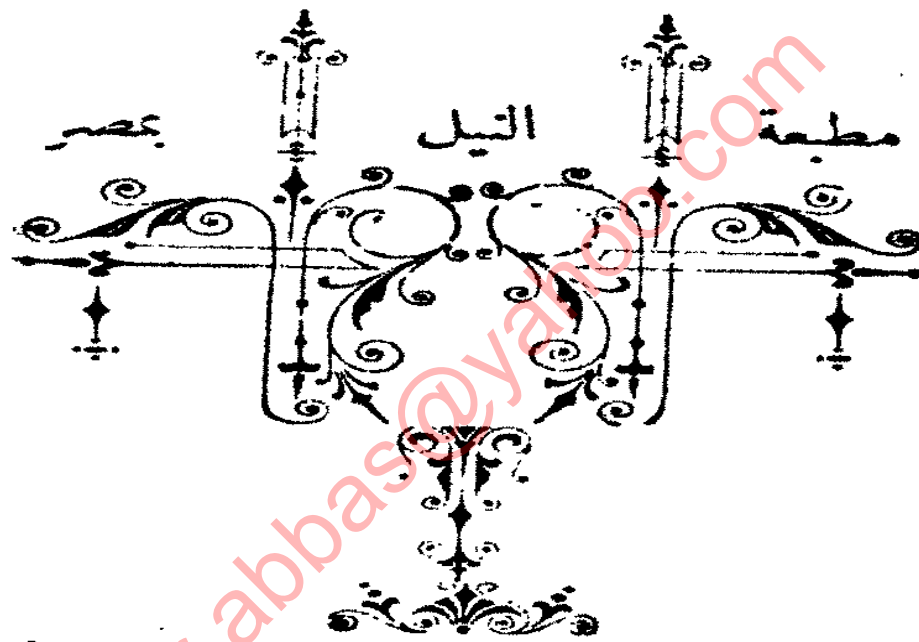
صحيفة	صحيفة
٢٢٥ بولية ابي مسلم قطبة بن	٢٥٧ قتل ابي مسلم الخراساني
شيب قتال مروان	٢٦٠ ثورة عيسى بن زيد بن الحسين
٢٢٥ ذكر البيعة لابي العباس بالكوفة	٢٦١ هروب مالك بن الهيثم
٢٢٦ حرب مروان بن محمد وقله	٢٦٥ خروج شريك بن عون على ابي جعفر وخلعه
٢٣١ قتل ابي سلمة المخلال	
٢٣٢ قتل رجال بني أمية بالشام	٢٦٥ اجتماع شيب بن شبة مع ابي جعفر قبل ولايته وبعدها
ومرو ب عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس	٢٧١ ذكر حج ابي جعفر ولقائه مالك بن انس وما قال له
٢٣٥ قتل سايمان بن هشام	
٢٣٧ خروج السفاح على ابي العباس	٢٧٣ دخول سفيان الثوري وسليمان الخواص على ابي جعفر
٢٣٨ اختلاف ابي مسلم على ابي العباس	٢٧٥ دخول ابن ابي ذؤيب ومالك وابن سميان على ابي جعفر
٢٤٠ قتال ابن هيرة وأخذه	
٢٤٢ كتاب الامان لابن هيرة	٢٧٨ كتاب عيد الله العمري الى ابي جعفر . وجوابه له
٢٤٦ قدوم ابن هيرة على ابي العباس	٢٨٠ اجتماع ابي جعفر مع عبد الله ابن مرزوق
٢٤٨ قتل ابن هيرة	
٢٥٢ اختلاف ابي مسلم على ابي العباس	
٢٥٣ كتاب ابي مسلم الى ابي جعفر	٢٨٢ ذكر مانال مالك بن انس من جعفر بن سايمان
وقد هم بالحلح	
٢٥٥ موت ابي العباس السفاح	٢٨٤ انكار ابي جعفر لضرب مالك
واستخلاف ابي جعفر المنصور	٢٨٤ دخول مالك على ابي جعفر

صفحة	مقالة	صفحة
٢٨٧	ماقال ابو جعفر لعبد العزيز	٣٠١
٢٨٨	ابن ابى رواد	٣١٤
٢٨٨	قدوم المهدي الى المدينة	٣١٨
٢٨٨	موت ابى جعفر المنصور	٣٢٤
٢٩٠	استخلاف المهدي	٣٣١
٢٩٢	استخلاف هارون الرشيد	٣٣٦
٢٩٧	قدوم الرشيد المدينة	٣٣٦
	مسير الرشيد الى الفضل بن	٣٣٦
	عياض	٣٣٦

(تمت)

﴿ الجزء الثاني ﴾

صحيفة	سطر	خطاً	صواب
٣	١٧	اجلسك	اجلسك
٩	٢	من رأيت	ابن زانية
١٧	٦	مدرة	مدرة
١٨٣	١	الى لحاضر	انى لحاضر
١١٦	٩	انذراً	انذراً
٢٦٦	٦	بصري	يبصري
٢٧٠	١	أصبحنا	اصحبنا
٣٢٠	٢	يعقدها جهلاً	يعقد بها جهلاً
٣٢٠	٣	سامة	سامة



كِتَابُ

الْإِسْبَاحِ

تأليف

(الامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم)

(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

اعتني بطبعه وتصحيحه وشرح بعض مسائله مع كلماته اللغوية

محمداً بن محمد

(حقوق الطبع محفوظة)

سنة ١٣٢٢ هجرية — سنة ١٩٠٤ م

مطبعة النيل بشارع محمد علي بدرب المنجمة بمصر

﴿ مقدمة ناشر الكتاب ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد
امام المتقين وخاتم النبيين . وعلى آله مصاييح الايمان وخلفائه
ملاذ الاسلام ومن تبعهم باحسان . اما بعد فقد تعلقت يدي
بهذا الكتاب المستطاب فوضعتها منه على ثمرة غضة جنية مازال
يشتهيها منذ القدم كل أديب وعالم لبيب . وجدته فريداً في بابه
حسناً في اسلوبه لم يكن في موضوعه مثله . فقد جمع فيه مؤلفه
رحمه الله من طرائف الاخبار ونوادر التاريخ فيما يتعلق بمسائل
الامامة وما وقع ايام الصحابة والمتقدمين رضوان الله عليهم من
ضروب الآراء ونقط السياسة المهمة في تولية كل خليفة مع
ما اختاره في اثناء ذلك من الخطب الشريفة والرسائل البديعة
والكلم النوابع مما صار به حاجة الادباء وحجة العلماء وذلك انه
سلك فيه مسلكاً ينبغي ان لا يغفل عنه طالب البدائع وخاطب
الحكم الروائع . ولا يخفى ما لابن قتيبة رحمه الله وطيب ثراه من
بعد النظر وسعة الاطلاع ووفرة المادة مع اسلوب في الكتابة

جارع ونوع من التعبير خلوب رائع . حتي ان قارئ هذا الكتاب
ليجد فيه من كل مطالبه معاني والفاظاً

ولذلك آثرنا طبعه وعممنا نفعه رغبة في انتشار المعلوم
يعد ان صححناه تصحيحاً وافياً وضبطاً شافياً وتحريماً فيما أثبتنا
من أسماء الرجال واسناد الروايات الدقة وعلقنا عليه حلاً لطيفاً
مفيداً لما يلزم بيانه . وقد صدرناه بلمعة من تاريخ المؤلف ايذاناً
بفضله وطول باعه رحمه الله . هذا ونسأل الله التيسير في الامور
والعصمة من الزلل والتوفيق الى الصواب

محمد محمود الرافي



﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو ابو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي صاحب كتاب المعارف وأدب المكاتب. كان فاضلاً ثقة سكن بغداد وحدث بها عن اسحاق بن راهويه وأبي اسحاق ابراهيم ابن سفيان الزياتي وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة. وروى عنه ابنه أحمد وابن درستويه وتصانيفه كلها مفيدة منها ما تقدم ذكره ومنها: تفسير القرآن الكريم وغريب الحديث وعيون الاخبار ومشكل الحديث وطبقات الشعراء وكتاب التفقيه وكتاب الخيل وكتاب اعراب القراءات وكتاب الانواء وكتاب المسائل والجوابات وكتاب الميسر والقдах وغير ذلك. وقيل ان اياه مروزي واما هو فمولده ببغداد وقيل بالكوفة واقام بالدينور مدة قاضيا فنسب اليها وكانت ولادته سنة ثلاث عشر ومائتين وتوفي في ذي القعدة سنة سبعين وقيل في رجب سنة ست وسبعين ومائتين وكانت وفاته فجأة صاح صيحة سمعت من بعد ثم اغمى عليه ومات رحمه الله وقتيبة وهي تصغير قتبة وهي واحدة الأتّاب والاقتاب الأمعاء وبها سعى الرجل. والدينوري نسبة الى دينور وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين خرج منها خلق كثير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❦ قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى ❦
 نفتتح كلامنا بحمد الله تعالى ونقدس ربنا بذكره والثناء عليه
 لا إله إلا هو لا شريك له الذي اتخذ الحمد لنفسه ذكراً. ورضي
 به من عباده شكراً. وصلى الله على سيدنا محمد الذي أرسله
 بالهدى. وختم به رسل الله السعداء. صلاة زاكية وسلم تسليماً
 كثيراً أبداً

❦ فضل أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ❦
 حدثنا ابن أبي مریم قال حدثنا أسد بن موسى قال
 حدثنا وكيع عن يونس بن أبي اسحاق عن الشعبي عن علي بن
 أبي طالب كرم الله وجهه قال : كنت جالسا عند رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما
 فقال عليه السلام : هذان سيدا كهول أهل الجنة من
 الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين عليهم السلام ولا
 تخبرهما يا علي . حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني رضي الله عنه

عن محمد بن حواش الحنفي قال حدثنا ابن المبارك عن عمر
ابن سعيد عن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس رضي الله عنه
يقول: وُضع عمر رضي الله عنه على سريره فتكفّفه الناس يدعون
ويصلون قبل أن يرفع فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي
من ورائي فالتفت فإذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يترحم
على عمر رضي الله عنه وقال: والله ما خلفت أحداً أحب إليّ
أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك يا عمر . وأيم الله ان كنت
لأرجو أن يجعلك مع صاحبك وذاك اني كنت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر
وكنتم أنا وأبو بكر وعمر واني كنت لأظن أن يجعلك الله
تعالى معهما . وأخبرنا ابن أبي شيبة قال حدثنا يزيد بن الحُبَاب
عن موسى بن عبيد قال أخبرني أبو معاذ وأبو الخطاب عن
علي رضي الله عنه قال : بينما أنا جالس مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال يا عليّ
هذان سيدا كهول أهل الجنة إلا ما كان من الأنبياء عليهم
السلام ولا تخبرهما . حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الله بن عبد
الله العلي عن القاسم بن أبي عبد الرحمن رضي الله عنهما ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد هممت أن أبعث إلى الأمم رجالاً يدعوهم إلى الإسلام ويرغبونهم في الدين فابعث أبي ابن كعب وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل كما فعل عيسى ابن مريم عليهما السلام . فقالوا يا رسول الله أفلا تبعث أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم : هما لا بدلي منهما ! هما مني بمنزلة السمع والبصر . وحدثنا قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا محمد بن الزبير قال أرسلني عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى أسأله أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر رضي الله عنه . فأتيته فاستوى جالساً وقال : أي والذي لا إله إلا هو استخلفه وهو كان أعلم بالله تعالى وأتقى لله تعالى من أن يتوثب عليهم لو لم يأمره ﴿ استخلاف رسول الله أبا بكر رضي الله عنه ﴾

عن ابن أبي مريم قال حدثنا العرياني عن أبي عون بن عمرو بن تيم الانصاري رضي الله عنه وحدثنا سعيد بن كثير عن عفير بن عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والانصار وبعضهم

يزيد على بعض في الكلام فجملت ذلك وألقت على معنى حديثهم ومجاز لغتهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي قبض فيه متوكاً على الفضل بن العباس رضي الله عنهما و غلام يقال له ثوبان رضي الله عنه ثم رجع صلى الله عليه وسلم فدخل منزله وقال لغلامه اجلس على الباب ولا تعجب أحداً من الانصار رضي الله عنهم فأحدقوا بالباب وقالوا للغلام أئذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عنده نساؤه رضي الله تعالى عنهن فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهم فقال من هؤلاء فقيل له الانصار رضي الله عنهم سيكون نخرج صلى الله عليه وسلم متوكاً على عليّ والعباس رضي الله عنهما فدخل المسجد واجتمع الناس اليه فقال صلى الله عليه وسلم : إنه لم يمت نبي قط الا خلف وراءه تركة وان تركتي فيكم الانصار رضي الله عنهم وهم كرشى التي آوى اليها. أوصيكم بتقوى الله تعالى والاحسان اليهم فقد علمتم أنهم شاطروكم وواسوكم في السر والسر ونصروكم في النشاط والكسل فاعرفوا لهم حقهم واقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله

وثنّا نعبدہ . وقال قائل : ندفنه صلى الله عليه وسلم في البقيع
حيث دفن إخوانه من المهاجرين والانصار فقال أبو بكر انا
نكره أن نخرج قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين
أظهرنا الى البقيع قالوا فما ترى يا أبا بكر قال سمعته صلى الله
عليه وسلم يقول : ما قبض نبي قط الا دفن جسده حيث قبض
روحه . قالوا فأنت والله رضى ومقنع وكان العباس بن عبد
المطلب رضى الله تعالى عنه قد لقي علياً كرم الله وجهه فقال
ان النبي صلى الله عليه وسلم يقبض فاسأله ان كان الامر لنا بينه
وان كان لغيرنا أوصى بنا خيراً فلما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال العباس لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه أبسط
يدك أبايعك فيقال عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن
عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويايعك أهل بيتك فان
هذا الامر اذا كان لم يُقال . فقال له علي كرم الله وجهه : ومن
يطلب هذا الامر غيرنا وقد كان العباس رضى الله عنه لقي أبا
بكر فقال هل أوصاك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ قال :
لا . ولقي العباس أيضاً عمر فقال له مثل ذلك فقال عمر : لا . فقال
العباس لعلي رضى الله عنه : أبسط يدك أبايعك ويايعك أهل بيتك

^

لدينه والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على من يخلف عنه
منكم وأثقله على عدوكم من غيركم حتى استقاموا لأمر الله تعالى
طوعاً وكرهاً وأعطى البعيدُ المقادة صاغراً داحراً حتى أثنى
الله تعالى لنبيه بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب توفاه
الله تعالى وهو راضٍ عنكم قرير العين فشدوا أيديكم بهذا الأمر
فانكم أحق الناس وأولاهم به فأجابوه جميعاً أن قد وفقت في
الرأي وأصبحت في القول وكفى بعد ذلك ما رأيت بتوليتك
هذا الأمر فأنت مقنع ولصالح المؤمنين رضى . قال فأثنى الخبر
الى أبي بكر رضى الله عنه ففزع أشد الفزع وقام معه عمر
رضى الله عنهما نخرجا مسرعين الى سقيفة بني ساعدة فلقيا أبا
عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فانطلقوا رضى الله عنهم جميعاً
حتى دخلوا سقيفة بني ساعدة وفيها رجال من الإشراف معهم
سعد بن عباد رضى الله عنه فاراد عمر رضى الله عنه أن
يبدأ بالكلام وقال : خشيت أن يقصر أبو بكر رضى الله عنه
عن بعض الكلام فلما تيسر عمر للكلام تجوز أبو بكر رضى
الله عنه وقال له : على رسلك فستكفى الكلام فتشهد أبو
بكر رضى الله عنه وانتصب له الناس فقال : ان الله جل ثناؤه

يَٰمُحَمَّدَا صَلِّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلِّمْ بِالْهُدٰى وَدِيْنِ الْحَقِّ قَدْ عَاىِى
 الْاِسْلَامَ فَاُخِذَ اللّٰهُ تَعَالٰى بِنَوَاصِيْنَا وَقُلُوْبُنَا اِلٰى مَا دَعَا اِلَيْهِ
 فَكُنَّا مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِيْنَ اَوَّلَ النَّاسِ اِسْلَامًا وَالنَّاسِ لِنَافِيْهِ تَبِعَ
 وَنَحْنُ عَشِيْرَةُ رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلِّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلِّمْ وَنَحْنُ مَعَ ذٰلِكَ
 اَوْسَطُ الْعَرَبِ اَنْسَابًا لَيْسَتْ قَبِيْلَةٌ مِّنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ اِلَّا وَلَقَرِيْشٌ
 فِيْهَا وَلَادَةٌ وَاَنْتُمْ اَيْضًا وَاللّٰهُ الَّذِيْنَ اَوَّٰا وَنَصَرُوْا وَاَنْتُمْ وَزَرَاؤُنَا
 فِي الدِّيْنِ وَوَزَرَاءُ رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلِّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلِّمْ وَاَنْتُمْ اِخْوَانُنَا
 فِي كِتَابِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَشُرَكَآؤُنَا فِي دِيْنِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِيْمَا كُنَّا
 فِيْهِ مِّنْ سِرٍّ وَّضَرٍّ وَاللّٰهُ مَا كُنَّا فِيْ خَيْرٍ قَطُّ اِلَّا كُنْتُمْ مَعَنَا
 فِيْهِ فَاَنْتُمْ اَحَبُّ النَّاسِ اِلَيْنَا وَاَكْرَمُهُمْ عَلَيْنَا . وَاَحَقُّ النَّاسِ
 بِالرِّضٰى بِقَضَاءِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَالتَّسْلِيْمِ لِاَمْرِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا سَاقَ
 لَكُمْ وَاِخْوَانِكُمُ الْمُهَاجِرِيْنَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَاَحَقُّ النَّاسِ
 فَلَا تَحْسَدُوْهُمْ وَاَنْتُمْ الْمُؤَثَّرُوْنَ عَلٰى اَنْفُسِهِمْ حِيْنَ الْخَصَاصَةِ وَاللّٰهُ
 مَا زَلْتُمْ مُؤَثَّرُوْنَ اِخْوَانَكُمْ مِّنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَاَنْتُمْ اَحَقُّ النَّاسِ
 اِلَّا يَكُوْنُ هٰذَا الْاَمْرُ وَاخْتِلَافُهُ عَلٰى اَيْدِيْكُمْ وَاَبْعَدُ اَنْ
 لَا تَحْسَدُوْا اِخْوَانَكُمْ عَلٰى خَيْرٍ سَاقَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى اِلَيْهِمْ وَاِنَّمَا اَدْعُوْكُمْ
 اِلٰى اَبِيْ عُبَيْدَةٍ اَوْ عَمْرٍ وَكُلَاھِمَا قَدْ رَضِيْتُمْ لَكُمْ وَلِهٰذَا الْاَمْرُ

وكلاهما له أهل . فقال عمر وأبو عبيدة رضي الله عنهما أما
 ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك يا أبا بكر أنت صاحب
 الغار تأتي اثنين وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة
 فأنت أحق الناس بهذا الأمر . فقال الانصار والله ما نخدمكم
 على خير شاقه الله اليكم وانا لكم وصفت يا أبا بكر والحمد لله ولا
 أحد من خلق الله تعالى أحب إلينا منكم ولا أرضى عندنا ولا
 أئمن ولكننا نشفق مما بعد اليوم ونحذر أن يغلب على هذا الأمر
 من ليس منا ولا منكم فلو جعلتم اليوم رجلاً منا ورجلاً منكم
 بايعنا ورضينا على أنه إذا هلك اخترنا آخر من الانصار فاذا
 هلك اخترنا آخر من المهاجرين أبداً ما بقيت هذه الأمة كان
 ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وإن يكون
 بعضنا يتبع بعضاً فيشفق القرشي أن يرفع فينقض عليه الانصاري
 ويشفق الانصاري أن يرفع فينقض عليه القرشي فقام أبو بكر
 فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : ان الله تعالى بعث محمداً صلى
 الله عليه وسلم رسولاً إلى خلقه وشهيداً على أمة ليعبدوا الله
 ويوحدهم وهم إذ ذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون أنها لهم شافعة
 وعليهم بالغة نافعة . وإنما كانت حجارة منحوتة وخشباً

منجورة فاقراوا ان شئتم «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ .
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ . وَيَقُولُونَ
هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ . وَقَالُوا وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا
إِلَى اللَّهِ زُلْفَى » فعظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم فخص
الله تعالى المهاجرين الاولين رضى الله عنهم بتصديقه والايمان به
والمواساة والصبر معه على الشدة من قومهم وإذلالهم وتكذيبهم
إيائهم وكل الناس مخالف عليهم زار لهم فلم يستوحشوا قلة عدتهم
وازرء الناس لهم واجتماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله في
الارض . وأول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بالامر من بعده لا ينازعهم
فيه الا ظالم وأتم يامعشر الانصار من لا ينكر فضاهم ولا النعمة
العظيمة لهم في الاسلام . رضىكم الله تعالى أنصاراً لدينه ورسوله
وجعل اليكم مهاجرته فليس بعد المهاجرين الاولين أحد عندنا
بمنزلتكم فنحن الامراء وأتم الوزراء لانفتات (١) دونكم
بمشورة ولا تنقضى دونكم الامور . فقام الحباب بن المنذر

(١) افتات عليه في الامر اذا حكم دونه

ابن زيد بن حَرَام رضي الله عنه فقال : يا معشر الانصار املكوا على أيديكم فانما الناس في فيثكم وظلالكم ولن يجير مجير (١) على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم . أنتم أهل العز والثروة وأولوا المدد والنجدة وانما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وتقطع أموركم أنتم أهل الايواء واليكم كانت الهجرة ولكم في السابقين الاولين مثل ما لهم وأنتم أصحاب الدار والايمان من قبلهم والله ما عبدوا الله علانية الا في بلادكم ولا جمعت الصلاة الا في مساجدكم ولا دانت العرب للاسلام الا بأسيا فكم فأنتم أعظم الناس نصيباً في هذا الامر وان أبي القوم فمنا أمير ومنهم أمير . فقام عمر رضي الله عنه فقال : هيات لا يجمع سيفان في غمد واحد انه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا ينبغي ان تولى هذا الامر الا من كانت النبوة فيهم وأولى الامر منهم . لنا بذلك علي من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته الامدل بباطل أو متجانف لاثم أو

(١) في رواية ولن يجترى مجترى

١٣

متورط في هلكة . فقام الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال : يا معشر الانصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم ما سألتهم فاجلوهم عن بلادكم وولوا عليكم وعليهم من أردتم فأنتم والله أولى بهذا الامر منهم فانه دأب لهذا الامر ما لم يكن يدين له بأسيا فنا (١) أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد على أحد ما أقول الا حطمت أنفه بالسيف قال عمر بن الخطاب : فلما كان الحباب هو الذي يخبيني لم يكن لي معه كلام لانه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاني عنه فخلعت ان لا أكله كلمة تسوء أبداً . ثم قام أبو عبيدة فقال : يا معشر الانصار أنتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من يبدل ويغير .

﴿ مخالفة قيس بن سعد ونقضه لعهدهم ﴾ . قال وان قيساً لما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسداً لسعد وكان قيس من سادات الخزرج فقال : يا معشر الانصار أما والله لئن كُنّا أولوا الفضيلة في جهاد

(١) في رواية : انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب . أما والله الخ

المشركين والسابقة في الدين ما أردنا ان شاء الله غير رضا ربنا وطاعة نبينا والكرم لانفسنا وما ينبغي ان نستطيع بذلك على الناس ولا نبتغي به غرضاً من الدنيا فان الله تعالى ولي النعمة والمنة علينا بذلك ثم ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولى ساططه . وأيم الله لا يراني أنازعهم هذا الامر أبداً فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تخادعوهم .

﴿بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه﴾ قال ثم ان أبا بكر قام على الانصار فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال اني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر ^(١) فبايعوا من شئتم منهما . فقال عمر : معاذ الله ان يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحقنا بهذا الامر وأقدمنا صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل منا في المال وأنت أفضل المهاجرين ونأني اثنين وخليفته على الصلاة والصلاة أفضل أركان دين

(١) ويروي : فقالت الانصار ان رسول الله حدثنا انه سيصينا بعده اثره منا الامراء ومنكم الوزراء وهذا عمر وأبو عبيدة فبايعوا من شئتم

الاسلام فمن ذا ينبغي أن يتقدمك ويتولى هذا الامر عليك
أبسط يدك أبايعك فلما ذهبيا بايعانه سبقهما اليه قيس الانصاري
فبايعه فناده الحُباب بن المنذر: يا قيس بن سعد عاقل عاقل
ما اضطرك الى ما صنعت ؟ حدث ابن عمك علي الإمارة ؛
قال لا والله ولكنني كرهت ان أنزع قومًا حقًا لهم فلما رأت
الاوس ماصنع قيس بن سعد وهو من سادات الخزرج وما
دعوا اليه المهاجرين من قريش وما تطلب الخزرج من تأمير
سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم اسيد بن حضير رضى الله
عنه لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة لآلت لهم بذلك عليكم
الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيباً فيها أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر رضى الله
عنه فقاموا اليه فبايعوه فقام الحباب بن المنذر الى سيفه فأخذه
فبادروا اليه فأخذوا سيفه منه فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتى
فرغوا من البيعة فقال: فعلتموها يا معشر الانصار أما والله لكأني
بأبناءكم على ابواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأ كفهم ولا
يسقون الماء . قال أبو بكر: أمتنا تخاف يا حُباب قال: ليس منك
أخاف ولكن ممن يجيء بعدك . قال أبو بكر: فإذا كان ذلك
كذلك فالامر اليك والى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة . قال

الحباب : هيهات يا أبا بكر اذا ذهبت أنا وانت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم .

﴿ تخلف سعد بن عبادة رضى الله عنه عن البيعة ﴾ فقال سعد بن عبادة أما والله لو أن لي ما أقره به على النهوض لسمعت متى في أقطارها زئيراً يخرجك أنت وأصحابك ولا لحقتك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع خاملاً غير عزيز فبايعه الناس جميعاً حتى كادوا يطأون سعدا . فقال سعد : قتلتموني فليل اقتلوه قتله الله فقال سعد : احملوني من هذا المكان فحملوه فأدخلوه داره وترك أياماً . ثم بث إليه أبو بكر رضى الله عنه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال : أما والله حتى أرميكم بكل سهم في كنفاتي من نبل وأخضب منكم سناني ورمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم بمن معي من أهلي وعشيرتي ولا والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم حسابي . فلما أوتي بذلك أبو بكر من قوله قال عمر : لاتدعه حتى يبايعك . فقال لهم قيس بن سعد انه قد أبى ولح وليس يبايعك حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل ولده معه وأهل

بيته وعشيرته ولن تقتلوهم حتى تقتل الخزرج ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الاوس فلا تفسدوا على أنفسكم أمراً قد استقام لكم فاتركوه فليس تركه بضاركم وإنما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة^(١) بشير بن سعد واستنصحوه لما بداهم منه . فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع بجمعهم ولا يفيض بإفاضتهم ولو يجد عليهم أعواناً لصال بهم ولو يبايعه أحد على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر رحمه الله وولى عمر بن الخطاب نخرج الى الشام فمات بها ولم يبايع لاحد رحمه الله وان بني هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى علي بن أبي طالب ومعهم الزبير بن العوام رضي الله عنه وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب وإنما كان يعد نفسه من بني هاشم وكان على كرم الله وجهه يقول : مازال الزبير منا حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا واجتمعت بنو أمية الى عثمان واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن بن عوف فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين . فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الناس أبا بكر قال لهم عمر : مالي أراكم مجتمعين حلقاً شتى قوموا

(١) وهو المعارض لسعد فيما تقدم لاقيس فليتبه

فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الانصار فقام عثمان بن عفان ومن معه من بني أمية فبايعوه وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا . وأما عليّ والعباس ابن عبد المطلب ومن معهما من بني هاشم انصرفوا الى رحلهم ومعهم الزبير بن العوام فذهب اليهم عمر في عصابة فيهم اسيد ابن حضير وسلمة بن اشيم فقالوا انطلقوا فبايعوا أبا بكر فأبوا فخرج الزبير بن العوام رضى الله عنه بالسيف فقال عمر رضى الله عنه : عليكم بالرجل نخذوه فوثب عليه سلمة بن اشيم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم أيضاً فبايعوا

﴿ إياية عليّ كرم الله وجهه بيعة أبي بكر رضى الله عنهما ﴾ ثم ان علياً كرم الله وجهه أتى به الى أبي بكر وهو يقول أنا عبد الله وأخو رسوله فقيل له بايع أبا بكر فقال أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايكم وأنتم أولى بالبيعة لي أخذتم هذا الأمر من الانصار واحتججتم عليهم بالقراية من النبي صلى الله عليه وسلم وتأخذوه منا أهل البيت غصباً أستم زعمتم للانصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة

وسلموا اليكم الإمارة فاذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على
 الأنصار نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فانصفونا إن كنتم
 تؤمنون والا فبؤا بالظلم وأنتم تعلمون فقال له عمر : انك
 لست متروكاً حتى تبائع فقال له عليّ أحلب حلباً لك شطره
 وشد له اليوم يردده عليك غداً ثم قال : والله يا عمر لا أقبل
 قولك ولا أبايعه فقال له أبو بكر فان لم تبائع فلا أكرهك
 فقال أبو عبيدة بن الجراح لعليّ كرم الله وجهه : يا ابن عمّ
 انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل
 تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ولا أرى أبا بكر الا أقوى على هذا
 الأمر منك وأشدّ احتمالاً واستطلاعاً فسلم لابي بكر هذا
 الأمر فانك ان تعيش ويطل بك بقاء فانت لهذا الأمر خليف
 وحقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك
 وصهرك . فقال عليّ كرم الله وجهه : أله الله يا معشر المهاجرين
 لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعر بيته الى دوركم
 وقعور بيوتكم وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقه
 فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لانا أهل البيت
 ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله

الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لأمر الرعية
 المدافع عنهم الأمور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله أنه لقينا
 فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق
 بعداً . وقال بشير بن سعد الأنصاري : لو كان هذا الكلام
 سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلفت
 عليك قال : وخرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة ليلاً في مجالس الأنصار
 تسألهم النصرة فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت
 بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل
 أبي بكر ما عدلنا به فيقول عليّ كرم الله وجهه : أفكنت ادّع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع
 الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان
 ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطلبهم
 ﴿ كيف كانت بيعة عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾
 قال وإن أبا بكر رضي الله عنه تفقد قوماً يخافوا عن
 بيعته عند عليّ كرم الله وجهه فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم
 في دار عليّ فأبوا أن يخرجوا فدعا بالخطب وقال : والذي

نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنّها على من فيها فقيل له
يا أبا حفص ان فيها فاطمة فقال وإن . نخرجوا فبايعوا الا علياً
فانه زعم أنه قال حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي
حتى أجمع القرآن فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها فقالت:
لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم تركتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم
تستأصرونا ولم تردوا لنا حقاً فأتى عمر أبا بكر فقال له : ألا
تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر لقنفذ وهو
مولى له : اذهب فادع لي علياً قال فذهب الى عليّ فقال له
ما حاجتك فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال عليّ : اسريع
ما كذبتكم على رسول الله فرجع فأبلغ الرسالة قال : فبكى أبو بكر
طويلاً فقال عمر : الثانية أن لا تمهل هذا المتخلف عنك
بالبيعة فقال أبو بكر رضي الله عنه لقنفذ : عد اليه فقل له أمير
المؤمنين يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به فرفع عليّ
صوته فقال سبحان الله لقد ادعى ما ليس له فرجع قنفذ فأبلغ
الرسالة فبكى أبو بكر طويلاً . ثم قام عمر فمشي معه جماعة حتى
أتوا باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادى بأعلى

صوتها : يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بمدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً فمضوا به الى أبي بكر فقالوا له بايع فقال إن أنا لم أفعل فيه قالوا إذا والله الذي لا إله الا هو نضرب عنقك قال إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله قال عمر : أما عبد الله فنعيم وأما أخو رسوله فلا وأبو بكر ساكت لا يتكلم فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك فقال : لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جنبه . فالحق على بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح ويكي وينادي : يا ابن أمّ ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلوتي فقال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما : انطلق بنا الى فاطمة فانا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلماه فأدخلها عليها فلما قعدا عندها جوت وجهها الى الحائط فسما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله (١) والله ان قرابة رسول الله

(١) ويروى : يا حبيبة رسول الله أغضبناك في ميراثك منه وفي زوجك

فقلت ما بالك يرنك أهلك ولا نرت محمدأ فقال والله ان قرابة الخ .

٢٣

أحب اليّ من قرأتي . وانك لأحب اليّ من عائشة ابنتي
ولوددت يوم مات أبوك اني متّ ولا أبقى بعده . أفتراني
أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك ويراثك من
رسول الله الا أني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
لا نورث ما تركنا فهو صدقة . فقالت أرايتكما ان حدثكما حديثاً
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفانه وتفعلا ان به قالاً نعم
فقلت نشدتكما الله أم تسمعا رسول الله يقول : رضا فاطمة
من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة ابنتي
فقد أحبنى ومن أَرْضَى فاطمة فقد أَرْضاني ومن اسخط فاطمة
فقد اسخطني . قالاً : نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت : فاني اشهد الله وملائكته انكما اسخطتاني وما
ارضيتاني ولئن لقيت النبي لاشكونكما اليه . فقال ابو بكر :
انا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ثم اتحب ابو
بكر يبكي حتى كادت نفسه ان ترهق وهي تقول : والله
لادعون الله عليك في كل صلاة اصلها ثم خرج باكياً فاجتمع
اليه الناس فقال لهم : بيت كل رجل منكم معانقاً حليته
مسروراً بأهله وتركتموني وما انا فيه لاجابة لي في بيعتكم

أقبلوني بيعتي قالوا يا خليفة رسول الله ان هذا الامر لا يستقيم وانت اعلمنا بذلك انه ان كان هذا لم يقم لله دين فقال : والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة مابت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعد ماسمت ورأيت من فاطمة قال فلم يتابع عليّ كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنهما ولم تمكث بعد ابها الا خمساً وسبعين ليلة . قال فلما توفيت ارسل عليّ الى ابي بكر ان اقبل الينا فاقبل ابو بكر حتى دخل على عليّ وعنده بنو هاشم فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد يا ابا بكر فانه لم يمنعنا ان نبايعك انكاراً لفضيلتك ولا نفاسة عليك ولكننا كنا نرى ان هذا الامر حقاً فاستبددت علينا ثم ذكر عليّ قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يذكر ذلك حتى بكى ابو بكر . فقال ابو بكر رضي الله عنه : لقراية رسول الله أحب اليّ ان اصل من قرابتي واني والله لا ادع امرأ رأيت رسول الله يصنعه الا صنعتته ان شاء الله تعالى فقال عليّ : موعدك غداً في المسجد الجامع للبيعة ان شاء الله . ثم خرج فأتى المغيرة بن شعبة فقال : اترى يا ابا بكر ان تلقوا العباس

٢٥

فتجعلوا له في هذا الامر نصيباً يكون له ولعقبه وتكون
لكما الحجة على عليّ وبني هاشم اذا كان العباس معكم قال
فانطلق ابو بكر وعمر وابو عبيدة حتى دخلوا على العباس
رضي الله عنه فحمد الله ابو بكر واثنى عليه ثم قال : ان الله بعث
محمدآ صلى الله عليه وسلم نبياً وللمؤمنين ولياً فمن الله تعالى بمقامه
بين أظهرنا حتى اختار له الله ما عنده فحلى على الناس امرهم
ليختاروا لانفسهم في مصالحهم متفقين لا مختلفين فاختروني
عليهم والياً ولا مورد لهم راعياً وما أخاف بحمد الله وهنا
ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقى الا بالله العلي العظيم عليه توكلت
واليه ائيب وما زال يبلغني عن طاعن يطمع بخلاف ما اجتمعت
عليه عامة المسلمين ويتخذونكم لحافاً فاحذروا ان تكونوا جهد
المنيع فإما دخلتم فيما دخل فيه العامة أو دفعتموهم عما مالوا
اليه وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الامر نصيباً
يكون لك ولعقبك من بعدك اذ كنت عم رسول الله وان كان
الناس قدراً وامكانك ومكان أصحابك فعدلوا الامر عنكم على
رسلكم بنى عبد المطلب فان رسول الله منا ومنكم . ثم قال عمر
أي والله وأحرى انا لم نأتكم حاجة منا اليكم ولكننا كرهنا أن

يكون الطمن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاهم الخطب بكم
وبهم فانظروا لانفسكم ولعامتكم . فتكلم العباس فحمد الله وأثني
عليه ثم قال : ان الله بعث محمداً كما زعمت نبياً وللمؤمنين ولياً
فمن الله بمقامه بين أظهرنا حتى اختار له ما عنده خفى على الناس
أمرهم ليختاروا لانفسهم مصيبين للحق لا مائلين عنه بزيف
الهُوى فان كنت برسوا، الله طلبت فحقنا أخذت وان كنت
بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمون فيهم وان كان هذا الامر
انما يجب لك بالمؤمنين فما وجب اذ كنا كارهين فاما ما بذلت
لنا فان يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه وان يكن حقاً للمؤمنين
فليس لك أن تحكم عليهم وان كان حقنا لم نرض عنك فيه
ببعض دون بعض وأما قولك ان رسول الله منا ومنكم فانه
قد كان من شجرة نحن أغصانها وأتم جيرانها . قال ثم خرج
أبو بكر الى المسجد الشريف فأقبل على الناس فعذر عالياً بمثل
ما اعتذر عنده ثم قام علي فعظم حق أبي بكر وذكر فضيلته
وسابقته ثم مضى فبايعه فأقبل الناس على علي فقالوا أصبت
يا أبا الحسن وأحسن . قال فلما تمت البيعة لأبي بكر أقام
ثلاثة أيام يقيل الناس ويستقيلهم يقول قد أفلتكم في بيعتي هل

من كاره هل من مبغض فيقوم عليّ في أول الناس فيقول
والله لا ثقيلك ولا نستقيك أبداً قد قدمك رسول الله صلى
الله عليه وسلم لتوحيد ديننا من ذا الذي يؤخرك لتوجيه دنيانا
﴿خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه﴾ قال ثم ان أبا
بكر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان الله
الجليل الكريم العليم الحكيم الرحيم الحليم بعث محمداً
بالحق وأتم معشر العرب كما قد علمتم من الضلالة والفرقة الف
بين قلوبكم ونصركم به وأيدكم ومكن لكم دينكم وأورثكم
سيرته الراشدة المهديّة فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة وقد
استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به الفتنكم ويقيم به كلمتكم
فأعينوني على ذلك بخير ولم أكن لأبسط يداً ولا لساناً على
من لم يستحل ذلك ان شاء الله وأيم الله ما حرصت عليها لئلا
ولا نهاراً ولا سألتها الله قط في سرّ ولا علانية ولقد قلت
أمرأ عظيم ما لي به طاقة ولا يد ولوددت اني وجدت أقوى
الناس عليه مكاني فأطيعوني ما أطعت الله . فاذا عصيت الله
فلا طاعة لي عليكم ثم بكى وقال اعلّموا أيها الناس اني لم أجعل لهذا
المكان أن أكون خيركم ولوددت أن بعضكم كفانيه ولئن

أخذتموني بما كان الله يقيم به رسوله من الوحي ما كان ذلك عندي وما أنا الا كأحدكم فاذا رأيتوني قد استقمت فاتبعوني وان زغت فتوّموني واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني أحياناً فاذا رأيتوني غضبت فاجتنبوني لا أؤثر بأشعاركم وإبشاركم ثم نزل . ثم دعا عمر والأوجاه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماترون لي من هذا المال فقال عمر انا والله أخبرك مالك منه أما ما كان لك من ولد قديان عنك ومالك أمره فسهمه كرجل من المسلمين وأما ما كان من عيالك وضعفة أهلك فتقوت منه بالمعروف وقوت أهلك . فقال يا عمر : انى لا خشى ان لا يحل لي أن أطمع عيالي من في المسلمين فقال عمر : يا خليفة رسول الله انك قد شغلت بهذا الامر عن ان تكسب لعيالك قال ولما تمت البيعة لابي بكر واستقام له الامر اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب فنصب لهم أبو بكر الحرب وأراد قتالهم فقالوا نصلي ولا نؤدي الزكاة فقال الناس أقبل منهم يا خليفة رسول الله فان العهد حديث والعرب كثير ونحن شر ذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب مع انا قد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها

عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله
 فقال أبو بكر هذا من حقها لا بد من القتال فقال الناس لعمر اخل
 به فكلمه لعله يرجع عن رأيه هذا فيقبل منهم الصلاة ويعفيهم
 من الزكاة فخلا به عمر نهاره أجمع فقال والله لو منعوني عقالا
 كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه ولو لم أجده أحدا
 أقاتلهم به لقاتلتهم وحدي حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير
 الحاكمين وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 أمرت أن أقاتل الناس على ثلاث شهادة الا اله الا الله واقام
 الصلاة وايتاء الزكاة فوالله الذي لا اله الا هو لا أقصر دونهن
 فضرب منهم من أدبر بمن أقبل حتى دخل الناس في
 الاسلام طوعاً وكرهاً وحمدوا رأيه وعرفوا فضله . قال ابو رجاء
 العطاردي رأيت الناس مجتمعين وعمر يقبل رأس أبي بكر ويقول
 أنا فداؤك لو لا أنت لهلكنا فحمد له رأيه في قتال أهل الردة
 ﴿ مرض أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما ﴾

قال ثم ان أبا بكر عمل سنتين وشهوراً ثم مرض مرضه
 الذي مات فيه فدخل عليه أناس من أصحاب النبي عليه السلام
 فيهم عبد الرحمن بن عوف فقال له : كيف أصبحت يا خليفة

رسول الله فاني أرجو أن تكون بارئاً قال أترى ذلك قال نعم قال
أبو بكر : والله انى لشديد الوجع ولما ألقى منكم يامعشر المهاجرين
أشد على من وجعي إني ولّيت أمركم ولست خيركم في نفسي
فكلكم ورم أنفه ^(١) ارادة أن يكون هذا الامر له وذلك لما
رأيتم الدنيا قد أقبلت أما والله لتتخذن نضائد ^(٢) الديباج وستور
الحرير ولتأمن النوم على الصوف الأذربي كما يألم أحدكم النوم على
حسك السعدان والله لئن تقدّم أحدكم فتضرب عنقه في غير
حدث خير له من أن يخوض غمرات الدنيا فقال له عبد الرحمن
ابن عوف خفض عليك من هذا يرحمك الله فان هذا يهيضك
على ما بك وانما الناس رجلان رجل رضي ما صنعت فرأيه كرايك
ورجل كره ما صنعت فأشار عليك برأيه ما رأينا من صاحبك
الذي ولّيت الا خيراً وما زلت صالحاً مصلحاً ولا أراك تأسى على
شيء من الدنيا فانك قال : أجل والله ما آسى الا على ثلاث
فعلتهن ليتني كنت تركتهن وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن
وثلاث ليتني سألت رسول الله عنهن فأما اللاتي فعلتهن وليتني

(١) ورم أنفه أي امتلاً غضباً قال الشاعر: ولا يهاج اذا ما أنفه ورماء.

أي لا يكلم عند الغضب (٢) نضائد الديباج واحدها نضيدة وهي الوسادة

٣١

لم أفعلهن فليتنى تركت بيت عليّ وان كان أعلن على الحرب
وليتنى يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد
الرجلين أبي عبيدة أو عمر فكان هو الامير وكنت أنا الوزير
وليتنى حين أتيت بالفجاءة السلميّ أسيراً انى قتلته ذبيحاً أو
أطلقته نجيحاً ولم أكن أحرقته بالنار وأما اللاتي تركتهن
وليتنى كنت فعلتهن حين أتيت بالاشعث بن قيس أسيراً
انى قتلته ولم أستحيه فاني سمعت منه وأراه لا يرى غياً ولا
شراً الا أعان عليه وليتنى حين بعثت خالد بن الوليد الى
الشام انى كنت بعثت عمر بن الخطاب الى العراق فأكون
قد بسطت يديّ جميعاً في سبيل الله . وأما اللاتي كنت أود
أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فليتنى سأله
لمن هذا الامر من بعده فلا ينازعه فيه أحد وليتنى كنت
سأله هل للانصار فيها من حق وليتنى كنت سأله عن
ميراث بنت الاخ والعمة فان في نفسى من ذاك شيئاً ثم دخل
عليه أناس من أصحاب رسول الله فقالوا يا خليفة رسول الله
ألا ندعوك طيباً ينظر اليك فقال قد نظر اليّ قالوا فماذا
قال ؟ قال انى فعال لما أريد ثم قال لهم انظروا ماذا نفقت

من بيت المال فنظروا فاذا هو ثمانية آلاف درهم فأوصى أهله
أن يؤدوها الى الخليفة بعده ثم دعا عثمان بن عفان فقال اكتب
عهدي فكتب عثمان وأملى عليه : بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما عهد به ابو بكر بن ابي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحاً
عنها وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها اني استخلفت عليكم عمر
ابن الخطاب فان تروه عدل فيكم فذلك ظني به ورجائي فيه
وان بدّل وغير فالحير اردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين
ظلموا ايّ منقلب ينقلبون . ثم ختم الكتاب ودفعه ودخل
عليه المهاجرون والانصار حين بلغهم انه استخلف عمر فقالوا
نراك استخلفت علينا عمرو قد عرفته وعلمت بوثقه فينا وانت
بين أظهرنا فكيف اذا وليت عنا وانت لاقى الله عز وجل
فسألك فما انت قائل ؟ فقال ابو بكر : لئن سألني الله لأقولن
استخلفت عليهم خيرهم في نفسي قال ثم امر ان يجتمع له
الناس فاجتمعوا فقال : ايها الناس قد حضرني من قضاء الله
ماترون وانه لا بد لكم من رجل يلي أمركم ويصلي بكم ويقاقل
عدوكم فيأمركم فان شئتم اجتمعتم فأتتم ثم وليتم عليكم من
أردتم وان شئتم اجتهدت لكم رأيي ووالله الذي لا اله الا هو

٣٣

لا آلوكم في نفسي خيراً قال فبكي وبكى الناس . وقالوا يا خليفة رسول الله أنت خيرنا وأعلمنا فاخترنا قال سها اجتهد لكم رأيي وأختار لكم خيركم ان شاء الله . قال فخرجوا من عنده ثم أرسل الى عمر فقال : يا عمر أحبك محباً وأبغضك مبغضاً وقد يآجب الشر ويبغض الخير فقال عمر : لا حاجة لي بها . فقال أبو بكر : لكن بها اليك حاجة والله ماحبوتك بها ولكن حبوتها بك ثم قال خذ هذا الكتاب وأخرج به الى الناس وأخبرهم أنه عهدي وسلمهم عن سمعهم وطاعتهم . فخرج عمر بالكتاب وأعلمهم فقالوا سمعاً وطاعة . فقال له رجل ما في الكتاب يا أبا حفص قال لا أدري ولكني أول من سمع وأطاع قال لكني والله أدري ما فيه . أمرته عام أول وأمرك العام ﴿ ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

قال ولما توفي أبو بكر وولي عمر قعد في المسجد مقعد الخلافة أتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين أدنومنك فان لي حاجة قال عمر لا قال الرجل اذا اذهب فيغنيني الله عنك فولي ذاهباً فاتبعه عمر ببصره ثم قام فأخذه بثوبه فقال له : ما حاجتك فقال الرجل بغضك الناس وكرهك الناس قال عمر : ولم ويحك

(٣)

فقال الرجل للسانك وعصاك قال فرفع عمر يديه فقال : اللهم
حببهم اليّ وحببني اليهم . قال الرجل فما وضع يديه حتى ما
على الارض أحب اليّ منه . وكان أهل الشام قد بلغهم مرض
أبي بكر واستبطوا الخبر فقالوا انا لنخاف أن يكون خليفة
رسول الله قد مات وولي بعده عمر فان كان عمر هو الوالي
فليس لنا بصاحب وانا نرى خلعه قال بعضهم فابعثوا رجلا
ترضون عقله قال فأتخبوا لذلك رجلا فقدم على عمر وقد كان
عمر استبطاً خبر أهل الشام فلما أتاه قال له كيف الناس قال
سالمون صالحون وهم كارهون لولايتك ومن شرك مشفقون
فأرسلوني أنظر أحلو أنت أم مرّ قال فرفع عمر يديه الى السماء
وقال اللهم حببني الى الناس وحببهم اليّ قال فعلم عمر عشر
سنين بعد أبي بكر فوالله ما فارق الدنيا حتى أحب ولايته من
كرها لقد كانت إمارته فتحاً وإسلامه عزّاً ونصراً أتبع في
عمله سنة صاحبيه وآثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه ثم اختار
الله له ما عنده

﴿ قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

قال عمرو بن ميمون : شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن

فما معنى أن أكون في الصف الاول الا هيته فكنت في الصف الذي يليه وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه فان رأى رجلاً متقدماً من الصف أو متأخراً ضرب به بالدرّة فذلك الذي منعي من التقدم قال فأقبل لصلاة الصبح وكان يغلس^(١) بها فعرض له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فطعنه ثلاث طعنات فسمعت عمر وهو يقول دونكم الكلب فانه قد قتلي وماج الناس فخرج ثلاثة عشر رجلاً وصاح بعضهم ببعض دونكم الكلب فشد عليه رجل من خلفه فاحتضنه وماج الناس فقال قائل الصلاة عباد الله طلعت الشمس فدفعت عبدالرحمن ابن عوف فصلي بأقصر سورتين في القرآن واحتمل عمر ومات من الذين جرحوا ستة أو سبعة وجرى الناس الى عمر فقال يا ابن عباس أخرج فنادى في الناس أعن ملأ ورضي منهم كان هذا فخرج فنادى فقالوا معاذ الله ما علمنا ولا اطلعنا قال فأتاه الطيب فقال أي الشراب أحب اليك قال النبيذ فسقوه نبيذاً فخرج من بعض طعناته فقال الناس صديد أسقوه لبناً فخرج اللبن فقال الطيب لا أرى أن

(١) غلس في الصلاة صلاها بالغلس وهو ظلام آخر الليل

تمسى فما كنت فاعلا فافعل فقال لابنه عبد الله ناولني الكتيف (١)
فلو أراد الله أن يمضي ما فيه أمضاه فمحاها بيده وكان فيها
فريضة الجدة . ثم دخل عليه كعب الاحبار فقال يا أمير المؤمنين الحق
من ربك فلا تكونن من المعترين قد كنت أنبأتك أنك شهيد
قال ومن أين لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب . ثم جعل الناس
يثنون عليه ويدكرون فضله فقال ان من غررتموه لمغرور
اني والله وددت أن أخرج منها كفافاً كما دخلت فيها . والله
لو كان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس لا فتديت به من هول
المطلع فقالوا يا أمير المؤمنين لا بأس عليك فقال ان يكن
القتل بأساً فقد قتلتني أبو لؤلؤة قالوا فان يكن ذلك فجزاك الله
عنا خيراً فقال لا أراكم تغبطوني بها فوالذي نفس عمر بيده
ما أدري على ما أهاجم ولوددت اني نجوت منها كفافاً لالي
ولا علي فيكون خيراً بشرها ويسلم لي ما كان قبلها من
الخير ودخل على ابن أبي طالب فقال يا علي أعن ملاً منكم
ورضي كان هذا فقال علي ما كان من ملاً منا ولا رضي
ولوددنا أن الله زاد من أعمارنا في عمرك . قال وكان رأسه

(١) يريد ما يكتب فيها العهد أو الوصية

في حبر ابنه عبد الله فقال له ضع خدي بالارض فلم يفعل
 فلحظه وقال ضع خدي بالارض لا أم لك فوضع خده
 بالارض فقال الويل لعمر ولام عمران لم يغفر الله لعمر ثم دعا
 عبد الله بن عباس وكان يحبه ويدنيه ويسمع منه فقال له : يا ابن
 عباس اني لا ظن أن لي ذنباً ولكن أحب ان تعلم لي أعني ملاً
 منهم ورضي كان هذا تخرج ابن عباس فجعل لا يرى ملاً من
 الناس الا وهم سيكون كأنما فقدوا اليوم أنصارهم فرجع اليه فأخبره
 بما رأى قال فمن قتلي قال أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة
 ابن شعبة قال عبد الله فرأيت البشر في وجهه فقال الحمد لله
 الذي لم يقتلني رجل يحاجني بلاله الا الله يوم القيامة ثم قال يا عبد
 الله ألا لو أن لي ما طلعت عليه الشمس وما غربت لا فتيت به
 من هول المطلاع وما ذاك والحمد لله أن اكون رأيت الا خيراً
 فقال له ابن عباس فإن يك ذاك يا أمير المؤمنين فجزاك الله عنا
 خيراً أليس قد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعز الله
 بك الدين والمسلمون محتسبون بمكة فلما أسلمت كان اسلامك
 عزاً أعز الله به الاسلام وظهر النبي وأصحابه ثم هاجرت الى
 المدينة فكانت هجرتك فتحاً ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول

الله من قتال المشركين وقال فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كذا وكذا ثم قبض رسول الله وهو عنك راض ثم ارتد الناس بعد رسول الله عن الاسلام فوازرت الخليفة على منهاج رسول الله وضربتم من أدبر بمن أقبل حتى دخل الناس في الاسلام ضوعاً وكرهاً ثم قبض الخليفة وهو عنك راض ثم ولّيت بخير على مايلي أحد من الناس . مضر الله بك الامصار وجبا بك الاموال ونهى بك العدو وأدخل الله على أهل كل بيت من المسلمين توسعة في دينهم وتوسعة في أرزاقهم ثم ختم الله لك بالشهادة فهنيئاً لك فصب الله الثناء عليك صبا فقال أتشهد لي بهذا يا عبد الله عند الله يوم القيامة قال نعم فقال عمر اللهم لك الحمد .

﴿تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده اليهم﴾
قال ثم ان المهاجرين دخلوا على عمر رضى الله عنه وهو في البيت من جراحه تلك فقالوا يا أمير المؤمنين استخلف علينا قال والله لا أحكم حياً وميتاً ثم قال ان استخلفت فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر وان أدع فقد ودع من هو خير مني يعني النبي عليه السلام فقالوا جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين فقال ما شاء الله راغباً ووددت

٣٩

أَن أَنْجُو مِنْهَا لَالِي وَلَا عَلِيَّ فَلَمَّا أَحْسَ بِالْمَوْتِ قَالَ لِابْنِهِ أَذْهَبْ
 إِلَى عَائِشَةَ وَأَقْرِئْهَا مِنِّي السَّلَامَ وَاسْتَأْذِنِهَا أَنْ أَقْبِرَ فِي بَيْتِهَا مَعَ
 رَسُولِ اللَّهِ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ فَأَتَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَأَعْلَمَهَا فَقَالَتْ
 نَعَمْ وَكَرَامَةٌ ثُمَّ قَالَتْ يَا بَنِي أَبِیْكَ عُمَرَ سَلَامِي وَقُلْ لَهُ لَا تَدْعُ أُمَّةَ
 مُحَمَّدٍ وَلَا رَاعٍ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَدْعُهُمْ بِعَدِّكَ هَمَلًا فَلَمَّا أَخْشَى
 عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ فَأَتَى عَبْدُ اللَّهِ فَأَعْلَمَهُ فَقَالَ وَمَنْ تَأْمُرُنِي أَنْ اسْتَخْلِفَ
 لَوْ أَدْرَكْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ بَاقِيًا اسْتَخْلَفْتَهُ وَوَلَيْتَهُ فَذَا
 قَدِمْتُ عَلَى رَبِّي فَسَأَلَنِي وَقَالَ لِي مَنْ وَلَيْتَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدًا قَالَتْ
 أَيُّ رَبِّي سَمِعْتُ عَبْدَكَ وَنَبِيَّكَ يَقُولُ : لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ
 هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَلَوْ أَدْرَكْتُ مُعَاذَ بْنِ جَبَلٍ
 اسْتَخْلَفْتَهُ فَذَا قَدِمْتُ عَلَى رَبِّي فَسَأَلَنِي مَنْ وَلَيْتَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدًا
 قَالَتْ أَيُّ رَبِّي سَمِعْتُ عَبْدَكَ وَنَبِيَّكَ يَقُولُ : إِنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ
 يَأْتِي بَيْنَ يَدَيِ الْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَوْ أَدْرَكْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ
 لَوَلَيْتَهُ فَذَا قَدِمْتُ عَلَى رَبِّي فَسَأَلَنِي مَنْ وَلَيْتَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدًا
 قَالَتْ أَيُّ رَبِّي سَمِعْتُ عَبْدَكَ وَنَبِيَّكَ يَقُولُ : خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ
 مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ سَلَهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَلَكِنِّي سَأَسْتَخْلِفُ النَّفَرَ
 الَّذِينَ تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ . فَأَرْسَلُ إِلَيْهِمْ فَجَمَعَهُمْ

وهم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله
والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف
رضوان الله عليهم وكان طلحة غائباً فقال : يا معشر المهاجرين
الاولين اني نظرت في أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا
نفاقاً فإن يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة أيام
فإن جاءكم طلحة الى ذلك والا فأعزم عليكم بالله ان لا تتفرقوا
من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحداً منكم فان أشرتكم بها الى
طلحة فهو لها أهل وليصل بكم صهيب ^(١) هذه الثلاثة أيام
التي تشاوروا فيها فانه رجل من الموالى لا ينازعكم امركم
واحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من أمركم
شيء واحضروا معكم الحسن بن علي وعبد الله بن عباس فان
لها قرابة وأرجو لكم البركة في حضورهما وليس لهما من أمركم

(١) هو صهيب بن سنان وهو الذي أرادته المشركون مع نفر
معه على ترك الاسلام وقتلوا بعضهم . فقال لهم صهيب : أنا شيخ كبير
ان كنت عليكم لم أضركم وان كنت معكم لم أنفعكم نخفوني وما أنا عليه
وخذوا مالي فقبلوا منه وأتى المدينة فلقاه أبو بكر فقال : ربح البيع
يا صهيب . فقال له وأنت ربح بيعك . وتلا قوله تعالى : ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله

٤١

شيء ويحضر ابني عبد الله مستشاراً وليس له من الأمر شيء
قالوا يا أمير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعاً فاستخلفه فانا
راضون به فقال: حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة
ليس له من الأمر شيء ثم قال يا عبد الله اياك ثم اياك
لا تلبس بها ثم قال ان استقام أمر خمسة منكم. وخالف
واحد فاضربوا عنقه وان استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا
أعناقهما وان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابني
عبد الله فلائي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم فان أبي الثلاثة
الأخر من ذلك فاضربوا أعناقهم . فقالوا قل قيننا يا أمير
المؤمنين مقالة نستدل فيها برأيك ونقتدي به فقال والله ما يمنعني
أن أستخلفك يا سعد الا شدتك وغلظتك مع أنك رجل حرب
وما يمنعني منك يا عبد الرحمن الا أنك فرعون هذه الأمة وما
يمنعني منك يا زبير الا أنك مؤمن الرضا كافر الغضب وما يمنعني
من طلحة الا نخوته وكبره ولو وليها وضع خاتمه في إصبع امرأته
وما يمنعني منك يا عثمان الا عصييتك وحبك قومك وأهلك
وما يمنعني منك يا علي الا حرصك عليها وأتاك احرى القوم ان
وليتها أن تقيم على الحق المبين . والصراط المستقيم . أوصي

الخليفة منكم بتقوى الله العظيم واحذرہ مثل مضجعی هذا
وأخوفه يوماً تبيض فيه وجوه وتسود وجوه يوم تعرضون على الله
لا تخفى منكم خافية ثم غشى عليه حتى ظنوا انه قد قضى فجعلوا
ينادونه ولا يفیق من اغمائه فقال قاتل ان كان شيء ينبه
فالصلاة فقالوا: يا أمير المؤمنين الصلاة ففتح عينيه فقال: الصلاة
ها أنا ذا ولا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فصلى وجرحه
يشعب دماً ثم التفت اليهم وقال قد قومت لكم الطريق فلا
تعرضوه ثم التفت الى علي بن أبي طالب . فقال : اعلّ هؤلاء
القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله
وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فيستخلفونك فان وايت
هذا الامر فأتق الله يا عليّ فيه ولا تحمل أحداً من بني هاشم على
رقاب الناس ثم التفت الى عثمان فقال : يا عثمان لعل هؤلاء القوم
يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك
فيستخلفونك فان وليت هذا الامر فلا تحمل أحداً من بني
أمية على رقاب الناس ثم دعا صهيباً فقال : يا صهيب صل بالناس
ثلاثة أيام ويجتمع هؤلاء النفرويتشاورون بينهم اخرجوا عنى
اللهم الفهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على أعقابهم وولّ امر

٤٣

أمة محمد خيرهم فخرجوا من عنده . وتوفي رحمه الله تعالى من يومه ذلك ودفن وصلى عليه صهيب .

﴿ ذكر الشوري وبيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾
ثم ان بعد موت عمر اجتمع القوم فخلوا في بيت أحدكم وأحضروا عبد الله بن عباس والحسن بن علي وعبد الله بن عمر فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا فتبلا فلما كان في اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف أتدرون أي يوم هذا ؟ هذا يوم عزم عليكم صاحبكم أن لا تفرقوا فيه حتى تستخلفوا أحدكم قالوا أجل قال فاني عارض عليكم أمرا أقالوا وما تعرض قال ان تولوني أمركم وأهب لكم نصيبي فيها وأختار لكم من أنفسكم قالوا قد أعطيناك الذي سألت . فلما سلم القوم قال لهم عبد الرحمن اجعلوا أمركم الى ثلاث منكم فجعل الزبير أمره الى علي وجعل طلحة أمره الى عثمان وجعل سعد أمره الى عبد الرحمن بن عوف . قال المسور بن مخرمة: فقال لهم عبد الرحمن كونوا مكانكم حتى آتيكم وخرج يتلقى الناس في أنقاب المدينة مثلما لا يعرفه أحد فما ترك أحدا من المهاجرين والانصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاهم الا سألهم واستشارهم . أما

أهل الرأي فأتاهم مستشيراً وتلقى غيرهم سائلاً يقول : من ترى الخليفة بعد عمر ؟ فلم يلق أحداً يستشيره ولا يسأله الا ويقول عثمان فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان قال المسور جاءني رضي الله عنه عشاء فوجدني نائماً فخرجت اليه فقال : الا أراك نائماً فوالله ما اكتحلت عيني بنوم منذ هذه الثلاثة ادع لي فلاناً وفلاناً (نفرآ من المهاجرين) فدعوتهم له فاجاهم في المسجد طويلاً ثم قاموا من عنده فخرجوا ثم دعا علياً فاجاه طويلاً ثم قام من عنده على طمع ثم قال ادع لي عثمان فدعوته فاجاه طويلاً حتى فرق بينهما انت صلاة الصبح فلما صلوا جمعهم فأخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبك من قبلك فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك وأيضاً لئن بايعت غيرك لترضين ولتسلمن وليكونن سيفك معي على من أبى فأعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم . فلما تم ذلك أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبك وشرط عمر أن لا تجعل أحداً من بني أمية على رقاب الناس فقال عثمان

نعم ثم أخذ بيد علي فقال له : أبايعك على شرط عمر أن لا تجعل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس . فقال علي عند ذلك مالك ولهذا اذا قطعها في عني فان على الاجتهاد لأمة محمد حيث علمت القوة والامانة استعنت بها كان في بني هاشم أو غيرهم . قال عبد الرحمن : لا والله حتى تعطيني هذا الشرط قال علي والله لا أعطيكه أبداً فتركه فقاموا من عنده فخرج عبد الرحمن الى المسجد فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اني نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعل يا علي سبيلا الى نفسك فانه السيف لا غير ثم أخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعاً . قال فكان عثمان رضي الله عنه ست سنين في ولايته وهو أحب الى الناس من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمر رجلاً شديداً قد ضيق على قريش أنفاسها لم يزل أحد معه من الدنيا شيئاً إعظماً له وإجلالاً وتأسياً به واقتداءً فلما وليهم عثمان ولي رجل لين قال الحسن البصري : شهدت عثمان وهو يخطب وأنا يومئذ قد راهقت الحلم فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أصبح وجهاً ولا أحسن نظرة منه فسمعتة يقول أيها الناس اغدوا على أعطيائكم

فياخذونها وافية أيها الناس اغدوا على كسوتكم فيغدون
 فيجاء بالحلل فتقسم بينهم حتى والله سمعت أذناي يامعشر
 المسلمين اغدوا على السمن والعسل فيغدون فيقسم بينهم السمن
 والعسل ثم يقول يامعشر المسلمين اغدوا على الطيب فيغدون
 فيقسم بينهم الطيب من المسك والعنبر وغيره. والعذوان والله
 مني والاعطيات دائرة والخير كثير وما على الارض مؤمن
 يخاف مؤمناً من لقي في أى البلدان فهو أخوه وأليفه وناصره
 ومؤدبه فلم يزل المال متوفراً حتى لقد بيعت الجارية بوزنها
 ورقاً وبيع الفرس بعشرة آلاف دينار وبيع البعير بألف والنخلة
 الواحدة بألف ثم أنكر الناس على عثمان أشياء أشراً وبطراً.
 قال ابن عمر لقد عيت عليه أشياء لو فعلها عمر ماعيت عليه
 ﴿ ذكر الانكار على عثمان رضي الله عنه ﴾

قال عبد الله بن مسلم حدثنا ابن ابي صريم وابن عفير
 قالا حدثنا ابن عون قال اخبرنا الخول ابن ابراهيم وابو حمزه
 الثمالي وبعضهم يزيد على بعض والمعني واحد فجمعتهم والتفته على
 قولهم ومعني ما أرادوا عن علي بن الحسين قال : لما أنكر
 الناس على عثمان بن عفان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم

٤٧

قال : أما بعد فإن لكل شيء آفة ولكل نعمة عاهة وإن آفة هذا الدين وعاهته هذه الملة . قوم عيَّابون طمانون يُروْنكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون أما والله يا معشر المهاجرين والانصار لقد عبتُم على أشياء ونقمتُم أموراً قد أقررتم لابن الخطاب مثلها ولكنه وقَمَكم وقَمَكم ولم يجترئ أحدٌ على بصره منه ولا يشير بطرفه إليه . أما والله لانا أكثر من ابن الخطاب عدداً وأقرب ناصرأ وأجدر . الى أن قال لهم : أتفقّدون من حقوقكم شيئاً فإلى لا أفعل في الفضل ما أريد فلو كنت إماماً إذا . أما والله ما غاب على من عاب منكم أمراً أجهله ولا أتيت الذي أتيت الا وأنا أعرفه . قال وقدم معاوية بن أبي سفيان على أثر ذلك من الشام فأتى مجلساً فيه عليّ بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر فقال لهم يا معشر الصحابة أوصيكم بشيخي هذا خيراً فوالله لئن قتل بين أظهركم لأملأنها عليكم خيلاً ورجالاً ثم أقبل على عمار بن ياسر فقال : يا عمار إن بالشام مائة ألف فارس كل يأخذ البعطاء مع مثلهم من أبنائهم وعُبدانهم لا يعرفون علياً ولا قرابته ولا عماراً ولا سابقته ولا

الزير ولا صحابته ولا طلحة ولا هجرته ولا يهابون ابن عوف
ولا ماله ولا يتقون سعداً ولا دعوته فايك يا عمار أن تقع غداً
في فتنة تتجلى فيقال هذا قاتل عثمان وهذا قاتل علي . ثم أقبل
على ابن عباس فقال : يا ابن عباس انا كنا واياكم في زمان
لا نرجو فيه ثواباً ولا نخاف عقاباً وكنا أكثر منكم فوالله
ما ظلمناكم ولا قهرناكم ولا أخرناكم عن مقام تقدمناه حتى
بعث الله رسوله منكم فسبق اليه صاحبكم فوالله ما زال يكره
شركنا ويتعافل به عنا حتى ولي الامر علينا وعليكم ثم صار
الامر الينا واليكم فأخذ صاحبنا على صاحبكم لسنه ثم غير فنطق
ونطق على لسانه فقد أوقدتم ناراً لا تطفى بالماء . فقال ابن عباس
كنا كما ذكرت حتى بعث الله رسوله منا ومنكم ثم ولي الامر
علينا وعليكم ثم صار الامر الينا واليكم فأخذ صاحبكم على صاحبنا
لسنه ولما هو أفضل من سنه فوالله ما قلنا الا ما قال غيرنا ولا
نطقنا الا بما نطق به سوانا فتركتكم الناس جانباً وصيرتمونا بين ان أقننا
متهمين أو نزعنا معتبين وصاحبنا من قديعنا الله لا يهجم جوج
الا ركه ولا يرد حوضاً الا أفرطه وقد أصبحت أحب منك
ما أحيت وأكره ما كرهت ولعل لا ألقاك الا في خير .

﴿ ذكر القول والمجادلة لعثمان ومعاوية رضي الله عنهما ﴾
قال وذكروا أن ابن عباس قال خرجت الى المسجد فاني
جالس فيه مع عليّ حين صليت العصر اذ جاء رسول عثمان
يدعو علياً فقال عليّ نعم فلما أن ولى الرسول أقبل عليّ فقال :
لم تراه دعاني قلت له دعاك ليكلمك فقال انطلق معي فأقبت
فاذا طلحة والزبير وسعد وأناس من المهاجرين فجلسنا فاذا
عثمان عليه ثوبان أبيضان فسكت القوم ونظر بعضهم الى بعض
فحمد الله عثمان ثم قال : أما بعد فإن ابن عمي معاوية هذا قد
كان غائباً عنكم وعن ما ناتم مني وما عاتبكم عليه وعاتبتموني
وقد سألتني أن يكلمكم وأن يكلمه من أراد فقال سعد بن أبي
وقاص : وما عسى أن يقال لمعاوية أو يقول إلا ما قلت أو قيل
لك فقال عليّ ذلكم تكلم يا معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد يا معشر المهاجرين وبقية الشيورى فإياكم أعني وإياكم
أريد فمن أجابني بشيئ فمنكم واحد فاني لم أرد غيركم . توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايع الناس أحسد المهاجرين
التسعة ثم دفنوا نبيهم فأصبحوا سالماً أمرهم كأن نبيهم بين
أظهرهم فلما أيس الرجل من نفسه بايع رجلاً من بعده أحد

المهاجرين فلما احتضر ذلك الرجل شك في واحد أن يختاره
 فجعلها في ستة نفر بقية المهاجرين فأخذوا رجلاً منهم لا يألون
 عن الخير فيه فبايعوه وهم ينظرون الى الذي هو كائن من بعده
 لا يشكون ولا يمترون . مهلاً مهلاً معشر المهاجرين فان
 وراءكم من ان دفعتموه اليوم اندفع عنكم ومن ان فعلتم الذي
 اتم فاعلوه دفعكم بأشد من ركنكم وأعدت من جمعكم ثم اسن
 عليكم بسنتكم ورأى ان دم الباقي ليس بمتنع بعد دم الماضي
 فسدوا وارفقوا لا يغلبكم على أمركم من حذرتكم . فقال على
 ابن أبي طالب كأنك تريد نفسك يا ابن اللخناء لست هنالك
 فقال معاوية مهلاً عن بنت عمك فانها ليست بشر نسائك .
 يا معشر المهاجرين وولاة هذا الامر ولاكم الله اياه فأتتم أهله
 وهذان البلدان مكة والمدينة مأوى الحق ومنتهاه . وانما ينظر
 التابعون الى السابقين والبلدان الى البلدين فان استقاموا
 استقاموا وأيم الله الذي لا إله الا هو لئن صفقت احدي اليدين
 على الاخرى لا يقوم السابقون للتابعين ولا البلدان للبلدين
 وليسبن أمركم ولينقلن الملك من بين أظهركم . وما أتم في
 الناس الا كالشامة السوداء في الثور الابيض فاني رأيتكم نشبتم

٥١

في الطعن على خليفتك وبطرتهم معيشتكم وسفهم أحلامكم وما
كل نصيحة مقبولة والصبر على بعض المكروه خير من تحمله
كله . قال ثم خرج القوم وأمسك عثمانُ ابنَ عباس فقال له
عثمان يا ابن عمي ويا ابن خالتي فانه لم يبلغني عنك في أمري شيء
أحبه ولا أكرهه علي ولا لي وقد علمت أنك رأيت بعض
ما رأى الناس فمنعك عقلك وحلمك من أن تظهر ما أظهروا
وقد أحببت أن تعلمني رأيك فيما بيني وبينك فأعذر . قال ابن
عباس فقلت يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليتني بعد العافية وأدخلتني
في الضيق بعد السعة والله أن رأي لك أن يجلسنك ويعرف
قدرك وسابقتك والله لو ددت أنك لم تفعل ما فعلت مما
ترك الخليفتان قبلك فان كان شيئاً تركاه لما رأيا انه ليس لهما
علمت انه ليس لك كما لم يكن لهما وان كان ذلك لهما فتركا
خيفة أن ينال منهما مثل الذي نيل منك تركته لما تركاه له ولم
يكونا أحق باكرام أنفسهما منك باكرام نفسك . قال فما
منك أن تشير علي بهذا قبل أن أفعل ما فعلت قال وما علمي
أنك تفعل ذلك قبل أن تفعل قال فهب لي صمتاً حتى تري
رأني . قال فخرج ابن عباس فقال عثمان لمعاوية : ما تري فان

هؤلاء المهاجرين قد استعجلوا القدر ولا بد لهم مما في أنفسهم
 افقل معاوية الرأي أن تأذن لي فأضرب أعناق هؤلاء القوم
 قال من . قال عليّ وطاحه والزبير قال عثمان : سبحان الله
 أقتل أصحاب رسول الله بلا حدث أحدثوه ولا ذنب ركبوه
 قال معاوية فإن لم تقتلهم فأنهم سيقتلوك قال عثمان : لا أكون
 أول من خلف رسول الله في أمته بإهراق الدماء قال معاوية
 فاختر مني إحدى ثلاث خصال قال عثمان وما هي قال معاوية
 أرتب لك ههنا أربعة آلاف فارس من خيل أهل الشام
 يكونون لك رداءً وبين يديك يداً قال عثمان ارزقهم من أين
 قال من بيت المال قال عثمان ارزق أربعة آلاف من الجنـد من
 بيت مال المسلمين لحرز دمي لافعلت هذا . قال فثانية قال وما
 هي قال فرقهم عنك فلا يجتمع منهم اثنان في مصر واحد
 واضرب عليهم البعوث والندب حتى يكون دبر بعير احدهم
 أهم عليه من صلاته . قال عثمان سبحان الله شيوخ المهاجرين
 وكبار أصحاب رسول الله وبقية الشوري اخرجهم من ديارهم
 وافرق بينهم وبين اهلهم وابنائهم لا أفعل هذا قال معاوية فثالثة
 قال وما هي قال اجعل لي الطلب بدمك ان قتلت قال عثمان

٥٣

نعم هذه لك ان قتلت فلا يطلّ دمي . قال ثم خرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس ان نصيحتي كذبتني ونفسي منتني وقد سمعت رسول الله يقول : لا تتمادوا في الباطل فان الباطل يزداد من الله بعداً من أساء فليتب ومن أخطأ فليتب وانا أول من اتعظ والله اثنى ردى الحق عبداً لا نتسبى نسب العبيد ولا كونى كالمرقوق الذى ان ملك صبر وان أعتق شكر . ثم نزل فدخل على زوجته نائلة بنت الفرافصة ودخل معه مروان بن الحكم فقال : يا أمير المؤمنين أتكلم أو أسكت فقالت له نائلة : بل أسكت فوالله اثنى تكلمت لتغرنه ولتوبقنه فالتفت اليها عثمان مغضباً فقال اسكتى تكلم يا مروان فقال مروان : يا أمير المؤمنين انك والله لو قلت الذى قلت وانت في عز ومنعة لتابعتك ولكنك قلت الذى قلت وقد بلغ السيل الزبى ^(١) وجاوز الحزام الطبيين فانقض التوبة ولا تقر بالخطيئة .

﴿ ما أنكر الناس على عثمان رحمه الله ﴾ قال وذكروا انه اجتمع ناس من أصحاب النبي عليه السلام فكتبوا كتاباً ذكروا

(١) جمع زبية مصيدة الاسد ولا تتخذ الا فى قلة أو رابية تضرب مثلاً ما جاوز الحد

فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذووا القربى واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع دُور بناها بالمدينة داراً لثلاثة وداراً لعائشة وغيرها من أهله وبناته وبنيان مروان القصور بذي خشب (١) وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ورسوله وما كان من افشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية أحداث وغلبة لاصحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمور . وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم : ان شئتم ان أزيدكم صلاة زدتم . وتمطيله إقامة الحد عليه وتأخير ذلك عنه وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم وما كان من الحمى الذي حى حول المدينة وما كان من إداره القطائع والارزاق والاعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه السلام ثم لا يغزون ولا يذبون وما كان من

(١) ذو خشب موضع باليمن

مجاوزته الخيزران الى السوط وانه اول من ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وكانوا عشرة فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه الى عثمان والكتاب في يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقى وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شاة فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بني أمية فدفع اليه الكتاب فقرأه فقال له أنت كتبت هذا الكتاب قال نعم قال ومن كان معك قال كان معي نفر تفرقوا فرقا منك قال ومن هم قال لا أخبرك بهم قال فلم اجترأت على من بينهم فقال مروان يا أمير المؤمنين ان هذا العبد الاسود (يعني عمارا) قد جراً عليك الناس وانك ان قتله نكّلت به من وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمة زوج النبي عليه السلام فأدخل منزلها وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن

الوليد بن المغيرة فقال أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لا قتلن به رجلا عظيما من بني أمية فقال عثمان لست هناك . قال ثم خرج عثمان الى المسجد فاذا هو بعلي وهو شاكٍ معصوب الرأس فقال له عثمان والله يا أبا الحسن ما أدري أشتي موتك أم أشتي حياتك فوالله لئن مت ما أحب أن أبقى بعدك لغيرك لاني لا أجد منك خلفا ولئن بقيت لا أعدم طاعيا يتخذك سلا وعضداً ويُعدك كهذا وملجأ لا يمنعني منه إلا مكانه منك ومكانك منه فأنا منك كالأبن العاق من أبيه ان مات فجعه وان عاش عقه . فاما سلم فنسلم واما حرب فنحارب فلا تجعلني بين السماء والارض فإنك والله ان قتلتني لا تجد مني خلفاً ولئن قتلتك لا أجد منك خلفاً ولن يلي أمر هذه الامة باديء فتنة . فقال علي : ان فيما تكلمت به لجواباً ولكنني عن جوابك مشغول بوجعي فانا أقول كما قال العبد الصالح فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . قال مروان إنا والله اذاً لنكسرنّ رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون في هذا الامر خير لمن بعدنا فقال له عثمان : اسكت ما أنت وهذا فقام اليه رجل من المهاجرين فقال له يا عثمان أرايت ما حيت من الحمى

اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ فَقَالَ عَثْمَانُ أَنَّهُ قَدْ حَمَى الْحِمَى
 قَبْلَ عَمْرِو بْنِ لُبَّالٍ الصَّدَقَةَ وَأَنَّمَا زَادَتْ فَزَدَتْ فَقَامَ عَمْرُو بْنُ
 الْعَاصِ فَقَالَ : يَا عَثْمَانُ إِنَّكَ رَكَبْتَ بِالنَّاسِ نَهَايِرَ مِنَ الْأَمْرِ فَتَبَّ
 إِلَى اللَّهِ يَتُوبُوا فَرَفَعَ عَثْمَانُ يَدَيْهِ وَقَالَ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ تَائِبٍ إِلَيْكَ ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا عَثْمَانُ
 يَا بَالِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَأْخُذُونَ الْعَطَايَا وَلَا يَنْزَوْنَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَّمَا هَذَا الْمَالُ لِمَنْ غَزَا فِيهِ وَقَاتَلَ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ
 كَانَ مِنْ هَذِهِ الشُّيُوخِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ
 عَثْمَانُ فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَنْ كَانَ لَهُ
 مِنْكُمْ ضَرْعٌ فَلْيَلْحَقْ بِضَرْعِهِ وَمَنْ كَانَ لَهُ زَرْعٌ فَلْيَلْحَقْ بِزَرْعِهِ
 نَأْنَا وَاللَّهِ لَا نَعْطِي مَالَ اللَّهِ إِلَّا لِمَنْ غَزَا فِي سَبِيلِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ
 مِنْ هَذِهِ الشُّيُوخِ مِنَ الصَّحَابَةِ . قَالَ فَمَا بَالُ هَذَا الْقَاعِدِ
 لِشَارِبٍ لَا تَقِيمُ عَلَيْهِ الْحَدَّ (يَعْنِي الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ) فَقَالَ عَثْمَانُ
 عَلِيُّ دُونَكَ ابْنُ عَمِّكَ فَأَقِمْ عَلَيْهِ الْحَدَّ فَقَالَ عَلِيُّ لِلْحَسَنِ قُمْ فَاجْلِدْهُ
 قَالَ الْحَسَنُ مَا أَنْتَ وَذَلِكَ هَذَا لَعِيرُكَ قَالَ عَلِيُّ لَا وَلَكِنَّكَ
 عَجَزْتَ وَفَشَلْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قُمْ فَأَجْلِدْهُ فَقَامَ فَضْرِبَهُ
 عَلِيُّ يَمْدُ فَلَمَّا بَلَغَ أَرْبَعِينَ أَمْسَكَ وَقَالَ جَلَدَ رَسُولَ اللَّهِ أَرْبَعِينَ

الواضح الذي فارقتم عليه نبيكم وفارقكم عليه الخلفاء غلبنا على حقنا واستولى على فيثنا وحيل بيننا وبين أمرنا وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة وهي اليوم ملكا عضودا من غلب على شيء أكله . أليس هذا كتابكم إلينا ؟ فبكي طلحة فقال الاشتري لما حضرنا أقبلتم تعصرون أعينكم والله لانفارقه حتى نقتله وانصرف . قال ثم كتب عثمان كتابا بعثه مع نافع ابن طريف الى أهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين الى من حضر الحج من المسلمين أما بعد فاني كتبت اليكم كتابي هذا وأنا محصور أشرب من بئر القصر ولا آكل من الطعام ما يكفيني خيفة أن تنفذ ذخيرتي فأموت جوعاً أنا ومن معي لا أدعى الى توبة أقبلوا ولا تسمع مني حجة أقولها فأنشده الله رجلا من المسلمين باغه كتابي الا قدم على فأخذ الحق في ومنعني من الظلم والباطل . قال ثم قام ابن عباس فأتم خطبته ولم يعرض لشيء من شأنه . وكتب الى أهل الشام عامة والى

معاوية وأهل دمشق خاصة : أما بعد فاني في قوم طال فيهم مقامي واستعجلوا القدر في وقد خيروني بين أن يحملوني على شارف من الابل الدحيل وبين أنزع لهم رداء الله الذي كساني وبين أن أقيدهم ممن قتلت . ومن كان على سلطان يخطيء ويصيب فياغوثاه ياغوثاه ولا أمير عليكم دوني فالمجل العجل يامعاوية وأدرك ثم أدرك وما أراك تدرك .

﴿ تولية محمد بن أبي بكر علي مصر ﴾ قال وذكروا أن أهل مصر جاؤا يشكون ابن أبي سرح عاملهم فكتب اليه عثمان كتاباً يهدده فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتى قتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا الى أصحاب رسول الله في مواقيت الصلاة ما صنع بهم ابن أبي سرح فقام طلحة فتكلم بكلام شديد وأرسلت عائشة الى عثمان فقالت له قد تقدم اليك أصحاب رسول الله وسألك عزل هذا الرجل فأبيت الا واحدة فهذا قد قتل منهم رجلاً فأنصفهم من عاملك . ردخل عليه عليٌّ وكان متكلم القوم فقال له انما يسألونك رجلاً كان رجل وقد ادعوا قبله ذماً فأعزله عنهم واقض بينهم فان وجب

لهم عليه حق فأنصفهم منه فقال اختاروا رجلاً أوليه عليهم فقالوا استعمل محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين ابن أبي سرح وأهل مصر فخرج محمد ومن معه حتى اذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فاذا هم بسلام أسود على بعير يخبط البعير كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد ما قصتك وما شأنك كأنك طالب أو هارب فقال أنا غلام أمير المؤمنين وجهني الى عامل مصر فقال له رجل هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا أريد فأخبر محمد بأمره فبعث في طلبه رجلاً فجاء به اليه فقال له غلام من أنت فأقبل مرة يقول أنا غلام مروان ومرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين حتى عرفه رجل أنه لعثمان فقال له محمد الى من أرسلك قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال أما مبعك كتاب قال لا فقتشوه فلم يجدوا معه كتاباً قال وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا إداوته فاذا فيها كتاب من عثمان الى عبد الله ابن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار ثم فك الكتاب بمحضر منهم فقرأه فاذا فيه : اذا

٦٣

أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقتلهم وأبطل كتابهم وأقر على عملك حتى يأتيك رأيي فلما رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه ودفعه الى رجل منهم ثم قدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله ثم فكروا الكتاب بمحضر منهم وأخبرهم بقصة الغلام وأقرأهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة الا حنق على عثمان . وقام أصحاب النبي فلحقوا بمنزلهم وحصر الناس عثمان وأحاطوا به ومنعوه الماء والخروج ومن كان معه وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ﴿حصار أهل مصر والكوفة عثمان رحمه الله﴾ قال وذكروا أن أهل مصر أقبلوا الى علي فقالوا ألم ترعدوا الله ماذا كتب فينا قم معنا اليه فقد أحل الله دمه فقال علي لا والله لا أقوم معكم قالوا فلم كتبت لنا قال علي لا والله ما كتبت اليكم كتاباً قط فنظر بعضهم الى بعض ثم أقبلوا واشتر النخعي من الكوفة في الف رجل وأقبل ابن أبي حذيفة من مصر في أربع مائة رجل فأقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً وطلحة يحرض الفريقين جميعاً على عثمان ثم ان طلحة قال لهم ان عثمان

لا يبالي ما حصرتموه وهو يدخل اليه الطعام والشراب فامنعوه
الماء ان يدخل عليه .

﴿مخاطبة عثمان من أعلى القصر طلحة وأهل الكوفة وغيرهم﴾
قال وذكروا ان عثمان لما منع الماء صعد على القصر
واستوى في أعلاه ثم نادى أين طلحة فأتاه فقال يا طلحة أما
تعلم ان بئر رومة كانت لفلان اليهودي لا يسقي أحداً من الناس
منها قطرة الا بثمان فاشتريتها بأربعين ألفاً فجعلت رشائي فيها
كرشاء رجل من المسلمين لم استأثر عليهم ؟ قال نعم . قال فهل
تعلم ان أحداً يمنع ان يشرب منها اليوم غيري لم ذلك قال لانك
بدلت وغيرت . قال فهل تعلم ان رسول الله قال من اشترى
هذا البيت وزاده في المسجد فله به الجنة فاشتريته بعشرين
ألفاً وأدخلته في المسجد قال طلحة نعم قال فهل تعلم اليوم احداً
يمنع فيه من الصلاة غيري قال لا قال لم قال لانك غيرت
وبدلت . ثم انصرف عثمان وبعث الى علي يخبره انه منع من
الماء ويستغيث به فبعث اليه على ثلاث قرب مملوءة ماء فما
كادت تصل اليه فقال طلحة ما أنت وهذا وكان بينهما في ذلك
كلام شديد فينهما كذلك اذ أتاهم آت فقال لهم ان معاوية قد

بعث من الشام يزيد بن أسيد ممدًا لعمان في أربعة آلاف هن خيل الشام فاصنعوا ما أتم صانعون والا فانصرفوا . وكان معه في الدار مائة رجل ينصرونه منهم عبد الله بن الزبير ومروان ابن الحكم والحسن بن علي وعبد الله بن سلام وأبو هريرة فلما سمع القوم اقبال أهل الشام قاموا فألهبوا النار بباب عمان فلما نظر أهل الدار الى النار نصبوا للقتال وتهيئوا فكره ذلك عثمان قال لا أريد أن تهرق في محجمة دم وقال لجميع من في الدار أتم في حل من بيعتي لا أحب أن يقتل في أحد وكان فيهم عبد الله بن عمر فقال يا أمير المؤمنين مع من تأمرني أكون ان غلب هؤلاء القوم عليك قال عليك بلزوم الجماعة قلت فان كانت الجماعة هي التي تغلب عليك قال عليك بلزوم الجماعة حيث كانت قال ثم دخل عليه الحسن بن علي فقال صرني بما شئت فاني طوع يديك فقال له عثمان ارجع يا ابن أخي اجلس في بيتك حتى يأتي الله بأمره ثم دخل عليه أبو هريرة متقلداً سيفه فقال طاب الغراب يا أمير المؤمنين قد قتلوا منا رجلاً وقد ألهبوا النار فقال عثمان عزممت عليك يا أبا هريرة الا ألقيت سيفك قال أبو هريرة فألقيته فلا أدري من أخذه

قال ودخل المغيرة بن شعبة فقال له يا أمير المؤمنين ان هؤلاء قد اجتمعوا عليك فان أحببت فألحق بمكة وان أحببت أن تحرق لك باباً من الدار فتلحق بالشام ففيها معاوية وأنصارك من أهل الشام وان أبيت فاخرج ونخرج ونحاكم القوم الى الله تعالى فقال عثمان أما ما ذكرت من الخروج الى مكة فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الأمة من الانس والجن فلن أكون ذلك الرجل ان شاء الله وأما ما ذكرت من الخروج الى الشام فان المدينة دار هجرتي وجوار قبر النبي عليه السلام فلا حاجة لي في الخروج من دار هجرتي وأما ما ذكرت من محاكمة هؤلاء القوم الى الله فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته باهراق الدم ثم قال اني رأيت أبا بكر وعمر أتيا نبي الليلة فقالا لي صم فانك مفطر عندنا الليلة واني أصبحت صائماً واني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الا اخرج من الدار سالماً فقالوا انا ان خرجنا لم نأمن على أنفسنا منهم فاذن لنا فنكون في موضع من الدار فلما رأى ذلك عليّ بعث الى طلحة والزبير وسعد

وعمار ونفر من أصحاب محمد كلهم بدرى ثم دخلوا على عثمان ومعهما الكتاب والغلام والبعير فقال علي الغلام غلامك والبعير بعيرك فقال نعم قال فأنت كتبت هذا الكتاب قال لا وخلف بالله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال له فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وكتابك عليه خاتمك لا تعلم به خلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا وجهت ولا أمرت فشك القوم في أمر عثمان وعلموا أنه لا يخلف بباطل فقال قوم منهم لا يبرأ عثمان عن قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نعرف كيف يأمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله وقطع أيديهم بغير حق فإن كان عثمان كتبه عزلناه وإن كان مروان كتبه نظرنا في أمره وما يكون في أمر مروان فانصرف القوم عنه ولزموا بيوتهم وأبي عثمان أن يخرج إليهم مروان وخشى عليه القتل . فبلغ عليا أن عثمان يراد قتله فقال أنا أردنا مروان فاما قتل عثمان فلا ثم قال للحسن والحسين اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان ولا تدعا أحداً يصل إليه وبعث الزبير ابنه على كره وبعث طلحة ابنه كذلك وبعث عدة من أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس ان يدخلوا على عثمان ويسألوه
 ان يخرج مروان فاشرف عليهم عثمان من أعلى القصر فقال :
 يا معشر المسلمين اذ كرّم الله ألسنكم تعلمون ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم طلب دار بني فلان ليوسع بها للمسلمين في
 مسجدكم فاشتريتها من خالص مالي وأنتم اليوم تمنعوني ان
 أصلي فيه اذ كرّم الله يا معشر المسلمين ألسنكم تعلمون ان بر
 رومة كانت تباع القربة منها بدرهم فاشتريتها من خالص مالي
 فجعلت رشائي كرشاء واحد من المسلمين وأنتم تمنعوني ان
 اشرب من مائها وأنا اشتريتها حتى اني ما أفطر الا على ماء البحر
 ألسنكم تعلمون انكم تقسم على أشياء فاستغفرت الله وتبت اليه
 منها وتزعمون اني غيرت وبدلت فابعثوا على شاهدين مسلمين
 والا فاحلف بالله الذي لا اله الا هو ما كتبت الكتاب ولا
 أمرت به ولا اطلعت عليه . يا قوم لا تجر منكم شِقَاقِي أن يصيبكم
 مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح يا قوم
 لا تقتلوني فانكم ان قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين أصابعه
 يا قوم ان الله رضي لكم السمع والطاعة وحذركم المعصية والفرقة
 فاقبلوا نصيحة الله واحذروا عقابه فانكم ان فعلتم الذي أنتم

٦٩

فاعلمون لا تقوم الصلاة جميعاً ويسلط عليكم عدوكم واني أخبركم ان قوماً أظهروا للناس انهم انما يدعوتني الى كتاب الله تعالى والحق فلما عرض عليهم الحق رغبوا عنه وتركوه وطال عليهم عمري واستعجلوا القدر بي وقد كانوا كتبوا اليكم انهم قد رضوا بالذي أعطيتهم ولا أعلم اني تركت من الذي عاهدتهم عليه شيئاً وكانوا زعموا انهم يطلبون الحدود وترك المظالم وردوها الى أهلها فرضيت بذلك وقالوا يؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ومثلهما من ذوي القوة والامانة وكل ذلك فعلت فلم يرضوا وحالوا بيني وبين المسجد فابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة وهم يخبروني بين احدى ثلاث أما ان يقيدوني بكل رجل أصبت خطأ أو عمداً وأما ان اعتزل عن الامر فيؤمروا أحداً وأما ان يرسلوا الى من أطاعهم من الجنود وأهل الانصار فارسلوا اليكم فأتيتم لتبتزوني من الذي جعل الله لي عليكم من السمع والطاعة فسمعت منهم واطعتموهم والطاعة لي عليكم دونهم فقلت لهم أما اقادة من نفسي فقد كان قبلي خلفاً ومن يتولى السلطان يخطي ويصيب فلم يسقتد من أحد منهم وقد علمت انهم يريدون بذلك نفسي وأما .

ان أتبرأ من الامر فان يصلبوني أحب الى من أتبرأ من جنة الله تعالى وخلافته بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى : يا عثمان ان الله تعالى سيقمصك قميصاً بعدى فان ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن أتوها طائعين يبتغون بذلك مرضاة الله وصلاح الامة ومن يكن منهم يبتغى الدنيا فلن ينال منها الا ما كتب له فاتقوا الله فاني لا أَرْضى لكم ان تنكثوا عهد الله واني انشدكم الله والاسلام ان لا تأخذوا الحق ولا تعطوه منى وما برىء نفسى ان النفس لأماراة بالسوء الا ما رحم ربي واني عاقبت اقواماً وما ابتغى بذلك الا الخير واني اتوب الى الله من كل عمل عملته واستغفره . اما والله لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يحل دم امرئ مسلم الا في احدي ثلاث الردة عن الاسلام والزنا بعد الاحصان ولا والله ما كان ذلك منى في جاهلية ولا اسلام او رجل قتل رجلاً فيقاده . فقال بعضهم انه ليقول مقالا وقال آخر لئن سمعتم منه ليصرفنكم فابوا ورموه بالسهام واستقبلوه بما لا يستقبل مثله ثم اشرف عليهم عبد الله بن سلام وكان من اهل الدار فقال يا معشر من حاصر دار عثمان من المهاجرين والانصار

ممن انعم الله عليهم بالاسلام لا تقتلوا عثمان فوالله ان حقه على كل
 مؤمن كحق الوالد على ولده ووالله ان على حوائط المدينة اثني عشر
 الف ملك منذ أمد الله بهم نبيكم صلى الله عليه وسلم ووالله لئن
 قتلتموه ليسخطن عليكم ربكم ولتتفرقن ملائكته عنكم وليقتلن
 بقتله أقواما هم في الاصلاب والارحام وما خلقوا . وأنى لأجده
 في التوراة التي أنزل الله على موسى عليه السلام وكتب بيده
 عز وجل اليكم بالعبراني وبالعربي خليفتم المظلوم الشهيد
 والذي نفسي بيده لئن قتلتموه لا تؤبدى بعده طاعة الا عن
 مخافة ولا توصل رحم عن مكافأة وليقتلن به الرجال ومن في
 الاصلاب فقالوا له أيا يهودي أشبع بطنك واكسي ظهرك
 والله لا ينتطح فيه شاتان ولا يتناقر فيه ديكان فقال أما الشاتان
 والديكان فصدقتم ولكن التيسان الا كبران يتناطحان فيه
 فخصبوه ورموه حتى شجوه فالتفت الى عثمان فقال له زعموا
 انك أشبعت بطني وكسوت ظهري فاصبر يا أمير المؤمنين
 فوالذي نفسي بيده اني أجذك في كتاب الله تعالى المنزل الخليفة
 المظلوم الشهيد فرميت بالسهم من كل جانب وكان الحسن بن
 علي حاضراً فأصابه سهم فخضبه الدم وأصاب مروان سهم

وهو في الدار وخضب محمد بن طلحة وشجع قنبر مولى علي نخشي محمد بن أبي بكر ان يغضب بنو هاشم للحسن فيسيرونها فتنة . ﴿ قتل عثمان رضي الله عنه وكيف كان ﴾ قال وذكروا ان محمد بن أبي بكر لما خرج الحسن بن علي أخذ بيد رجلين فقال لهم ان جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما يريدون ولكن قوموا حتى تتسور عليه فنقلته من غير ان يعلم أحد فتسوز هو وصاحباؤه من دار رجل من الانصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لان كل من معه كان فوق البيت ولم يكن معه الا امرأته فدخل عليه محمد بن أبي بكر فصرعه وقعد على صدره وأخذ بلحيته وقال يا نَعْل (١) ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن عامر وابن أبي سرح فقال له عثمان : لو رأي أبيك رضي الله عنه لبكاني ولساءه مكالمك مني فتراخت يده عنه وقام عنه وخرج فدعا عثمان بوضوء فتوضأ وأخذ مصحفاً فوضعه في حجره ليحترمه به ودخل عليه رجل من أهل الكوفة

(١) النعل الشيخ الاحق . ورجل لحياني كان يشبه به

عثمان رضي الله عنه

يَمِشَقَصُ^(١) في يده فوجاً بها منكبه مما يلي الترقوة فأدماه
 ونضع الدم على ذلك المصحف وجاء آخر فضربه برجله وجاء
 آخر فوجاً بقاتم سيفه ففشي عليه ومحمد بن أبي بكر لم يدخل
 مع هؤلاء فتصايح نساؤه ورش الماء على وجهه فأفاق فدخل
 محمد بن أبي بكر وقد أفاق فقال له أي نعشل غيرت وبدلت
 وفعلت ثم دخل رجل من أهل مصر فأخذ بلحيته فنتف منها
 خصلة وسل سيفه وقال افرجوا لي فعلاه بالسيف فتلقاء عثمان
 بيده فقطعها فقال عثمان أما والله أنها أول يد خطت المفصل^(٢)
 وكتبت القرآن . ثم دخل رجل أزرق قصير مجذرو معه جُزر
 من حديد فمشى إليه فقال على أي ملة أنت يا نعشل فقال لست
 بنعشل ولكني عثمان بن عفان وأنا على ملة إبراهيم حنيفاً وما
 أنا من المشركين قال كذبت وضربه بالجزر على صدغه
 الأيسر ففسله الدم وخرَّ على وجهه وحالت نائلة بنت الفرافصة
 زوجته بينه وبينه وكانت جسيمة وألقت بنت شيبه
 نفسها عليه ودخل عليه رجل من أهل مصر ومعه سيف

(١) المشقص كقبر نصل عريض أو سهم فيه ذلك (٢) المفصل

من القرآن من الحجرات الى آخره وسمي لكثرة الفصول بين سورة

مصلت فقال والله لأقطعن أنفه فعالج امرأته عنه فكشف عنها
 درعها فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها
 فضربت على السيف فقطع أناملها فقالت يارباح غلام لعثمان
 أسود ومعه سيف أعن عني هذا فضربه الأسود فقتله ثم
 دخل آخر معه سيف فقال افرجوا الى فوضع ذباب السيف
 في بطن عثمان فامسكت نائلة زوجته السيف فخر أصابعها ومضي
 السيف في بطن عثمان فقتله فخرجت امرأته وهي تصيح
 وخرج القوم هارين من حيث دخلوا فلم يسمع صوت نائلة
 لما كان في الدار من الجلبة فصعدت امرأته الى الناس فقالت
 ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان
 معها فوجدوا عثمان مقتولا قد مثل به فأكبوا عليه يبكون
 وخرجوا فدخل الناس فوجدوه مقتولا فبلغ علياً الخبر وطلحة
 والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم
 فدخلوا عليه واسترجعوا واكبوا عليه يبكون ويعولون حتى
 غشي على علي ثم أفاق فقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين
 وأنتما على الباب فرفع يده فضرب الحسن والحسين وشتم محمد
 ابن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير وخرج علي وقد سلب عقله

لا يدري ما يستقبل من أمره فقال طلحة مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال ياطلحة يقتل أمير المؤمنين ولم نعم عليه بينة ولا حجة فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال على لو دفع مروان قتل قبل ان تقوم عليه حكومة فخرج على فأتى منزله وأغلق الباب . وكتبت نائلة بنت القرافصة الى معاوية تصف دخول القوم على عثمان وأخذه المصحف ليتحرم به وما صنع محمد بن أبي بكر وأرسلت بقميص عثمان مضرجاً بالدم ممزقاً وبالخصلة التي نثفها محمد بن أبي بكر من لحيته فعمدت الشعر في زر القميص ثم دعت النعمان بن بشير الانصارى (١) فبعثته الى معاوية ومضى بالقميص حتى أتى على يزيد بن أسيد ممدأ لعثمان بعثه معاوية في أربعة آلاف فاخبرهم بقتل عثمان فانصرفوا الى الشام قال ثم دخل أهل مصر الدار فلما رأوا عثمان مقتولا ندموا واستحيوا وكره أكثرهم ذلك وثار أهل الدار في وجوههم فأخرجوهم منها ثم اقتتلوا عند الباب فضرب مروان بالسيف فصرع
﴿ دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾ قال وذكروا ان

(١) النعمان هذا أبوه بشير بن سعد المتقدم ذكره

عبد الرحمن بن أزهر قال لم أكن دخلت في شيء من أمر
عثمان لأعليه ولأله فأتى لجالس بفناء دارى ليلاً بعد ما قتل
عثمان بليلة اذ جاءني المنذر بن الزبير فقال ان أخي يدعوك فقم
اليه فقال لي إنا أردنا ان ندفن عثمان فهل لك قلت والله ما دخلت
في شيء من شأنه وما أريد ذلك فانصرفت عنه ثم اتبعته فإذا
هو في نفر فيهم جبير بن مطعم وأبو الجهم بن حذيفة والمسور
ابن مخرمة وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير فاحتملوه
على باب وان رأسه ليقول طق طق فوضعوه في موضع الجناز
فقام اليهم رجال من الانصار فقالوا لهم لا والله لا تصلون عليه
فقال أبو الجهم الا تدعوننا صلى عليه فقد صلى الله تعالى عليه
وملائكته فقال له رجل منهم ان كنت فأدخلك الله مدخله فقال
له حشرني الله معه فقال له ان الله حاشرك مع الشياطين والله
ان تركناكم به لعجز منا فقال القوم لا بى الجهم اسكت عنهم
وكف فسكت فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين كاني أسمع وقع
رأسه على اللوح حتي وضعوه في أدنى البقيع فاتاهم جبلة بن
عمرو والساعدي من الانصار فقال لا والله لا تدفنوه في بقيع
رسول الله ولا تترككم تصلون عليه . فقال أبو الجهم انطلقوا بنا

ان لم نصل عليه فقد صلى الله عليه فخرجوا ومعهم عائشة بنت
عثمان معها مصباح في حق حتى اذا اتوا به جسر كوكب (١)
حفروا له حفرة ثم قاموا يصلون عليه وأمرهم جبير بن مطعم
ثم دلوه في حفرة فلما رآته ابنته صاحت فقال ابن الزبير والله
لئن لم تسكتي لأضربن الذي فيه عينيك فدفنوه ولم يلحدوه
بأين وحثوا عليه انتراب حثوا

﴿بيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكيف كانت﴾
قال وذكروا انه لما كان في الصباح اجتمع الناس في المسجد
وكثر الندم والتأسف علي عثمان رحمه الله وسقط في أيديهم
وأكثر الناس على طلحة والزبير واتهما بقتل عثمان فقال
الناس لهما أيها الرجلان قد وقعتما في أمر عثمان نخليا عن أنفسكما
فقام طلحة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انا والله ما نقول اليوم
الا ما قلناه أمس إن عثمان خلط الذنب بالتوبة حتى كرهنا
ولايته وكرهنا أن نقتله وسرنا أن نكفاه وقد كثر فيه اللجاج
وأمره الى الله ثم قام الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها
الناس ان الله قد رضي لكم الشورى فأذهب بها الهوى وقد

(١) جسر كوكب موضع بالمدينة

تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه وأما قتل عثمان فانا نقول فيه أن أمره الى الله وقد أحدث أحدائنا والله وليه فيما كان . فقام الناس فأتوا علياً في داره فقالوا نبايعك فمد يدك لا بدمن أمير فأنت أحق بها فقال ليس ذلك اليكم انما هو لأهل الشورى وأهل بدر فمن رضي به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة فنجتمع وننظر في هذا الامر فأبى أن يبايعهم فانصرفوا عنه وكلم بعضهم بعضاً فقالوا يعزى قتل عثمان في الآفاق والبلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون أنه ببيع لأحد بعده فيثور كل رجل منهم في ناحية فلا نأمن أن يكون في ذلك الفساد . فارجعوا الى عليّ فلا تتركوه حتى يبايع فيسير مع قتل عثمانبيعة على فيطمئن الناس ويسكنون فرجعوا الى علي وترددوا الى الاشترا النخعي فقال لعل ابسط يدك نبايعك فقال له مثل ما قال لهم فقال الاشتروا الله لتمدّن يدك نبايعك اولتصرن عينيك عليها ثلاثة ولم يزل به يكلمه ويخوفه الفتنة ويذكر له انه ليس أحديشبهه فبديده فبايعه الاشتري ومن معه ثم اتوا طليحة فقالوا له اخرج فبايع قال من؟ قالوا علياً قال تجتمع الشورى وتنظر فقالوا اخرج فبايع فامتنع عليهم فجأوا به يلبونه فبايعه بلسانه ومنعه يده فقال ابو ثور

كنت فيمن حاضر عثمان فكنت آخذ سلاحى وأضعه وعلى ينظر الى لا يأمرني ولا ينهاني فلما كانت البيعة له خرجت في أثره والناس حوله يبايرونه فدخل حائطاً من حيطان بني مازن فألجؤه الى نخلة وحالوا بيني وبينه فنظرت اليهم وقد أخذت أيدي الناس ذراعه تختلف أيديهم على يده ثم أقبل الى المسجد الشريف وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده وكانت أصابعه شلاً فتطير منها على فقال ما أخلقها ان تنكث ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً ثم نزل فدعا الناس وأمر بطلب مروان فهرب منه وطلب نفرًا من بني أمية وابن أبي معيط فهربوا وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان رحمه الله فقال لها عمار بالامس تحرضين عليه الناس واليوم تبكيه ثم جاء على الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدري دخل عليه رجال لا أعرفهم الا ان ارى وجوههم وكان معهم محمد بن ابي بكر فدعا على محمدًا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد صدقت قد والله دخلت عليه فذكر لي أبي فقامت عنه وأنا تأتب الى الله تعالى والله ما قتله ولا أمسكته فقالت صدق ولكن هو أدخلهم

قال ثم خرج طلحة فلقى عائشة فقالت له ما صنع الناس قال قتلوا
عثمان قالت ثم ما صنعوا قال بايعوا علياً ثم أتوني فأكرهوني
وليبوني حتى بايعت قالت وما لعلني يستولي على رقابنا لا أدخل
المدينة ولعلني فيها سلطان فرجعت وكان الزبير خارجاً لم يشهد
قتل عثمان وكان عمرو بن العاص بفلسطين يوم قتل عثمان فطلع
عليه راكب من الحجاز فقال له ما وراءك قال تركت عثمان
محصوراً فقال عمرو قد يضرب البعير والمكواة في النار ثم لبث
أياماً فطلع عليه راكب آخر فقال له عمرو ما الخبر قال قتل عثمان
قال فما فعل الناس فقال بايعوا علياً قال فما فعل علي في قتلة عثمان
قال دخل عليه الوليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال ما أمرت ولا
نهيته ولا سرنني ولا ساءني قال فما فعل بقتلة عثمان فقال آوى
ولم يرض وقد قال له مروان إن لا تكن أمرت فقد توليت الأمر
وإن لا تكن قتلت فقد آويت القاتلين فقال عمرو بن العاص خلط
والله أبو الحسن: قال ثم كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي
وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولى كبره فكتب
إليه سعد: إنك سألتني من قتل عثمان وأنا أخبرك أنه قتل
بسيف سائه عائشة وصقله طلحة وسماه ابن أبي طالب وسكت

الزبير وأشار بيده وامسكنا نحن ولو شئنا دفعنا عنه ولكن
عثمان غيرٌ وتغير وأحسن وأساء فان كنا أحسننا فقد أحسننا
وان كنا أسأنا فنستغفر الله وأخبرك ان الزبير مغلوب بغلبة
أهله وبطلبه بذنبه وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب
الإمارة لشقه قال وكان ابن عباس غائباً بمكة المشرفة فأقبل
الى المدينة وقد بايع الناس علياً قال ابن عباس فوجدت عنده
المغيرة ابن شعبة فجلست حتى خرج ثم دخلت عليه فسألتني
وسألته ثم قلت له ما قال لك الخارج من عندك آنفاً قال قال
لي قبل هذه الدخلة أرسل الى عبد الله بن عامر بعهدده على
البصرة والى معاوية بعهدده على الشام فانك تهدي عليك
البلاد وتسكن عليك الناس ثم أتاني الآن فقال لي اني كنت
أشرت عليك برأي لم أتعبه فلم أر ذلك رأياً واني أرى ان تنبذ
اليهما العداوة فقد كفاك الله عثمان وهما أهون مودة منه
فقال له ابن عباس أما المرة الاولى فقد نصحتك فيها وأما الثانية
فقد غشك فيها قال فاني قد وليتك الشام فسر اليها قال قلت
ليس هذا برأي أترى معاوية وهو ابن عم عثمان مخلصاً بيني وبين
عمله ولست آمن ان ظفر بي ان يقتلني بعثمان وأدني ما هو صانع

ان يحبسني ويحكم عليّ ولكن أكتب الى معاوية فنه وعده
 فان استقام لك الامر فابعثني قال ثم أرسل بالبيعة الى الآفاق
 والى جميع الامصار فجاءته البيعة من كل مكان الا الشام فانه لم
 يأتها منها بيعة . فأرسل الى المغيرة بن شعبه فقال له سر الى
 الشام فقد وليتكها قال تبعثني الى معاوية وقد قتل ابن عمه
 ثم آتته والياً فيظن اني من قتلة ابن عمه ولكن ان شئت
 أبعث اليه بمهده فانه بالحري اذا بعثت له بمهده يسمع ويطيع
 فكتب على الى معاوية: أما بعد فقد وليتك ما قبلك من الامر
 والمال فبايع من قبلك ثم اقدم اليّ في ألف رجل من أهل الشام .
 فلما أتت معاوية كتاب على دعا بطوماً فكتب فيه من معاوية
 الى علي: أما بعد فإنه

ليس بيني وبين قيس عتاب * غير طعن الكلى وضرب الرقاب
 فلما أتت عليا الكتاب ورأى مافيه وما هو مشتمل عليه
 كره ذلك وقام فأتى منزله فدخل عليه الحسن ابنه فقال
 له : أما والله كنت أمرتك فعصيتي فقال له عليّ وما أمرتني
 به فعصيتك فيه قال أمرتك ان تركب رواحك فتلحق بمكة
 المشرفة فلا تهتم به ولا تحل شيئاً من أمره فعصيتني وأمرتك

٨٣

حين دعيت الى البيعة ان لا تبسط يدك الا على بيعة جماعة
فمصيتني وأمرتك حين خالف عليك طلحة والزبير ان
لا تكرهما على البيعة وتخلي بينهما وبين وجههما وتدع الناس
يتشاورون عاماً كاملاً فوالله لو تشاوروا عاماً مازويت عنك
ولا وجدوا منك بداً وأنا آمرك اليوم ان تقيلهما بيعتهما
وترد الى الناس أمرهم فان رفضوك رفضتهم وان قبلوك قبلتهم
فاني والله قد رأيت الغدر في رؤسهم وفي وجوههم النكت
والكراهية . فقال له علي أنا اذاً مثلك لا والله يا بني ولكن
أقاتل بمن أطاعني من عصائي وأيم الله يا بني ما زلت مبغياً على
منذ هلك جدك فقال له الحسن وأيم الله يا بني ليظهرن عليك
معاوية لانه من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فقال علي يا بني
وما علينا من ظلمه والله ما ظلمناه ولا أمرنا ولا نصرنا عليه ولا
كتبنا فيه الى أحد سواداً في بياض وانك لتعلم ان اباك
أبرأ الناس من دمه ومن أمره فقال له الحسن: دع عنك هذا
والله اني لا أظن بل لا أشك ان ما بالمدينة عاتق ولا عذراء ولا
صبي الا وعليه كفيل من دمه فقال يا بني انك لتعلم ان اباك
قد رد الناس عنه مراراً أهل الكوفة وغيرهم وقد أرسلتكما

جميعاً بسيفيكما لتتصرانه وتموتان دونه فيها كما عن القتال ونهى
أهل الدار أجمعين وأيم الله لو أمرني بالقتال لقاتلت دونه أو
أموت بين يديه قال الحسن دع عنك هذا حتى يحكم الله بين عباده
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. قال ثم دخل المغيرة بن شعبة
فقال له علي هل لك يا مغيرة في الله قال فأين هو يا أمير
المؤمنين قال تأخذ سيفك فتدخل معنا في هذا الامر فتدرك
من سبقك وتسبق من معك فاني أرى أموراً لا بد للسيوف أن
تشحذ لها وتقطف الرؤس بها فقال المغيرة اني والله يا أمير المؤمنين
ما رأيت عثمان مصيباً ولا قتله صواباً وأنها لمظلمة تتلوها ظلمات
فأريد يا أمير المؤمنين ان أذنت لي ان أضع سيفي وأنا في بيتي
حتى تنجلي الظلمة ويطلع قمرها فتسري مبصرين نقفوا آثار
المهتدين ونتقى سبيل الجائرين قال علي قد أذنت لك فكن
من أمرك على ما بدالك. فقام عمار فقال معاذ الله يا مغيرة تقعد أعمى
بعد أن كنت بصيراً يغلبك من غلبته ويسبقك من سبقته أنظر
ماترى وما تفعل فأما أنا فلا أكون الا في الرعيل الاول. فقال له
المغيرة يا أبا اليقظان اياك ان تكون كقاطع السلسلة فر من الضحل
فوقع في الرمضاء فقال علي لعمار دعه فانه لن يأخذ من

الآخرة الا ماخالطته الدنيا أما والله يامغيرة انها المتوبة المؤدية
تؤدي من قام فيها الى الجنة ولما اختار بدمها فاذا غشيناك قم
في بيتك فقال المغيرة انت والله ياأمير المؤمنين اعلم مني واثني
لم أقاتل معك لا أعين عليك فان يكن ما فعلت صوابا
فاياه أردت وان خطأ فمنه نجوت ولى ذنوب كثيرة لا قبل
لي بها الا الاستغفار منها .

﴿خطبة على بن أبي طالب كرم الله وجهه﴾ قال وذكروا
ان البيعة لما تمت بالمدينة خرج على المسجد الشريف فصعد
المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعد الناس من نفسه خيراً
وتألفهم جهده ثم قال: لا يستغنى الرجل وان كان ذا مال وولد
عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم . هم أعظم الناس
حيطة من ورائه واليهم سعيه وأعظمهم عليه ان أصابته مصيبة
أو نزل به بعض مكاره الامور ومن يقبض يده عن عشيرته
فانه يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ومن
يسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله له ما أنفق
في دنياه ويضاعف له في آخريته . واعلموا ان لسان صدق يجعله
الله للمرء في الناس خيراً له من المال فلا يزدادن أحدكم

كبرياء ولا عظمة في نفسه ولا يغفل أحدكم عن القرابة ان
يصلها بالذي لا يزيده ان أمسكه ولا ينقصه ان أهلكه .
واعلموا ان الدنيا قد أدبرت والآخرة قد أقبلت الا وان
المضمار اليوم والسبق غداً الا وان السبقة الجنة والغاية النار
الا ان الامل يشمى القلب ويكذب الوعد ويأتي بغفلة ويورث
حسرة فهو غرور وصاحبه في عناء فافزعوا الى قوام دينكم
واتمام صلاتكم وأداء زكاتكم والنصيحة لامامكم وتعلموا
كتاب الله وأصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأوفوا بالعهد اذا عاهدتم وأدوا الأمانات اذا ائتمتم
وارغبوا ثواب الله وارهبوا عذابه واعلموا بالخير تجزوا بالخير
يوم يفوز بالخير من قدم الخير

﴿ اختلاف الزبير وطلحة على عليّ كرم الله وجهه ﴾ قال
وذكروا ان الزبير وطلحة اتيا عليا بمد فراغ البيعة فقالا هل
تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين قال على نعم على السمع والطاعة
وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان فقالا : لا ولكننا بايعناك
على انا شريكك في الامر قال على لا ولكنكما شريكان في القول
والاستقامة والعون علي المعجز والاولاد قال وكان الزبير

٨٧

لايشك في ولاية العراق وطلحة في اليمن فلما استبان لهما ان عليا غير موليها شيئا أظهر الشكاة فتكلم الزبير في ملا من قريش فقال هذا جزاؤنا من علي قناله في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس في بيته وكفي الامر فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيمونا فقال طلحة ما اليوم الا انا كنا ثلاثة من أهل الشوري كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه ما في أيدينا ومنعنا ما في يده فاصبحنا قد أخطأنا مارجونا . قال فأنهى قولهما الى علي فدعا عبد الله بن عباس وكان استوزره فقال له بلغك قول هذين الرجلين قال نعم بلغني قولهما قال فما ترى قال أرى أنهما أحبا للولاية فول البصرة الزبير وول طلحة الكوفة فانهما ليسا بأقرب اليك من الوليد وابن عامر من عثمان فضحك علي ثم قال ويحك ان العراقيين بهما الرجال والاموال ومتى تملكنا رقاب الناس يستميلوا السفية بالطمع ويضربوا الضعيف بالبلاء ويقويا على القوى بالسلطان ولو كنت مستعملا أحدا لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ولولا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية لكان لي فيهما رأى قال ثم أتى طلحة والزبير الى علي فقالا يا أمير المؤمنين ائذن لنا الى العمرة

فان تقم الى انقضائها رجعنا اليك وأن تسر تتبعك فنظر اليهما عليّ وقال نعم والله ما العمرة تريدان ان تمضيا الى شأنكما فمضيا
 وخلاف عائشة رضي الله عنها على عليّ ؑ قال وذكروا
 ان عائشة لما أتاه ابيه بويح لعلّ وكانت خارجة عن المدينة
 فقيل لها قتل عثمان وبايع الناس عليا فقالت ما كنت أبالي ان
 تقع السماء على الارض قتل والله مظلوما وأنا طالبة بدمه فقال
 لها عبيد أنا أول من طعن عليه وأطعم الناس فيه لانت ولقد
 قلت اقتلوا نعثلا فقد فجر فقالت عائشة قد والله قلت وقال
 الناس وآخر قولي خير من أوله فقال عبيد عذر والله ضعيف
 يأم المؤمنين . ثم قال

منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
 وانت أمرت بقتل الاما * م وقلت لنا انه قد فجر
 فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر
 قال فلما أتى عائشة خبر أهل الشام انهم ردوا بيعة علي
 وأبوا ان يبايعوه أمرت فعمل لها هودج من حديد وجعل فيه
 موضع عينيها ثم خرجت ومعها الزبير وطلحة وعبد الله ابن
 الزبير ومحمد بن طلحة .

﴿اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن
 مسلمة عن مشاهدة علي وحروبه﴾ قال وذكروا ان عمار بن
 ياسر قام الى علي فقال يا أمير المؤمنين ائذن لي آتي عبد الله ابن
 عمر فأكله لعله يخف معناني هذا الامر فقال علي نعم فأتاه
 فقال له يا أبا عبد الرحمن انه قد بايع عليا المهاجرون والانصار
 ومن ان فضلناه عليك لم يخطك وان فضلناك عليه لم يرضك
 وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة وقد علمت أن علي
 القاتل القتل وعلى المحصن الرجم وهذا يقتل بالسيف وهذا
 يقتل بالحجارة وان عليا لم يقتل أحداً من أهل الصلاة فيلزمه
 حكم القاتل فقال ابن عمر يا أبا اليقظان ان أبي جمع أهل الشوري
 الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ
 فكان أحقهم بها علي غير انه جاء أمر فيه السيف ولا أعرفه
 واسكن والله ما أحب ان لي الدنيا وما عليها واني أظهرت
 وأضمرت عداوة علي قال فانصرف عنه فاخبر عليا بقوله
 فقال علي لو أتيت محمد بن مسلمة الانصاري فأتاه عمار فقال
 له محمد مرحباً بك يا أبا اليقظان على فرقة ما بيني وبينك والله
 لولا ما في يدي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبأيت علياً

ولو ان الناس كلهم عليه لكنت معه ولكنه ياعمار كان من النبي أمر ذهب فيه الرأي فقال عمار كيف . قال قال رسول الله اذا رأيت المسلمين يقتلون أو اذا رأيت أهل الصلاة فقال عمار فان كان قال لك اذا رأيت المسلمين فوالله لا ترى مسلمين يقتلاني بسيفيهما أبداً وان كان قال لك أهل الصلاة فمن سمع هذا منك انما أنت أحد الشاهدين فتريد من رسول الله قولاً بصد قوله يوم حجة الوداع : دماؤكم وأموالكم عليكم حرام الا بحدث . فتقول يا محمد لا نقاتل المحدثين قال حسبك يا أبا اليقظان . قال ثم أتى سعد بن أبي وقاص فسلمه فأظهر الكلام القبيح فانصرف عمار الى عليّ فقال له علي : دع هؤلاء الرهط أما ابن عمر فضيف وأما سعد فحسود وذنبى الى محمد بن مسلمة اني قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهودي ﴿ هروب مروان بن الحكم من المدينة المنورة ﴾

قال وذكروا أن مروان بن الحكم لما بويع على هرب من المدينة فلحق بعائشة بمكة فقالت له عائشة ما وراءك فقال مروان غلبنا على أنفسنا فقال له رجل من أهل مكة اياك وعلياً فقد طلبك قهر من بين يديه فقال مروان لم فوالله ما يجد الي

سبيلاً أما هو فقد علمت أنه لا يأخذني بظن ولا ينصب على
الا اليقين وأيم الله ما أبالي اذا قصر على سيفه ما طال على من
لسانه فقال الرجل اذا أطال الله عليك لسانه طال سيفه . قال

مروان: كلا إن اللسان أدبٌ والسيف حكم

﴿ خروج عليّ من المدينة ﴾ قال وذكروا أن علياً تردد
بالمدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية وقد كان كتب إليه
كتاباً بعد كتاب يمينه ويَعِدُّه أولاً ثم كتاباً يخوفه ويتواعده
فحبس معاوية جواب كتابه ثلاثة أشهر ثم أتاه جوابه على غير
ما يجب فلما أتاه ذلك شخص من المدينة في تسعمائة راكب من
وجوه المهاجرين والانصار من أهل السوابق مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعهم بشر كثير من أخلاط
الناس . واستخلف على المدينة قثم بن عباس وكان له فضل
وعقل وأمره أن يشخص اليه من أحب الشخصوس ولا يحمل
أحداً على ما يكره فخف الناس الى علي بعده ومضى معه
من ولده الحسن والحسين ومحمد فلما كان في بعض الطريق
أتاه كتاب أخيه عقيل بن أبي طالب فيه : بسم الله الرحمن
الرحيم : أما بعد يا أخي كلاًك الله والله جاثرك من كل سوء

وعاصبك من كل مكروه على كل حال واني خرجت معتمراً
فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووها وهم متوجهون الى
البصرة قد أظهروا الخلاف ونكثوا البيعة وركبوا عليك قتل
عثمان وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم وأوباشهم
ثم مر عبد الله بن أبي سرح في نحو من أربعين راكباً من
أبناء الطلقاء (١) من بني أمية فقلت لهم وعرفت المنكر في
وجوههم أبعماوية تلحقون عداوة . والله انها منكم ظاهرة
غير مستنكرة تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمر الله
فأسمعي القوم وأسمعتهم ثم قدمت مكة فسمعت أهلها يتحدثون
أن الضحّاك بن قيس أغار على الحيرة واليمامة فأصاب ما شاء
من أموالها ثم انكفأ راجعاً الى الشام فأف حياة في زهو
جراً عليك الضحّاك وما الضحّاك الا فقع بقرقرة (٢) فظننت

(١) الطلقاء سمي به أهل مكة يوم الفتح وذلك أن النبي عليه السلام
لما دخل مكة يوم الفتح وكان الله قد أمكنه منهم وكانوا له فيأوقف
على باب الكعبة . وقال : يا معشر قريش ماترون اني فاعل بكم قالوا خيراً
أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فاتم الطلقاء فعفا عنهم (٢) يريد
أنه ضعيف القوة والفقع البيضاء الرخوة من الكمأة . ويقال للذليل : هو أذل
من فقع بقرقرة لانه لا يمتنع على من اجتباه أو لانه يوطأ بالارجل

٩٣

حين بلغني ذلك أن أنصارك خذلوك فاكتب الي يا ابن أمي
 برأيك وأمرك فان كنت الموت تريد تحملت اليك بني
 أخيك وولد أبيك فمعشنا ما عشت ومتنا معك اذا مت فوالله
 ما أحب أن أبقى بعدك فوالله الأعرز الأجل ان عيشاً أعيشه
 بعدك في الدنيا لغير هنيء ولا مرىء ولا نجيح والسلام
 . فكتب اليه على كرم الله وجهه : أما بعد يا أخي فكلارك
 الله كلاءته من يخشاه انه حميد مجيد قدم على عبدالرحمن الازدي
 بكتابك تذكر فيه انك لقيت ابن أبي سرح في أربعين من
 أبناء الطلقاء من بني أمية متوجهين الى المغرب وابن أبي
 سرح يا أخي طال ما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدّ
 عن كتابه وسنته وبغاهها عوجاً فدع ابن أبي سرح وقريشاً
 وتركاضهم في الضلال فان قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك
 اجتماعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم وجهلوا
 حقي وجحدوا فضلي ونصبوا لي الحرب وجدوا في اطفاء
 نور الله اللهم فاجز قريشاً غني بفعالها فقد قطعت رحمي وظهرت
 على وسلبتني سلطان ابن عمي وسلمت ذلك لمن ليس في قرابتي
 وحقي في الاسلام وسابقتي التي لا يدعي مثلها مدع الا أن

يدعي ما لا أعرف ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على ذلك كثيراً. وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على الحيرة والبيامة فهو أذل والأثم من أن يكون مرّ بها فضلاً عن الغارة ولكن جاء في خيل جريدة فرحت إليه جنداً من المسلمين فلما بلغه ذلك ولى هارباً فاتبعوه فلاحقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للأياب فاقتتلوا وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا هارباً بعد أن أخذ منه بالخنق فتولا الليل مانحاً وأما ما سألت أن أكتب إليك منه برأئي فإن رأيتي جهاد المحلين حتى التقي الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة لاني محق والله مع الحق وما أكره الموت على الحق لان الخير كله بعد الموت لمن عقل ودعا الى الحق . وأما ما عرضت به من مسيرك الى بنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك فذرهم راشداً مهدياً فوالله ما أحب أن تهلكوا معي ان هلكت . وانا كما قال أخو بني سليم " فإن تسأليني كيف صبري فاتي * صبورٌ على ريب الزمان صليب عزيزٌ علي أن أري بكآبة * فيشمت واشٍ أويساء حبيب

(١) هو صخر بن عمرو بن الشريد أخو الحساء

هو كتاب ام مسلمة الى عائشة ؓ قال وذكروا انه لما تحدث
الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير ونصبهم الحرب
لعلى وتألفهم الناس كتبت أم مسلمة الى عائشة : أما بعد فانك
سُـدَّة بين رسول الله وبين أمتـه وحجابك مضروب على
حرمة قد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تبذليه وسكن
عقيرتك فلا تضيعيه الله من وراء هذه الامة قد علم رسول
الله مكانك لو أراد أن يعهد اليك وقد علمت ان عمود الدين
لا يثبت بالنساء ان مال ولا يُرأب بهن ان انصدع خُمُرات
النساء غصن الابصار وضم الذبول ما كنت قائلة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لو عارضك بأطراف الجبال والفلوات على
قعود من الابل من منهمل الى منهمل ان يعين الله مهواك وعلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين وقد هتكت حجابك الذي
ضرب الله عليك عَمِيداه ولو أتيت الذى تريدن ثم قيل لي ادخلي
الجنة لاستحييت ان ألقى الله ها تكة حجاباً قد ضربه على
فاجعلي حجابك الذى ضرب عليك حصنك فابغيه منزلاً لك
حتى تلقيه فان أطوع ما تكونين اذا مالزمته وأنصح ما تكونين
اذا ما قعدت فيه ولو ذكرت ككلاماً قاله رسول الله صلى

الله عليه وسلم نهشتني نهش الحية والسلام . فكتبت اليها عائشة :
 ما قبلني لو عظك وأعلمني بنصحتك وليس مسيري على ما تظنين ولنعم
 المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متناجزتين فان أقدر في غير
 حرج وان أخرج مالي ما لا غنى بي عن الازدياد منه والسلام
 ﴿ استنفار عدي بن حاتم قومه لنصرة على رضي الله عنه ﴾
 قال وذكر وان بن حاتم قام الى على فقال يا أمير المؤمنين
 لو تقدمت الى قومي أخبرهم بمسيرك واستنفرهم فان لك من
 طيء مثل الذي معك فقال على نعم فافعل فتقدم عدي الى قومه
 فاجتمعت اليه رؤساء طيء : فقال لهم : يا معشر طيء انكم
 أمسكنم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشرك
 ونصرتهم الله ورسوله في الاسلام على الردة وعلى قادم عليكم
 وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم نخفوا معه وقد كنتم
 تقاتلون في الجاهلية على الدنيا فقاتلوا في الاسلام على الآخرة
 فان أردتم الدنيا فعند الله مغنم كثيرة وأنا أدعوكم الى الدنيا
 والآخرة وقد ضمنت عنكم الوفاء وباهيت بكم الناس فأجيبوا
 قولي فانكم أعز العرب داراً لكم فضل معاشكم وخيلكم
 فاجعلوا أفضل المعاش للعيال وفضول الخيل للجهاد وقد أظلمكم

٩٧

علي والناس معه من المهاجرين والبدرين والانصار فكونوا
أكثرهم عدداً فان هذا سبيل للحي فيه الغنى والسرور وللقبيل
فيه الحياة والرزق فصاحت طيء نعم نعم حتى كاد ان يصم من
صياحهم . فلما قدم على طيء أقبل شيخ من طيء قد هرم من
الكبر فرفع له من حاجبيه فنظر الى علي فقال له أنت ابن أبي
طالب ؟ قال نعم . قال مرحبا بك وأهلاً قد جعلناك بيننا وبين
الله وعدياً بيننا وبينك ونحن بينه وبين الناس والله لو أتيتنا غير
مبايعين لك لنصرباك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإيامك الصالحة واثن كان ما يقال فيك من الخير حقاً
ان في أمرك وأمر قریش لعجبا اذا أخروك وقدموا غيرك .
سرفو الله لا يتخلف عنك من طيء الا عبيد أودعى الا باذنك
فشخص معه من طيء ثلاثة عشر ألف راكب

❖ استنفر زفر بن زيد قومه لنصرة علي ؑ قال وذكر وان
زفر بن زيد بن حذيفة الاسدي وكان من سادة بني أسد قام الى
علي فقال يا أمير المؤمنين ان دايأ اخواننا وجيراننا قد أجابوا عديا
ولي في قومي طاعة فاذن لي فأتهم قال نعم . فأتاهم فجمعهم : وقال :
يا بني أسدان عدي بن حاتم ضمن لي قومه فأجابوه وقضوا عنه

(٧)

ذمامه فلم يمتل الغنيّ بالغنى ولا الفقير بالفقر وواسى بعضهم بعضاً حتى كأنهم المهاجرون في الهجرة والانصار في الاثرة وهم جيرانكم في الديار وخطاؤكم في الاموال فانشدكم الله لا يقول الناس غداً نصرت طيًّ وخذلت بنو أسد وان الجار يقاس بالجار كالنمل بالنمل فان خفتم فتوسعوا في بلادهم وانضموا الى جبلهم وهذه دعوة لها ثواب من الله في الدنيا والآخرة فقام اليه رجل منهم فقال له يا زفر انك لست كعدى ولا أسد كطيًّ ارتدت العرب فثبتت طيًّ على الاسلام وجاد عدي بالصدقة وقاتل بقومه قومك فوالله لو نفرت طيًّ بأجمعها لمنعت رعاؤها دارها ولو ان معنا أضعافنا خلفنا على دارنا فان كان لا يرضيك منا الا ما أرضى عدياً من طيًّ فليس ذلك عندنا وان كان يرضيك قدر ما يرد عنا عذر الخذلان وأثم المصيبة فلك ذلك منا فصار معه من أسد جماعة ليست كجماعة طيًّ حتى قدم بها على عليّ

﴿ توجه عائشة وطلحة والزبير الى البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما اجتمع طلحة والزبير وذووهما مع عائشة واجمعوا على المسير من مكة اتاهم عبد الله بن عامر فدعاهم الى النصرة ووعدهم الرجال والاموال فقال سعيد بن العاصي

٩٩

طلحة والزبير ان عبد الله بن عامر يدعوكم الى النصره وقد فر
من اهلها فرار العبد الآبق وهم في طاعة عثمان ويريد ان يقاتل
بهم عليا وهم في طاعة علي وخرج من عندهم أميراً ويعود اليهم
طريداً وقد وعدكم الرجال والاموال فاما الاموال فعنده وأما
الرجال فلا رجل فقال مروان بن الحكم أيها الشيخان ما يمنعكما
ان تدعوا الناس الى بيعة مثل بيعة عليّ فان اجابوكم عارضتماه
بيعة كبيعته وان لم يجيبوكم اعرفتما مالكما في انفس الناس فقال
طلحة يمنعنا ان الناس يايعوا علينا بيعة عامة فبم نقضها؟ وقال الزبير
ويمنعنا أيضاً من ذلك تشاقلنا عن نصره عثمان وخفتنا الى بيعة
علي. فقال الوليد بن عقبة ان كنتم اساتماً فقد أحسنتما وان كنتم
أخطأتما فقد أصبتما وانما اليوم خير منكما امس فقال مروان
أما انا فهو اي الشام وهو اكما البصرة وانا معكم وان كانت
الهلكة فقال سعيد بن العاصي اما أنا فراجع الى منزلي فلما استقام
أمرهم واجتمعت كلمتهم على المسير قال طلحة للزبير انه ليس
شيء انفع ولا ابلغ في استمالة اهواء الناس من ان تشخص لعبد
الله بن عمر فأتياه فقولا يا ابا عبد الرحمن ان أمنا عائشة خفت
لهذا الامر رجاء الاصلاح بين الناس فاشخص معنا فان لك

بها اسوة فان بايعنا الناس فانت احق بها فقال ابن عمر ايها
الشيخان تريدان ان تخرجاني من بيتي ثم تلقياي بين محالب
ابن ابي طالب؟ ان الناس انما يخذعون بالدينار والدرهم واني قد
تركت هذا الامر عيانا في عافية انا لها فانصرفا عنه . وقدم يعلى بن
منبه عليهم من اليمن وكان عاملا لعثمان فاخرج اربعمائة بعير
ودعا الى الحملان فقال الزبير دعنا من اهلك هذه واقرضنا من
هذا المال فاقرض الزبير ستين ألفا واقرض طلحة اربعمين
الفأثم سار القوم فقال الزبير الشام بها الرجال والاموال وعليها
معاوية وهو ابن عم الرجل ومتي نجتمع يولنا عليه وقال عبد الله
ابن عامر البصرة فان غلبتم عليا فلكم الشام وان غلبكم علي
كان معاوية لكم جنة وهذه كتب اهل البصرة الى فقال يعلى
ابن منبه وكان ذاهبا ايها الشيخان قدرا قبل ان ترحلا ان
معاوية قد سبقكم الى الشام وفيها الجماعة واتم تقدمون عليه غدا
في فرقة وهو ابن عم عثمان دونكم ارايتم ان دفعكم عن الشام
أو قال اجعلها شوري ما اتم صانعون اتقاتلونه أم تجعلونها
شوري فتخرجها منها وأقبح من ذلك ان تأتيا رجلا في يديه
أمر قد سبقكما اليه وتريدان ان تخرجاه منه فقال القوم فالى

١٠١

أين قال الى البصرة فقال الزبير لعبد الله بن عامر من رجال
البصرة؟ قال ثلاثة كلهم سيد مطاع كعب بن سور في اليمن
والمندر بن ربيعة في ربيعة والاحنف بن قيس في مصر. فكتب
طلحة والزبير الى كعب بن سور: أما بعد فانك قاضي عمر بن
الخطاب وشيخ أهل البصرة وسيد أهل اليمن وقد كنت
غضبت لعثمان من الاذى فاغضب له من القتل والسلام.
وكتب الى الاحنف بن قيس: أما بعد فانك وافد عمر وسيد
مضر وحليم أهل العراق وقد بلغك مصاب عثمان ونحن
قادمون عليك والعيان أشقى لك من الخبر والسلام. وكتب الى
المندر: أما بعد فان أباك كان رئيسا في الجاهلية وسيدا في
الاسلام وانك من أبيك بمنزلة المصلي^(١) من السابق يقال كاد
أو لحق وقد قتل عثمان من أنت خير منه وغضب له من هو
خير منك والسلام. فلما وصلت كتبهما الى القوم قام زياد بن
مضر والنعمان بن شوال وغزوان فقالوا مالنا ولهذا الحي من

(١) المصلي الذي في أثر السابق وانما سمي مصليا لانه مع صلو

السابق وهما عرقان في الردف قال الشاعر:

تركت الرمح يعمل في صلاه * كان سنانه خرطوم نسر

١٠٢

قريش أريدون ان يخرجونا من الاسلام بعد ان دخلنا فيه
ويدخلونا في الشرك بعد ما خرجنا منه قتلوا عثمان وبايعوا عليا لهم
ما لهم وعليهم ما عليهم . وكتب كعب بن سور الى طلحة والزبير :
أما بعد فانا غضبنا لعثمان من الاذى والغير باللسان فجاء أمر
الغير فيه بالسيف فان يك عثمان قتل ظلما فما لكما وله وان
كان قتل مظلوما فغير كما أولى به وان كان أمره أشكل على
من شهده فهو على من غاب عنه أشكل . وكتب الاحنف اليهما :
أما بعد فانه لم يأتنا من قبلكم أمر لانشك فيه الا قتل عثمان وأنتم
قادمون علينا فان يكن في العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم والا
يكن فيه فضل فليس في أيدينا ولا في أيديكم ثقة والسلام .
وكتب المنذر : أما بعد فانه لم يلحقني بأهل الخير الا ان اكون
خيرا من أهل الشر وانما اوجب حق عثمان اليوم حقه امس
وقد كان بين اظهركم نخذلتموه فمتى استنبطتم هذا العلم وبدالك
هذا الرأي . فلما قرءا كتب القوم ساءها ذلك وغضبا . ثم غدا
مروان الى طلحة والزبير فقال لهما عاودا ابن عمر فلعله ينيب .
فماوداه فتكلم طلحة : فقال : يا أبا عبد الرحمن انه والله لرب حق
ضيعناه وتركناه فلما حضر العذر قضينا بالحق وأخذنا بالحظ أن

١٠٣

عليّ يرى انفاذ بيعته وأن معاوية لا يرى أن يبايع له وأنا نرى أن
 نردها شورى فان سرت معنا ومع أم المؤمنين صلحت
 الامور والا فهي الهلكة . فقال ابن عمر: ان يكن قولكما حقاً
 ففضلا ضيعت وان يكن باطلا فشر منه نجوت واعلما ان بيت
 عائشة خير لها من هودجها وانتما المدينة خير لكما من البصرة
 والذل خير لكما من السيف وان يقاتل علياً الا من كان
 خيراً منه وأما الشورى فقد والله كانت فقدم وأخرتما ولن
 يردها الا أولئك الذين حكموا فيها فاكفياني أنفسكما فانصرفا .
 فقال مروان استمعينا عليه بحفصة فأتيا حفصة فقالت لو أطاعني
 أطاع عائشة دعاه فتركاه وتوجهنا الى البصرة . وأتاها عبد الله
 ابن خاف فقال لهما : انه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه
 في عثمان شيء الا وقد باغ أهل العراق وقد كانت منكما في
 عثمان من التخليب والتأليب ما لا يدفعه جحود ولا ينفعكما
 فيه عذروا حسن الناس فيكما قولاً من أزال عنكما القتل وألزمكما
 الخذل وقد بايع الناس علياً بيعة عامة والناس لا فوقكما غداً فما
 تقولان؟ فقال طلحة نشكر القتل ونقر بالخذل ولا ينفع الاقرار
 بالذنب الا مع الندم عليه ولقد ندمنا على ما كان منا . وقال

الزبير بايعنا علياً والسيف على أعناقنا حيث تواب الناس بالبيعة
اليه دون مشورتنا ولم نصب لثمان خطأ فتجب علينا الدية
ولا عمداً فيجب علينا القصاص . فقال عبد الله بن خلف
عذركما أشد من ذنبكما قال قهياً القوم للمسير فقال طلحة
و الزبير اسرعوا السير لعلنا نسبق علياً من خلاف طريقه الى
البصرة قال وكتب قثم بن عباس الى علي يخبره أن طلحة
و الزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة وقد
استنفروا الناس فلم يخف معهم الا من لا يعتد بمسيره ومن
خلعت بعدك فعلى ماتحب . فلما قدم على علي كتابه غمه ذلك وأعظمه
الناس وسقط في أيديهم فقام قيس بن سعد بن عبادة فقال:
يا أمير المؤمنين انه والله ما غمنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة
لان هذين الرجلين حلالا الدم عندنا لبيعتهما ونكحتهما ولأن
عائشة من علمت مقامها في الاسلام ومكانها من رسول الله
مع فضلها ودينها وأمومتها (١) منا ومنك ولكنهما يقدمان
البصرة وليس كل أهلها لهما وتقدم الكوفة وكل أهلها لك

(١) اي ان تكون اما للمؤمنين . قال تعالى وقوله الحق: النبي أولى

بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم .

١٠٥

وتسير بحقك الى باطلهم ولقد كنا نخاف أن يسيرا الى الشام
فيقال صاحب رسول الله وأم المؤمنين فيشتد البلاء وتعظم
الفتنة فأما اذ أتيا البصرة وقد سبقت اليه طاعتك وسبقوا الي
بيعتك وحكم عليهم عاملك ولا والله ما معها مثل من معك
ولا يقدمان على مثل ما تقدم عليه فسر فان الله معك وتتابعت
بالانصار فقالوا وأحسنوا . قال ولما نزل طلحة والزبير وعائشة
بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سميد بن العاصي على
نجيب له فأشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكل
على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها أين تريدن يا أم
المؤمنين قالت أريد البصرة قال وما تصنعين بالبصرة قالت أطلب
بدم عثمان قال فهو لاء قتلة عثمان معك ثم أقبل على مروان
فقال له وأنت أين تريد أيضا قال البصرة قال وما تصنع بها قال
أطلب قتلة عثمان قال فهو لاء قتلة عثمان معك ان هذين الرجلين
قتلا عثمان «طلحة والزبير» وهما يريدان الامر لا نفسيهما فلما غلبا عليه
قالا نغسل الدم بالدم والحبوبة بالتوبة . ثم قال المغيرة بن شعبة: ايها
الناس ان كنتم انما خرجتم مع امكم فارجموها خيرا لكم وان
كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان وان كنتم نقمتهم على علي

شيئاً فبينوا ما نقتم عليه أنشدكم الله فتنين في عام واحد . فأبوا
 إلا ان يعضوا بالناس فلحق سعيد بن العاصي باليمن ولحق المغيرة
 بالطائف فلم يشهدا شيئاً من حروب الجمل ولا صفين فلما انتهوا
 الى ماء الحوب في بعض الطريق ومعهم عائشة نجها كلاب
 الحوب فقالت لمحمد بن طلحة أي ماء هذا قال هذا ماء الحوب
 فقالت ما أراني إلا راجعة قال ولم قانت سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول لنسائه: كأنني باحدا كن قد نجها كلاب
 الحوب وإياك ان تكوني انت يا حميراء . فقال لها محمد بن طلحة
 تقدمي رحمك الله ودعي هذا القول . وأتى عبد الله بن الزبير
 فحلف لها بالله لقد خلفتني اول الليل وأناها بيينة زور من
 الاعراب فشهدوا بذلك فزعموا انها اول شهادة زور شهد
 بها في الاسلام فلما انتهى اقبالهم على اهل البصرة ودنوا
 منها قام عثمان بن حنيف عامل البصرة لعل بن ابي طالب
 فقال : يا أيها الناس انما بايعتم الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث
 فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه الله
 اجرا عظيما والله لو علم على ان احدا احق بهذا الامر منه ما قبله ولو
 بايع الناس غيره لباع من بايعوا وأطاع من ولوا وما به الى احد

١٠٧

من صحابة رسول الله حاجة وما باحد عنه غني ولقد شاركهم في محاسنهم وما شاركوه في محاسنه ولقد بايمه هذان الرجلان وما يريد الله فاستعجلا القطام قبل الرضاع والرضاع قبل الولادة والولادة قبل الحمل وطلبا ثواب الله من العباد وقد زعما انهما بايما مستكرهين فان كانا استكرها قبل بيعتهما وكانا رجلين من عرض قريش لهما ان يقولوا ولا يأمران الا وان الهدى ما كانت عليه العامة والعامة على بيعة علي فما ترون أيها الناس؟ فقام حكم بن جبل العبدي : فقال : نرى ان دخلا علينا قاتلناهما وان وقفنا تلقيناها والله ما أبالي ان أقاتلها وحدي وان كنت أحب الحياة وما أخشى في طريق الحق وحشة ولا غيرة ولا غشاً ولا سوءاً منقلب الى بعث وانها لدعوة قتيلا شهيد وحيها فائز والتعجيل الى الله قبل الاجر خير من التأخير في الدنيا وهذه ربيعة معك

﴿ نزول طلحة والزبير وعائشة البصرة ﴾

قال وذكروا ان طلحة والزبير نزلا البصرة قال عثمان بن حنيف تعذر اليهما برجلين فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول الله وأبا الاسود الدؤلي فأرسلهما الى طلحة والزبير فذهبا اليهما

فناديا يا طلحة فأجابهما فتكلم أبو الاسود الدؤلي فقال يا أبا محمد انكم قتلت عثمان غير مؤمرين لنا في قتله وبايعتم عليا غير مؤمرين لنا في بيعته فلم تغضب لعثمان اذ قتل ولم تغضب لعلي اذ بويع ثم بدا لكم فأردتم خلع علي ونحن على الامر الاول فمليكم للخروج مما دخلتم فيه . ثم تكلم عمران فقال يا طلحة انكم قتلت عثمان ولم تغضب له اذ لم تغضبوا ثم بايعتم عليا وبايعنا من بايعتم فان كان قتل عثمان صوابا فسيركم لماذا وان كان خطأ فحظكم منه الا وفر ونصيبكم منه الا وفي . فقال طلحة يا هذان ان صاحبكما لا يرى ان معه في هذا الامر غيره وليس على هذا بايعناه وأيم الله ليسفكن دمه . فقال أبو الاسود يا عمران أما هذا فقد صرح انه انما غضب للملك . ثم أتيا الزبير فقالا يا أبا عبد الله انا أتينا طلحة قال الزبير ان طلحة واياي كروح في جسدنا وانه والله يا هذان قد كانت منا في عثمان فلتات احتجنا فيها الى المعاذير ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه ثم أتيا فدخلا على عائشة فقالا يا أم المؤمنين ما هذا المسير أمعك من رسول الله به عهد قالت : قتل عثمان مظلوما غضبنا لكم من السوط والعصا ولا تغضب لعثمان من القتل

١٠٩

فقال أبو الاسود وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا فقالت
يا أبا الاسود بلغني ان عثمان بن حنيف يريد قتالي فقال أبو
الاسود نعم والله قتالا أهونه تندر منه الرأس . وأقبل
غلام من جهرينة الى محمد بن طلحة فقال له حدثني عن قتلة عثمان
قال نعم دم عثمان على ثلاثة أثلاث ثلث على صاحبة الهودج
وثلث على صاحب الجمل الاحمر ^(١) وثلث على علي بن أبي
طالب فضحك الجهمي ولحق بعلي بن أبي طالب وبلغ طلحة
قول ابنه محمد وكان محمد من عباد الناس فقال له يا محمد أتزعم عنا
قولك اني قاتل عثمان كذلك تشهد على أبيك كن كعبد الله بن
الزبير فوالله ما أنت بخير منه ولا أبوك بدون أبيه كف عن
قولك والا فارجع فان نصرتك نصرة رجل واحد
وفسادك فساد عامة فقال محمد ما قلت الا حقا ولن أعود .

﴿نزول علي بن أبي طالب الكوفة﴾

قال وذكروا أن علياً لما نزل قريباً من الكوفة بعث عمار بن
ياسر ومحمد بن أبي بكر الى أبي موسى الاشعري وكان أبو

(١) أما صاحبة الهودج يشير الى عائشة وأما صاحب الجمل

الاحمر يعني به أباه طلحة

موسى عاملاً لعثمان على الكوفة فبعثهما عليّ اليه والى أهل الكوفة يستفزهم فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر فدعوا الناس الى النصره لعلّهم فلما أمسوا دخل رجال من أهل الكوفة على أبي موسى فقالوا ما ترى أنخرج مع هذين الرجلين الى صاحبهما ام لا؟ فقال أبو موسى: اما سبيل الآخرة ففي أن تلتزموا بيوترككم واما سبيل الدنيا فالخروج مع من أناكم فأطاعوه فتباطأ الناس على علي وبلغ عماراً ومحمداً ما أشار أبو موسى على أولئك الرهط فأتياه فأغلظاه في القول قال أبو موسى ان بيعه عثمان في عنقي وعنق صاحبكم ولئن أردنا القتال ما لنا الى قتال أحد من سبيل حتى نفرغ من قتلة عثمان. ثم خرج أبو موسى فصعد المنبر ثم قال: أيها الناس ان أصحاب رسول الله الذين صحبوه في المواطن اعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه وان لكم حقاً عليّ أؤديه اليكم. ان هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي والساعي خير من الراكب فاعمدوا سيوفكم حتى تتجلي هذه الفتنة. فقام عمار بن ياسر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان أبا موسى ينهاكم عن الشخصوس الى هاتين

١١١

الجماعتين ولعمري ما صدق فيما قال وما رضي الله من عباده بما ذكر. قال الله عز وجل: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا» وقال: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» فلم يرض من عباده بما ذكر أبو موسى من أن يجلسوا في بيوتهم ويخلوا بين الناس فيسفك بعضهم دماء بعض فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم وانظروا من أولي بالنصرة فاتبعوه فإن أصلح الله أمرهم رجعتهم مأجورين وقد قضيت حق الله وإن بغى بعضهم على بعض نظرتهم إلى الفئة الباغية فقاتلتوها حتى تفيء إلى أمر الله كما أمركم الله واقتض عايكم ثم قعد. فلما انصرفا إلى من عند أبي موسى واخبراه بما قال أبو موسى بعث إليه الحسن ابن علي وعبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد وكتب معهم إلى أهل الكوفة: أما بعد فاني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سامعه كمن عاينه أن الناس طعنوا على عثمان فكنت رجلا من المهاجرين أقل عيبه وأكثر استعابه

وكان هذان الرجلان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه اللهجة والوجيف وكان من عائشة فيه قول على غضب فاتحى له قوم فقتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين وهما أول من بايعني على ما بويح عليه من كان قبلي ثم استأذنا الى العمرة فأذنت لهما فنقضا العهد ونصبا الحرب واخرجنا أم المؤمنين من بيتها ليتخذاها فتنة وقد سارا الى البصرة اختياراً لاهلها ولعمري ما اياي تجيبون ما تجيبون الا الله . وقد بعثت ابني الحسن وابن عمي عبدالله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد فكونوا عند ظننا بكم والله المستعان . فسار الحسن ومن معه حتى قدموا الكوفة على ابي موسى فدعوه الى نصرة على فبايعهم ثم صعد ابو موسى المنبر وقام الحسن اسفل منه فدعاهم الى نصرة على واخبرهم بقرابته من رسول الله وسابقته وبيعة طلحة والزبير اياه ونكتهما عهده واقرأهم كتاب على فقام شريح بن هانئ فقال لقد اردنا ان نركب الى المدينة حتى نعلم قتل عثمان فقد اتانا الله به في بيوتنا فلا تخالفوا عن دعوته والله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سمعاً وطاعة ثم قام الحسن بن علي : فقال : ايها الناس انه قد كان من مسير امير المؤمنين علي بن ابي طالب ما قد بلغكم وقد اتيناكم مستنفرين

١١٣

لأنكم جهة الانصار ورؤس العرب وقد كان من نقض طلحة
والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بمائشة ما بلغكم وتعلمون أن وهن
النساء وضعف رأيهن الى التلاشي ومن أجل ذلك جعل الله
الرجال قوامين على النساء وإيم الله لو لم ينصره منكم أحد
لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والانصار
كفاية فأنصروا الله ينصركم ثم قام عمار بن ياسر فقال يا أهل
الكوفة ان كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت اليكم أمورنا ان
قتل عثمان لا يعتذرون من قتله الى الناس ولا ينكرون ذلك
وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم . فيه أحياء الله من
أحياء وأمات من أمات . وان طلحة والزبير كانا أول من
طعن وآخر من أصروا كانا أول من بايع علياً فلما أخطأهما ما أملاه
نكثاً بيعتهما من غير حدث وهذا ابن بنت رسول الله الحسن
قد عرفتموه وقد جاء يستنفركم وقد أظلمكم علي في المهاجرين
والبدرين والانصار الذين تبوءوا الدار والايمان فأنصروا الله
ينصركم . ثم قام قيس بن سعد فقال : أيها الناس ان الامر لو
استقبل به أهل الشورى كان علي أحق بها وكان قتال من أبي
ذلك حلالاً فكيف والحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه

(٨)

رغبة وخالفاه حسداً وقد جاءكم المهاجرون والانصار .

﴿ دخول طلحة والزبير وعائشة البصرة ﴾

قال وذكروا أنه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة اصطف لها الناس في الطريق يقولون يا أم المؤمنين ما الذي أخرجك من بيتك فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من أبغ الناس فحمدت الله وأثنت عليه: ثم قالت: ايها الناس والله ما أبغ من ذنب عثمان ان يستحل دمه ولقد قتل مظلوماً. غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل وان من الرأي ان تنظروا الى قتلة عثمان فيمتلوا به ثم يرد هذا الامر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب. فمن قائل يقول صدقت وآخر يقول كذبت فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض فينماهم كذلك أتاهم رجل من اشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التآليب على قتل عثمان فقال لطلحة هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما ردك على ما كنت عليه وكنت أمس تكتب الينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا الى الطلب بدمه وقد زعمنا ان علينا دعاء كما الى ان تكون البيعة لكما قبله اذ

١١٥

كنتم أسن منه فأيتما إلا ان تقدماه لقرايته وسابقته فبايعتماه
 فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما قال طلحة
 دعانا الى البيعة بعد ان اغتصبها وبايعه الناس فعلمنا حين عرض
 علينا انه غير فاعل ولو فعل أبي ذلك المهاجرون والانصار
 وخفنا ان نرد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين قال فما بدالكما في
 عثمان قال ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلنا اياه فلم نجد
 من ذلك مخرجا الا الطلب بدمه . قال ما تأمر اني به قال بايعنا
 علي قتال علي ونقض بيعته قال أرأيتما ان أتانا بعدكما من
 يدعونا الى ما تدعوان اليه مانصنع ؟ قال لا تبايعه قال ما أنصفتما
 أتأمر اني ان أقاتل عليا وانقض بيعته وهي في أعناقكما
 وتنهاني عن بيعة من لا بيعة له عليكما أما اننا فقد بايعنا عليا فان
 شئنا بايعنا كما يبسار أيدينا . قال ثم تفرق الناس فصارت فرقة
 مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير ثم جاء جارية بن
 قدامة فقال : يا أم المؤمنين أقتل عثمان كان أهون علينا من
 خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون انه كانت لك من
 الله تعالى حرمة وستر فتهتك سترك وأبحت حرمتك انه
 من رأى قتالك فقد رأى قتلك فان كنت يا أم المؤمنين أتيتنا

طائفة فارجمي الى منزلك وان كنت آتيتنا مستكرهة فاستعني الله
﴿ قتل أصحاب عثمان بن حنيف عامل عليّ على البصرة ﴾
قال وذكروا انه لما اختلف القوم اصطالحوا على ان لعثمان بن
حنيف دار الإمارة ومسجدها وبیت المال وان ينزل أصحابه
حيث شاؤا من البصرة وان ينزل طلحة والزبير وأصحابهما
حيث شاؤا حتى يقدم علي فان اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه
الناس وان يفرقوا يلحق كل قوم باهوائهم عليهم بذلك عهد الله
وميثاقه وذمة نبيه وأشهدوا شهداء من الفريقين جميعاً فانصرف
عثمان فدخل دار الإمارة وأمر أصحابه أن يلحقوا بمنازلهم
ويضعوا سلاحهم واقترب الناس وكتبوا ما في أنفسهم غير
بني عبد القيس فانهم أظهروا نصرة علي وكان حكيم بن جبل
رئيسهم فاجتمعوا اليه فقال لهم: يامعشر عبد القيس ان عثمان
ابن حنيف دمه مضمون وأمانته مؤداة وأيم الله لو لم يكن
عليّ أميراً لمنعناه لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكيف وله الولاية والجوار فاشخصوا بانصاركم وجاهدوا
العدو فاما ان تموتوا كراماً وإما ان تعيشوا أحراراً فكث عثمان
ابن حنيف في الدار اياماً ثم ان طلحة والزبير ومروان ابن

١١٧

الحكم أتوه نصف الليل في جماعة معهم في ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس فخرج عثمان بن حنيف فشد عليه مروان فأسره وقتل أصحابه فأخذه مروان فقتل لحيته ورأسه وحاجبيه فنظر عثمان بن حنيف إلى مروان فقال أما انتك إن فتني بها في الدنيا لم تفتني بها في الآخرة.

﴿ تعبئة الفتتين للقتال ﴾

وذكروا انه لما تبعاً القوم للقتال فكانت الحرب للزبير وعلى الخيل طلحة وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة وعلى المقدمة مروان وعلى رجال الميمنة عبد الرحمن بن عباد وعلى اليسرة هلال بن وكيع فلما فرغ الزبير من التعبئة قال: أيها الناس وطنوا أنفسكم على الصبر فانه يلقاكم غداً رجل لا مثل له في الحرب ولا شبيه ومعه شجعان الناس فلما بلغ عليا تعبئة القوم عبأ الناس للقتال فاستعمل على المقدمة عبد الله ابن عباس وعلى الساقة هند المرادي وعلى جميع الخيل عمار بن ياسر وعلى جميع الرجالة محمد بن أبي بكر ثم كتب إلى طلحة والزبير: أما بعد فقد علمتما اني لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أبايعهم حتى بايعوني وانكما لمن أراد وبايع وان العامة لم تبايعني لسلطان

خاص فان كنتما بايعتما في كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل
 باظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية وان كنتما بايعتما في طائعين
 فارجعا الى الله من قريب. انت يا زبير لفارس رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وحواريه وانك يا طلحة لشيخ المهاجرين وان
 دفاعكما هذا الأمر قبل ان تدخلوا فيه كان أوسع عليكما من
 خروجكما منه بعد إقراركما به وقد زعمتما اني قتلت عثمان فيني
 وبينكما فيه بعض من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة
 وزعمتما اني آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا في
 طاعتي ثم يخاصموا الى قتلة أبيهم وما أنتما وعثمان ان كان قتل
 ظالماً أو مظلوماً وقد بايعتما في وأنتم بين خصلتين قبيحتين نكت
 بيعتكما واخراجكما أمكما. وكتب الى عائشة: أما بعد فانك
 خرجت غاضبة لله ولرسوله تطلين أمراً كان عنك موضوعاً
 ما بال النساء والحرب والاصلاح بين الناس تطلين بدم عثمان
 ولعمري لمن عرضك للبلاء وحملك على المعصية أعظم اليك
 ذنباً من قتلة عثمان وما غضبت حتى أغضبت وما هجيت حتى
 هيجت فاتق الله وارجعي الى بيتك. فاجابه طلحة والزبير
 انك سرت مسيراً له ما بعده ولست راجعاً وفي نفسك منه

١١٩

حاجة فامض لامرك أما أنت فلست راضياً دون دخولنا في طاعتك ولسنا بداخلين فيها أبداً فاقض ما أنت قاض . وكتبت عائشة: جلّ الأمر عن العتاب والسلام . قال ورجعت رسل على من البصرة فمنهم من اجابه واتاه ومنهم من لحق بمائشة وطلحة والزبير وبعث الاحنف بن قيس الى عليّ : ان شئت أثبتك في مائتي رجل من أهل بيتي وان شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف فأرسل اليه علي بل كف عني أربعة آلاف سيف وكفى بذلك ناصراً . فجمع الاحنف بن تميم فقال: يا معشر بني تميم ان ظهر أهل البصرة فهم اخوانكم وان ظهر علي فلن يهيجكم وكنتم قد سلمتم . فكف بنو تميم ولم يخرجوا الى احد الفريقين . قال ولما كتب علي الى طلحة والزبير أتى زمعة ابن الاسود الى طلحة والزبير فقال لهما ان علياً قد اكثرا اليكما الرسل كأنه طمع فيكما وأطمعتماه في أنفسكما فاتقيا الله ان كنتما بايعتماه طائعين واتفيا الله علينا وعلى أنفسكما فان اللين في الضرع ومتى يحلب لا يرجع وان كنتما بايعتماه ، كرهين فاخرقا هذا انوطب وادفعا هذا اللين فما أغنانا عن هذه الكتب والرسل . قال نخرج طلحة والزبير وعائشة وهي على جمل عليه

هودج قد ضرب عليه صفائح الحديد فبرزوا حتى خرجوا من الدور ومن أفنية البصرة فلما تواقفوا للقتال أمر علي . نادياً ينادى في أصحابه لا يرمين أحد سهماً ولا خجراً ولا يطعن برمح حتى اعذر الى القوم فأتخذ عليهم الحجة البالغة . قال فكلم علي طاحه والزبير قبل القتال فقال لهما استحلما عائشة بحق الله وبحق رسوله عليها اربع خصال ان تصدق فيها : هل تعلم رجلاً من قريش أولى مني بالله ورسوله واسلامى قبل كافة الناس اجمعين وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي وعلى براءتي من دم عثمان وعلى انى لم استكره احداً على بيعة وعلى انى لم اكن احسن قولاً في عثمان منكما . فأجابه طلحة جواباً غليظاً ورق له الزبير ثم رجع علي الى أصحابه فقالوا يا امير المؤمنين بم كلمت الرجلين فقال علي ان شأنهما مختلف اما الزبير ففساده اللجاج ولن يقاتلكم واما طلحة فسأته عن الحق فأجابني بالباطل ولقيته باليقين ولقيني بالشك فوالله ما نفمه حتى ولا ضرني باطله وهو مقتول غداً في الرعيل الاول . قال ثم خرج علي على بغلة رسول الله الشهباء بين الصفيين وهو حاسر فقال ابن الزبير نخرج اليه حتى اذا كانا بين الصفيين اعتنق كل واحد

١٢١

منها صاحبه وبكيا ثم قال علي يا عبد الله ما جاء بك هاهنا قال
جئت أطلب دم عثمان . قال علي تطلب دم عثمان قتل الله من
قتل عثمان انشدك الله يا زير هل تعلم انك صررت بي وانت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على يدك فسلم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وضحك الى ثم التفت اليك فقال لك يا زير
انك تقاتل عليا وانت له ظالم قال اللهم نعم قال علي فعلى م
تقاتلني قال الزير نسيها والله ولو ذكرتها ما خرجت اليك
ولا قاتلتك فانصرف علي الى اصحابه فقالوا يا امير المؤمنين
صررت الى رجل في سلاحه وانت حاسر قال علي : أتدرون من
الرجل ؟ قالوا لا قال ذلك الزير بن صفية عمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما انه قد اعطى الله عهداً انه لا يقاتلكم اني ذكرت
له حديثاً قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو ذكرته
ما اتيتك . فقالوا الحمد لله يا امير المؤمنين ما كنا نخشى في
هذا الحرب غيره ولا نتقى سواه انه لقارس رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحواريه ومن عرفت شجاعته وبأسه ومعرفته
بالحرب فاذا قد كفناه الله فلا نعد من سواه الاصرعي
حول الهودج .

﴿ رجوع الزير عن الحرب ﴾

قال وذكروا ان الزير دخل على عائشة فقال: يا أمه ما شهدت موطناً قط في الشرك ولا في الاسلام الاولي فيه رأى وبصيرة غير هذا الموطن فانه لا رأى لي فيه ولا بصيرة واني لعلى باطل . قالت عائشة يا أبا عبد الله خفت سيوف بني عبد المطلب فقال أما والله ان سيوف بني عبد المطلب طوال حداد يحماها فتية انجاد ثم قال لابنه عبد الله عليك بحربك أما أنا فراجع الى بيتي فقال له ابنه عبد الله: الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لا نفصل رؤسنا منها فقال الزير لابنه لا تعد هذا مني جبناً فوالله ما فارقت أحداً في جاهلية ولا اسلام قال فما يردك قال يردني ما ان علمته كسرك . فقام بأمر الناس عبد الله بن الزير ﴿ قتل الزير بن العوام ﴾ قال وذكروا ان الزير لما انصرف راجعاً الى المدينة أتاه ابن جرموز فنزل به فقال يا أبا عبد الله أنحيت حرباً ظالماً أو مظلوماً ثم تنصرف اتائب أنت أم عاجز؟ فسكت عنه ثم عاوده فقال له يا أبا عبد الله حدثني عن خصال خمس أسألك عنها فقال هات قال خذ لك عثمان وبيعتك عالياً واخراجك أم المؤمنين وصلاتك خلف ابنك ورجوعك عن الحرب . فقال الزير نعم

١٢٣

اخبرك :أما خذلي عثمان فأمر قذر الله فيه الخطيئة و آخر التوبة
 واما بيعتي علياً فوالله ما وجدت من ذلك بداً حيث بايعه
 المهاجرون والانصار وخشيت القتل واما اخراجنا منا عائشة
 فأردنا امراً واراد الله غيره واما صلاتي خلف ابني فانما قدمته
 عائشة ام المؤمنين ولم يكن لي دون صاحبي امر واما رجوعي
 عن هذا الحرب فظن بي ماشئت غير الجبن فقال ابن جرموز
 والنفاه على ابن صفية اضر بها ناراً ثم اراد ان يلحق بأهله قتلي
 الله ان لم يقتله . ثم اتاه فقال له يا ابا عبد الله كالمستنصح له : ان
 دون اهلك فيافي نخذ نجبي هذا واخل فرسك ودرعك فانهما
 شاهدتان عليك بما تكره فقال الزبير انظر في ذلك ليلتي ثم
 الح عليه في فرسه ودرعه فلم يزل حتى اخذهما منه وانما اراد
 ابن جرموز ان يلقاه حاسراً لما علم بأسه ثم اتى ابن جرموز
 الاحنف بن قيس فسارره بمكان الزبير عنده وبقوله فقال له
 الاحنف اقتله قتله الله مخادعاً . واتى الزبير رجل من كلب فقال
 له يا ابا عبد الله انت لي صهر وابن جرموز لم يعتزل هذا الحرب
 مخافة الله ولكنه كره ان يخالف الاحنف وقد ندم (الاحنف)
 على خذله علياً ولعله ان يتقرب بك اليه وقد اخذ منك

درعك وفرسك وهذا تصديق ما قلت لك فبت عندي
 الليلة ثم اخرج بعد نومه فانك ان فهم لم يطلبوك فهاون بقوله
 ثم بدا له فقال له فما ترى يا أخا كلب قال أرى ان ترجع الى
 فرسك ودرعك فتأخذها فان أحداً من الناس لا يقدم عليك
 وأنت فارس أبداً فاصبح الزير عاديا وسار معه ابن جرموز
 وقد كفر على الدرع فلما انتهى الى وادي السباع استغفله فطعمه
 ثم رجع برأسه وسلبه الى قومه فقال له رجل من قومه يا ابن
 جرموز فضحت والله اليمين بأسرها قتلت الزير رأس المهاجرين
 وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته والله
 لو قتلته في حرب لـمـز ذلك علينا ولمسنا عارك فكيف في
 جوارك وذمتك والله ليزيدك على ان يبشرك بالنار فغضب
 ابن جرموز وقال والله ما قتلته الا له ووالله ما أخاف فيه قصاصاً
 ولا أرهب فيه قرشياً وان قتله على لهين .

﴿ مخاطبة على لطلحة بين الصفين ﴾ قال وذكروا ان علياً
 نادى طلحة بعد انصراف الزير فقال له يا أبا محمد ما جاء بك قال
 أطلب دم عثمان قال على قتل الله من قتله قال طلحة نخل بيننا
 وبين من قتل عثمان أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٢٥

قال انما يحل دم المؤمن في أربع خصال زان فيرجم أو محارب لله أو مرتهد عن الاسلام أو مؤمن يقتل مؤمناً عمداً فهل تعلم ان عثمان أتى شيئاً من ذلك فقال علي لا قال طلحة فأنت أمرت بقتله قال علي اللهم لا قال طلحة فاعتزل هذا الأمر ونجعله شورى بين المسلمين فان رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس وان رضوا غيرك كنت رجلاً من المسلمين قال علي أو لم تبايعني يا أبا محمد طائماً غير مكره فما كنت لا ترك بيعتي قال طلحة بايعتك والسيف على عنقي قال ألم تعلم اني ما أكرهت أحداً على البيعة ولو كنت مكرهاً أحداً لا أكرهت سعداً وابن عمرو ومحمد بن مسلمة. أبوا البيعة واعتزلوا فتركهم قال طلحة كنا في الشورى ستة فمات اثنان وقد كرهناك ونحن ثلاثة قال علي انما كان لكما أن لا ترضيا قبل الرضى وقبل البيعة وأما الآن فليس لكما غير ما رضىتما به الا ان تخرجا مما بويعت عليه يحدث فان كنت أحدث حدثاً فسموه لي وأخرجتم أمكم عائشة وتركتم نساءكم فهذا أعظم الحدث منكم أَرْضَى هذا الرسول الله ان تهتكوا ستراً ضربه عليها وتخرجوها منه فقال طلحة انما جاءت للاصلاح

قال علي هي لعمر الله الى من يصلح لها أمرها أحوج أيها الشيخ أقبل النصيح وارض بالتوبة مع العار قبل أن يكون العار والنار ﴿التحام الحرب﴾ قال وذكروا انه بينما الناس وقوف اذ رمى رجل من أصحاب علي فجئ به الى علي فقالوا يا أمير المؤمنين هذا أخونا قد قتل فقال علي أعذروا الى القوم فقال عبد الرحمن بن أبي بكر الى متى قدوا الله أعذرنا وأعذرت ان كنت تريد الاعذار والله لتأذن لنا في لقاء القوم أو لنصرفن . الى متى نستهدف نحورنا للقتال والسلاح يقتلوننا رجلا رجلا فقال علي قدوا الله أرانا أعذرنا أين محمد ابني فقال ها أنا ذا فقال أي بني خذ الراية فابتدر الحسن والحسين ليأخذها فأخرها عنها وكان علي يؤخرها شفقة عليهما فأخذ محمد الراية ثم قام علي فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسها ثم قال أحزموني فحزم بعمامة أسفل من سرتة ثم خرج وكان عظيم البطن فقال لابنه تقدم وتضعضع الناس حين سمعوا به قد تحرك فينهم ككذلك اذ سمعوا صوتا فقال علي ما هذا فقل عائشة تلحن قتلة عثمان فقال علي ورفع بصره الى السماء لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل .

١٢٧

وقد كان على عبا الناس أثلاثا فجعل مضر قلب العسكر واليمن
 ميمنته وربيعه ميسرته وعبا أهل البصرة مثل ذلك فاقتتل
 القوم قتالا شديدا فهزمت يمن البصرة يمن علي وهزمت ربيعة
 البصرة ربيعة علي قال حية بن جهمين نظرت الى علي وهو
 يخفق نعاسا فقلت له تالله ما رأيت كاليوم قط انت بازاننا
 لمائة الف سيف وقد هزمت ميمنتك وميسرتك وانت
 تخفق نعاسا فانتبه ورفع يديه وقال اللهم انك تعلم اني
 ما كتبت في عثمان سوادا في بياض وان الزبير وطلحة أبا
 وأجلبا على الناس اللهم أولانا بدم عثمان نخذه اليوم . ثم تقدم
 علي فنظر الى أصحابه يهزمون ويقتلون فلما نظر الى ذلك صاح
 بابنه محمد ومعه الراية ان اقتحم فأبطأ وثبت فأني على من خلفه
 فضربه بين كتفيه وأخذ الراية من يده ثم حمل فدخل عسكرهم
 وإن الميمنتين والميسرتين تضطربان في احدهما عمار وفي
 الاخرى عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر قال فشق علي
 في عسكر القوم يطعن ويقتل ثم خرج وهو يقول الماء الماء
 فأتاه رجل بأداة فيها غسل فقال له يا أمير المؤمنين أما الماء
 فانه لا يصلح لك في هذا المقام ولكن أذوقك هذا الغسل

فقال هات فحسا منه حسوة ثم قال ان عسلك لطائي قال
الرجل لعجبا منك والله يا أمير المؤمنين امرفتك الطائي من
غيره في هذا اليوم وقد بلغت القلوب الحناجر فقال له علي
انه والله يا ابن أخي ماملاً صدر عمك شيء قط ولا هابه شيء
ثم أعطي الراية لابنه وقال هكذا فاصنع فتقدم محمد بالراية
ومعه الانصار حتى انتهى الى الجمل والهودج وهزم ما يليه
فاقتل الناس ذلك اليوم قتالاً شديداً حتى كانت الواقعة
والضرب على الركب وحمل الاشر النخعي وهو يريد عائشة
فلقيه عبد الله بن الزبير فضربه الاشر واعتقه عبد الله فصرعه
وقعد على صدره ثم نادى عبد الله: اقتلوني ومالكاً . فلم يدر
الناس من مالك^(١) فانفلت الاشر منه فلما رأى كعب بن سور
الهزيمة أخذ بخطام البعير ونادى أيها الناس الله الله فقاتل وقاتل
الناس معه وعطفت الازد على الهودج وأقبل علي وعمار
والاشر والانصار معهم يريدون الجمل فاقتل القوم حوله حتى
حال بينهم الليل وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال

(١) انما كان يعرف بالاشر ولو علموه لقتلوه . وروى ان الزبير كان يقول :

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

١٢٩

سبعة أيام وان علياً خرج اليهم بعد سبعة أيام فمزهمهم فلما رأى طلحة ذلك رفع يديه الى السماء وقال اللهم ان كنا قد داهنا في أمر عثمان وظلمناه نخذه اليوم منا حتى ترضى . قال فما مضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه فخر وثبتت عائشة وحماها مروان في عصابة من قيس ومن كناية وبني أسد فأحرق بهم علي بن أبي طالب ومال الناس الى علي وكلما وثب رجل يريد الجمل ضربه مروان بالسيف وقطع يده حتى قطع نحو عشرين يداً من أهل المدينة والحجاز والكوفة حتى أوتي مروان من خلفه فضرب ضربة فوق وعرقب الجمل الذي عليه عائشة وانهزم الناس وأسرت عائشة وأسر مروان ابن الحكم وعمرو بن عثمان وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد ابن العاصي فقال عمار لعلّي يأمر المؤمنين أقتل هؤلاء الأسرى فقال علي لا أقتل أسير أهل القبلة اذا رجع ونزع فدعا علي بموسى بن طلحة فقال الناس هذا أول قتيل يقتل فلما أتى به علي قال تبائع وتدخل فيما دخل فيه الناس قال نعم فباع وباعوا الجميع وخلي سبيلهم وسأل الناس علياً ما كان عرض عليهم قبل ذلك فأعطاه ثم أمر المنادي فنادى لا يقتلنّ مدبر

(٩)

١٣٠

ولا يجهز على جريح ولكم ما في عسكرهم وعلى نسايتهم المدة
وما كان لهم من مال في أهليهم فهو ميراث على فرائض الله
فقام رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف تحل لنا أموالهم ولا
تحل لنا نساؤهم ولا أبنائهم فقال لا يحل ذلك لكم فلما أكثروا
عليه في ذلك قال اقترعوا هاتوا بسهامكم ثم قال ايكم يأخذكم
عائشة في سهمه فقالوا نستغفر الله فقال وأنا أستغفر الله قال
ثم ان عاليا مر بالقتلى فنظر الى محمد بن طلحة وهو صريع في
القتلى وكان يسمى السجاد لما بين عينيه من أثر السجود
فقال: رحمك الله يا محمد لقد كنت في العبادة مجتهداً آتاء الليل
قواماً وفي الحرور صواماً ثم التفت الى من حوله فقال هذا
رجل قتله برّ أبيه فاختلفوا في طلحة وابنه محمد أيهما قتل قبل
فشهدت عائشة لمحمد انها رآته بعد قتل أبيه فورثوا ولده في
مال طلحة . قال وأتى محمد بن أبي بكر فدخل على أخته عائشة
رضي الله عنها قال لها أما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم : يقول : عليّ مع الحق والحق مع علي ثم خرجت تقايلينه
بدم عثمان . ثم دخل عليهما علي فسلم وقال يا صاحبة الهودج
قد أمرك الله ان تقعدى في بيتك ثم خرجت تقايلين

١٣١

أترحمي قالت أرتحل فبعث معها علي رضي الله عنه أربعين امرأة وأمرهن أن يلبسن العمام ويتقلدن السيوف وأن يكن من الذين يلبنها ولا تطلع على أنهن نساء فجعلت عائشة تقول في الطريق فعل الله في ابن أبي طالب وفعل بعث معي الرجال فلما قدمنا المدينة وضمن العمام والسيوف ودخلن عليها فقالت جزي الله ابن أبي طالب الجنة . قال ودفن طلحة في ساحة البصرة فأتى عائشة في المنام فقال حوليني من مكاني فإن البرد قد أذاني فحولته . وقال عبد الله بن الزبير أمسيت يوم الجمل وفي بضع وثلاثون بين ضربة وطعنة وما رأيت مثل يوم الجمل قط ما يهزم منا أحد ولا يأخذ أحد منا بخطام الجمل الا قتل أو قطعت يده حتى ضاع الخطام من يد بني ضبة فقهر الجمل . قال دخل موسى بن طلحة على علي فقال له علي : إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله فيهم « ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخواناً على سررٍ متقابلين » وامسى على بالبصرة ذلك اليوم الذي أتاه فيه موسى بن طلحة فقال ابن الكواء أمسيت بالبصرة يا أمير المؤمنين فقال كان عندي ابن أخي قال ومن هو قال موسى بن طلحة فقال ابن الكواء لقد شقينا

١٣٢

ان كان ابن أخيك . فقال علي ويحك ان الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . ثم قال ابن الكواء يا أمير المؤمنين من أخبرك بمسيرك هذا الذي سرت فيه تضرب الناس بعضهم ببعض وتستولي بالامر عليهم أراي رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت الدعوة فرأيت انك أحق بهذا الامر منهم لقربتك فان كان رأيا رأيته أجبنك فيه وان كان عهداً عهدك اليك رسول الله فانت الموثوق به المأمون على رسول الله فيما حدثت عنه فقال علي أنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه أما أن يكون عندي عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا والله ولكن لما قتل الناس عثمان نظرت في أمري فاذا الخليفان اللذان أخذاهما من رسول الله قد هلكا ولا عهد لهما واذا الخليفة الذي أخذها بمشورة المسلمين قد قتل وخرجت ربقته من عنقي لانه قتل ولا عهد له . قال ابن الكواء صدقت وبررت ولكن ما بال طلحة والزبير ولم استحللت قتالهما وقد شاركاك في الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الشورى مع عمر بن الخطاب؟ قال علي: يايماني بالحجاز ثم خالفاني بالعراق فقاتلتهما على خلافهما ولو فعلا ذلك

مع أبي بكر وعمر لقاتلاهما .

هو مبايعة أهل الشام بالخلافة معاوية ؓ قال وذكروا ان النعمان بن بشير لما قدم على معاوية بكتاب زوجة عثمان تذكر فيه دخول القوم عليه وما صنع محمد بن أبي بكر من نكاحه في كتاب قد رقت فيه وأبلغت حتى اذا سمعه السامع بكى حتى يتصدع قلبه وبقيص عثمان مخضباً بالدم ممزقا وعقدت شعر لحية في زر القميص . قال فصعد المنبر معاوية بالشام وجمع الناس ونشر عليهم القميص وذكر ما صنعوا بعثمان فبكى الناس وشهقوا حتى كادت نفوسهم أن تهتق ثم دعاهم الى الطلب بدمه فقام اليه أهل الشام فقالوا هو ابن عمك وانت وليه ونحن الطالبون بمك بدمه فبايعوه أميراً عليهم وكتب وبعث الرسل الى كور الشام وكتب الى شرحبيل بن السمط الكندي وهو بحمص يأمره ان يبايع له بحمص كما يبايع أهل الشام فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية دعا أناساً من أشرف أهل حمص فقال لهم ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممن يبايع لمعاوية أميراً وهذه سقطة ولكننا نبايع له بالخلافة ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة . فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص .

١٣٤

ثم كتب الى معاوية : أما بعد فانك أخطأت خطأ عظيما حين
 كتبت الى ان أباع لك بالامرة واملك تريد أن تطالب بدم
 الخليفة المظلوم وأنت غير خليفة وقد بايعتُ ومن قبلي لك
 بالخلافة . فلما قرأ معاوية كتابه سرّه ذلك ودعا الناس وصعد
 المنبر وأخبرهم بما قال شرحبيل ودعاهم الى بيته بالخلافة
 فأجابوه ولم يختاف منهم أحد فلما بايع القوم له بالخلافة واستقام
 له الامر كتب الى علي : سلام الله على من اتبع الهدى أما بعد
 فانا كنا نحن واياكم يداً جامعة والفة اليفة حتي طمعت يا ابن
 أبي طالب فتغيرت وأصبحت تعد نفسك قويا على من عاداك
 بطغام أهل الحجاز وأوباش أهل العراق وحمقى القسطنطين
 وغوغاء السواد وأيم الله لينجلين عنك حماها ولينقشمن عنك
 غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء . قتلت عثمان بن عفان ورقيت
 سلماً أطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لا لك . وقتلت الزبير
 وطلحة وشردت أملك عائشة ونزلت بين المصريين فمئيت
 وتمنيت وخيل لك ان الدنيا قد سخرت لك بخيلها ورجلها
 وانما تعرف أمنيته لو قد زرتك في المهاجرين من أهل الشام
 بقية الاسلام فيحيطون بك من ورائك ثم يقضي الله علمه

١٣٥

فيك والسلام على أولياء الله . فأجابه علي : أما بعد فقد رآنا أمور
تقدير من ينظر لنفسه دون جنده ولا يشتغل بالهزل من قوله
فلعمري لئن كانت قوتي بأهل العراق أوثق عندي من قوتي
بالله ومعاونتي به ليس عند الله تعالى يقين من كان على هذا
فناج نفسك . مناجاة من يستغنى بالجد دون الهزل فان في
القول سعة ولن يعذر مثلك فيما طمع اليه الرجال . وأما
ما ذكرت من انا كنا واياكم يداً جامعة فكنا كما ذكرت
ففرق بيننا وبينكم ان الله بعث رسوله منافاً منابه وكفرتم .
ثم زعمت اني قتلت طلحة والزبير فذلك أمر غبت عنه ولم
تحضره ولو حضرته لعلمته فلا عليك ولا العذر فيه اليك
وزعمت انك زائري في المهاجرين وقد انقطعت الهجرة حين
أسر أبوك فان يك فيك عجل فاستبقه وإن أزرك فخير أن يكون
الله بعثني عليك للنقمة منك والسلام .

﴿ قدوم عقيل بن أبي طالب على معاوية ﴾ قال وذكروا ان
عقيل بن أبي طالب قدم على أخيه علي بالكوفة فقال له علي مرحباً
بك وأهلاً ما أقدمك يا أخي قال تأخر العطاء عنا وغلا السعر ببلدنا
وركبني دين عظيم فجئت لتصلي فقال علي والله مالي مما ترى شيئاً

١٣٦

الا عطائي فاذا خرج فهو لك فقال عقيل وانما شخوصي من
الحجاز اليك من أجل عطائك وما ذا يبلغ مني عطاؤك وما
يدفع من حاجتي؟ فقال علي هل فيه تعلم لي مالا غيره أم تريد أن
يحرقني الله في نار جهنم في صلتك بأموال المسلمين؟ فقال عقيل
والله لا أخرجني الى رجل هو أوصل لي منك «يريد معاوية»
فقال له علي راشداً مهدياً . فخرج عقيل حتى أتى معاوية فلما قدم
عليه قال له معاوية مرحباً وأهلاً بك يا ابن أبي طالب ما أقدمك
علي فقال قدمت عليك لدين عظيم ركبني فخرجت الى أخي ليصلي
فزعم انه ليس له مما يلي الا عطاؤه فلم يقع ذلك مني موقعاً ولم
يسد مني مسداً فأخبرته اني سأخرج الى رجل هو أوصل منه
لي فجئتك . فازداد معاوية فيه رغبة وقال يا أهل الشام هذا
سيد قريش وابن سيدها عرف الذي فيه أخوه من الغواية
والضلالة فأثاب الى أهل الدعاء الى الحق ولسكني أزعم ان جميع
ما تحت يدي لي فما أعطيت فقربة الى الله وما أمسكت فلا
جناح عليّ فيه . فأغضب كلامه عقيلاً لما سمعه ينتقص أخاه فقال:
صدقت خرجت من عند أخي على هذا القول وقد عرفت من
في عسكره لم أفقد والله رجلاً من المهاجرين والانصار ولا

١٢٧

والله ما رأيت في عسكر معاوية رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال معاوية عند ذلك يا أهل الشام أعظم الناس من قريش عليكم حقاً ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وسيد قريش وهاهو ذا تبرأ الى الله مما عمل به أخوه . قال وأمر له معاوية بثمائة ألف دينار قال له هذه مائة ألف تقضي بهاديونك ومائة ألف تصل بها رحمتك ومائة ألف توسع بها على نفسك .

﴿ نعى عثمان بن عفان الى معاوية ﴾ قال عبد الله بن مسلم وذكر ابن عفير عن عوف بن عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري قال قدم الحجاج بن خزيمة الشام بكتاب معاوية بعد قتل عثمان بأيام فقال له أتعرفني قال نعم أنت الحجاج بن خزيمة فما وراءك فقال الحجاج انا النذير المريان أنى اليك أمير المؤمنين عثمان ثم قال انى كنت ممن خرج معينا لعثمان مع يزيد بن أسد فتقدمت الى الربدة فلقينا بها رجلاً حدثنا عن قتل عثمان وزعم انه ممن قتله فقتلناه واني أخبرك يا معاوية انك تقوي على عني بدون ما يقوي به عليك لأن من معك لا يقولون اذا قلت ولا يسألون اذا أمرت ولأن من مع علي يقولون اذا قال ويسألون اذا أمر فقليل ممن معك خير من

كثير ممن معه . واعلم ان علياً لا يرضيه الا الرضى وان رضاه
يسخطك ولست وعلى بالسواء لا يرضى علي بالعراق
دون الشام ورضاؤك بالشام دون العراق . قال وذكروا انه
لما فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعا وبايع له أهل العراق
واستقام له الامر بها كتب الى معاوية : أما بعد فان القضاء
السابق والقدر النافذ ينزل من السماء كقطر المطر فتمضى
أحكامه عز وجل وتنفذ مشيئته بغير تحاب المخلوقين ولا رضا
الآدميين وقد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله وبيعة
الناس عامة اياي ومصارع الناكثين لي فادخل فيما دخل
الناس فيه والا فأنا الذي عرفت وحولي من تعلمه والسلام .
فلما قدم على معاوية كتاب عليّ مع الحجاج بن عدي الانصاري
الفاه وهو يخطب الناس بدمشق فلما قرأه اغتم بذلك وأعظمه
وأسره عن أهل الشام ثم قام الحجاج بن عدي خطيباً فحمد
الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الشام ان أمر عثمان أشكل على
من حضره المخبر عنه كالأعمى والسميع كالأصم عابه قوم
فقتلوه وغدره قوم فلم ينصروه فكذبوا الغائب وآتهموا
الشاهد وقد بايع الناس علياً على منبر رسول الله صلى الله عليه

١٣٩

وسلم بيعة عامة من رغب عنها رد اليها صاغراً داحراً فانظروا في ثلاث وثلاث ثم اقضوا على أنفسكم : اين الشام من الحجاز واين معاوية من علي واين أتم من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان . قال فغضب معاوية لقوله وقال يا حجاج أنت صاحب زيد بن ثابت يوم الدار قال نعم فان كان بلغك والا أعدتك قال هات قال : أشرف علينا زيد بن ثابت وكان مع عثمان في الدار وقال يا معشر الانصار انصروا الله مرتين فقلت يا زيد انا نكره ان نلقى الله فنقول كما قال القوم « رَبَّنَا إنا أَطعنا سَادَاتِنَا وكبراءَنا فَأَضَلُّونا السَّبِيلَ » فقال معاوية انصرف الى علي وأعلمه ان رسولي علي أترك ثم ان معاوية انتخب رجلاً من عبس وكان له لسان فكتب معاوية الى علي كتاباً عنوانه : من معاوية الى علي وداخله : بسم الله الرحمن الرحيم : لا غير . فلما قدم الرسول دفع الكتاب الى علي فعرف علي ما فيه وان معاوية محارب له وانه لا يجيبه الى شيء مما يريد وقام رسول معاوية خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هل ههنا أحد من أبناء قيس غيلان وبني عبس ذبيان قانوا نعم هم حولك قال فاسمعوا ما أقول لكم : يا معشر قيس اني أحلف بالله لقد خلفت بالشام

١٤٠

خمسين الف شيخ خاضيين لحام من دموع أعينهم تحت قميص
 عثمان رافعيه على الرماح مخضوباً بدمائه قد أعطوا الله عهداً
 أن لا يغمدوا سيوفهم ولا يغمضوا جفونهم حتى يقتلوا
 قتلة عثمان يوصى به الميت الحي ويرثه الحي من الميت حتى والله
 نشأ عليه الصبي وهاجر عليه الاعرابى وترك القوم تمس الشيطان
 وقالوا تمساً لقتلة عثمان وأحلف بالله لياتينكم من خضر الخيل
 اثنا عشر ألفاً فانظروا كم الشهب وغيرها . فقال له على ما يريدون
 بذلك قال يريدون بذلك والله خبط رقبتك فقال علي تربت
 يدك (١) وكذب فوك أما والله لو أن رسولاً قتل لقاتلك
 فقام الصلت بن زفر : فقال : ليس وافد أهل الشام انت ورائد
 أهل العراق ونم العون الى وبئس العون لمعاوية يا أخا عبس أتحوف
 المهاجرين والانصار بخضر الخيل وغضب الرجال أما والله
 ما نخاف غضب رجالك ولا خضر خيلك فأما بكاء أهل
 الشام على قميص عثمان فوالله ما هو بقميص يوسف ولا بحزن
 يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام لشد خذلوله بالحجاز وأما قتالهم

(١) ترب الرجل اذا افتقر وقل ماله . وقوله هنا تربت يدك هو

على الدعاء . أي لا أصاب خيراً .

١٤١

علياً فان الله يصنع في ذلك ما أحب . قال وان العباسي أقام بالعراق عند علي حتى اتهمه معاوية ولقيه المهاجرون والانصار فأشربوه حب علي وحدثوه عن فضائله حتى شك في أمره .

﴿ قدوم ابن عم عدي بن حاتم الشام ﴾

قال وذكروا ان عدي بن حاتم قدم الى علي بالكوفة قبل أن يسير الى البصرة فقال يا أمير المؤمنين لسنا نخاف أحداً الا معاوية وعندي رجل من قومي يريد أن يزور ابن عم له بالشام يقال له حابس بن سعد فلو أمرناه أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام فقال له علي افعل فأغروه بذلك فلما قدم علي ابن عمه وكان سيد طيء بالشام سأله فأخبره انه شهد قتل عثمان بالمدينة المنورة وسار مع علي الى الكوفة وكان له لسان وهيبة ففداه به حابس الى معاوية فقال هذا ابن عمي قدم من الكوفة وكان مع علي وشهد قتل عثمان بالمدينة وهو ثقة فقال له معاوية حدثنا عن أمر عثمان قال نعم :وليه محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وتجرد في أمره ثلاث نفر عدي بن حاتم والاشتر النخعي وعمرو ابن الحصين ودب في أمره رجلان طلحة والزبير وأبرأ

الناس منه علي بن أبي طالب ثم تهافت الناس علي بالبيعة
تهافت الفراش حتى ضلت النعل وسقط الرداء ووطيء الشيخ.
ولم يذكر عثمان ولم يذكره ثم تهيأ للمسير تخف معه المهاجرون
والانصار وكره القتال معه ثلاث نفر عبد الله بن عمر
وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة فلم يستكره أحداً
واستغنى بمن خف عن ثقل ثم سار حتى انتهى الى جبل طيء
فأتاه منهم جماعة عظيمة حتى اذا كان في بعض الطريق أتاه
مسير طلحة والزبير وعائشة الى البصرة فسرح رسله الى
الكوفة فأجابوا دعوته ثم قدموا فحملوا اليه الصبي ودبت اليه
العجوز وخرجت اليه العروس فرحاً به وسروراً وشوقاً اليه
ثم سار الى البصرة فبرز اليه القوم طلحة والزبير وأصحابهم فلم
يأبشوا الا يسيراً حتى صرعه الله وأبرزهم الى مضاجعهم ثم
صارت البصرة وما حولها في كفه قال وتركته وليس لهم
الا أنت والشام. فانكسر معاوية لقوله وقال والله ما أظنه الا
عينا لعل اخرجوه لا يفسد أهل الشام ثم قال معاوية وكيف
لا يضيع عثمان ويقتل وقد خذله أهل ثقاته وأجمعوا عليه أما
والله لئن بقينا لهم لندرسنهم درس الجمال هشيم اليبس.

١٤٣

﴿استعمل على عبد الله بن عباس على البصرة﴾ قال وذكروا
 ان علياً لما صار من البصرة بمد فراغه من أصحاب الجمل
 استعمل عليها عبد الله بن عباس وقال له : أوصيك بتقوي
 الله عز وجل والعدل على من ولاك الله أمره اتسع للناس
 بوجهك وعلمك وحكمك وإياك والإحسان فانها تمت للقلب
 والحق واعلم ان ما قربك من الله بعدك من النار وما قربك من
 النار بعدك من الله. اذ كر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين.
 فلم يلبث على حين قدم الكوفة وأراد المسير الى الشام ان
 انضم اليه ابن عباس واستعمل على البصرة زياد بن أبي سفيان.
 ﴿ما أشار به الا حنف بن قيس على علي﴾ قال وذكروا ان
 الاحنف بن قيس قام الى علي فقال : يا أمير المؤمنين انه ان يك
 بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل فلن ينصروا عليك غيرك وقد
 عجبوا ممن نصرك يومئذ وعجبوا اليوم ممن خذ لك لانهم
 شكوا في طاحه والزبير ولم يشكوا في عمر ومعاوية وان عسيرتنا
 بالبصرة فلو بعثنا اليهم فقدموا علينا فقاتلنا بهم العدو وانتصنا
 بهم من الناس وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس . وهذا جمع قد
 حشره الله عليك . لتقوى لم نستكره شاخصاً ولم نشخص

فيه مقبلاً ومن كان معك نافعك ورب مقبلاً خير
من شاخص. وانما نشوب الرجاء بالخفاة ووالله لو ددنا ان أمواتنا
رجعوا الينا فاستعنا بهم على عدونا وليس لك الا من كان معك
ولنا من قومنا عدد ولا نلقى بهم عدواً أندى من معاوية ولا
نسد بهم ثغراً أشد من الشام.

✽ كتاب الاحنف الى قومه يدعوهم به الى نصره علي قال
وذكروا ان علياً قال للأحنف بن قيس اكتب الى قومك
قال نعم فكتب الاحنف الى بني سعد : أما بعد فانه لم يبق
أحد من بني تميم الا وقد شقوا برأى سيدهم غيركم وعصمكم
الله برأى حتى نلتم مارجوتهم وأمنتم مما خفتم فاصبحتهم منقطعين
من أهل البلاء لاحقين بأهل العافية واني أخبركم أنا قدمنا على
تميم بالكوفة فأخذوا علينا بفضلهم مرتين مسيرهم الينا مع علي
وتهيؤهم للمسير الى الشام ثم انحشرونا معهم فصرنا كأننا لا نعرف
الا بهم فأقبلوا الينا ولا تتكلموا علينا فان لهم أعدادنا من
رؤسائهم فلا تبطأوا عنا فان من تأخير العطاء حرماناً ومن تأخير
النصر خذلاناً . فخرمان العطاء القلة وخذلان النصر الابطاء .
ولا تنقضي الحقوق الا بالرضى وقد يرضى المضطر بدون الامل .

١٤٥

فلما انتهى كتاب الاحنف الى بني سعد ساروا بجماعتهم حتى
نزلوا الكوفة .

هو كتاب أهل العراق الى مصقلة قال وذكروا انه
قام الى على بعد انصرافه من البصرة الى الكوفة وجوه بكر
ابن وائل فقالوا يا أمير المؤمنين إن نعيماً أخا مصقلة يستحي منك
لما صنع مصقلة وقد أتانا اليقين انه لا يمنع مصقلة من الرجوع
اليك الا الحياء ولم يبسط منذ فارقنا لسانه ولا يده نلو كتبنا
اليه كتابا وبعثنا من قبلنا رسولا فانا نستحي ان يكون فارقنا
مثل مصقلة من أهل العراق الى معاوية . فقال على اكتبوا
فكتبوا: أما بعد فقد علمنا انك لم تلحق بمعاوية رضى بدينه
ولا رغبة في دنياه ولم يعطك عن علي طعن فيه ولا رغبة عنه
ولكن توسطت أمراً فقويت فيه الظن وأضعفت فيه الرجاء
فكان أولاهما عندك أن قلت أفوز بالمال وألحق بمعاوية
ولعمرنا ما استبدلت الشام بالعراق ولا السكاسك بريعة ولا
معاوية بعلي ولا أصبت دنياهنأ بها ولا حظاً تحسد عليه وان
أقرب ماتكون مع الله أبعد مع ما تكون معاوية فارجع
الى مصرك فقد اغتفر أمير المؤمنين الذنب واحتمل الثقل واعلم

(٢٨٠)

فيه مقيماً ومن كان معك نافعك ورب مقيم خير
من شاخص. وانما نشوب الرجاء بالخافة ووالله لو ددنا ان أمواتنا
رجعوا الينا فاستعنا بهم على عدونا وليس لك الا من كان معك
ولنا من قومنا عدد ولا نلقى بهم عدواً أذى من معاوية ولا
نسد بهم ثغراً أشد من الشام.

﴿ كتاب الاحنف الى قومه يدعوهم به الى نصره علي ﴾ قال
وذكروا ان علياً قال الأحنف بن قيس اكتب الى قومك
قال نعم فكتب الاحنف الى بني سعد : أما بعد فانه لم يبق
أحد من بني تميم الا وقد شقوا برأى سيدهم غيركم وعصمكم
الله برأى حتى نلتهم مارجوتهم وأمنتم مما خفتهم فاصبحتهم منقطعين
من أهل البلاء لاحقين بأهل العافية واني أخبركم أنا قدمنا على
تميم بالكوفة فأخذوا علينا بفضلهم مرتين مسيرهم الينا مع علي
وتهيؤهم للمسير الى الشام ثم انحشرونا معهم فصرنا كأننا لا نعرف
الا بهم فأقبلوا الينا ولا تتكلموا علينا فان لهم أعدادنا من
رؤسائهم فلا تبطأوا عنا فان من تأخير العطاء حرماناً ومن تأخير
النصر خذلاناً . فخرمان العطاء القلة وخذلان النصر الإبطاء .
ولا تنقض الحقوق الا بالرضى وقديرضى المضطر بدون الأمل .

١٤٥

فلما انتهى كتاب الاحنف الى بني سعد ساروا بجماعتهم حتى
نزلوا الكوفة .

﴿ كتاب أهل العراق الى مصقلة ﴾ قال وذكروا انه
قام الى علي بعد انصرافه من البصرة الى الكوفة وجوه بكر
ابن وائل فقالوا يا أمير المؤمنين إن نعيماً أخاً مصقلة يستحي منك
لما صنع مصقلة وقد أتانا اليقين انه لا يمنع مصقلة من الرجوع
اليك الا الحياء ولم يبسط منذ فارقنا لسانه ولا يده نلو كتبنا
اليه كتاباً وبعثنا من قبلنا رسولا فانا نستحي ان يكون فارقنا
مثل مصقلة من أهل العراق الى معاوية . فقال علي اكتبوا
فكتبوا: أما بعد فقد علمنا انك لم تلحق بمعاوية رضي بدينه
ولا رغبة في دنياه ولم يعطفك عن علي طعن فيه ولا رغبة عنه
ولكن توسطت أمراً فقويت فيه الظن وأضعفت فيه الرجاء
فكان أولاهما عندك أن قلت أفوز بالمال وألحق بمعاوية
ولعمرنا ما استبدلت الشام بالعراق ولا السكاسك بريعة ولا
معاوية بعلي ولا أصبت دنياهنأ بها ولا حظاً تحسد عليه وان
أقرب ما تكون مع الله أبعد مع ما تكون معاوية فارجع
الى مصرك فقد اغتفر أمير المؤمنين الذنب واحتمل الثقل واعلم

(١٠٢٠)

ان رجعتك اليوم خير منها غداً وكانت أمس خيراً منها اليوم
وان كان عليك حياء من أبي الحسن فما أنت فيه أعظم فبيع الله
أمراً ليس فيه دنيا ولا آخرة . فلما انتهى كتابهم الى مصقلة وكان
لرسولهم عقل ولسان فقال الرسول : يا مصقلة انظر فيما خرجت
منه وفيما صرت اليه وانظر من أخذت ومن تركت وانظر من
جاورت ومن زابت ثم اقضى بعقلك دون هواك . قال وان
مصقلة مضى الى معاوية بالكتاب فأقرأه اياه فقال معاوية : يا مصقلة
انك عندي غير ظنين فاذا أتاك شيء فاستره عني فانصرف
مصقلة الى منزله فدعا الرسول فقال : يا أخا بكر انما هربت
بنفسي من علي ولا والله ما يطول لساني بنغيته ولا قلت فيه
قط حرفاً بسوء اذهب بكتابي هذا الى قومي .

﴿ جواب مصقلة الى قومه ﴾ قال وذكروا ان مصقلة
كتب الى قومه : اما بعد فقد جاءني كتابكم واني أخبركم انه
من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد علمتم الأمر الذي
قطعني من علي وأضافني الى معاوية وقد علمت اني لو رجعت
الى علي واليكم لكان ذنبي مغفوراً ولكنني أذنبت الى علي وصحبت
معاوية فلو رجعت الى علي أحدثت عيباً وأحيت عاراً وكنت

١٤٧

بين لائمين أولهما خيانة وآخرهما غدر ولكني أقيم بالشام
 فان غلب معاوية فدارى العراق وان غلب علي فدارى أرض
 الروم فأما الهوى فاليكم طائر وكانت فرقتي علياً على بعض
 المذر أحب اليّ من فرقتي معاوية ولا عذر لي. ثم قال للرسول
 يا ابن أخي استعرض الناس عن قولي في عليّ فقال قد بسألت
 فقالوا خيراً قال فاني والله عليه حتى أموت. فرجع الرسول
 بالكتاب فأقرأه علياً فقال كفوا عن صاحبكم فليس براجع
 حتى يموت فقال حصين أما والله مابه الا الحياء .

﴿ لحوق عبد الله بن عامر بالشام ﴾ قال وذكروا ان
 عبد الله بن عامر لحق بالشام ولم يأت معاوية وخاف يوماً كيوم
 الجمل فبعث اليه معاوية أن يأتيه وألح عليه فكتب ابن عامر:
 أما بعد فاني أخبرك اني أتحمت طلحة والزبير الى البصرة وأنا
 أقول اذا رأى الناس أم المؤمنين مالوا اليها وإن فرّ الناس لم
 يفر الزبير وإن غدر الناس لم يغدر مروان فغضبت عائشة
 ورجع الزبير وقتل مروان طلحة وذهب مالى بما فيه والناس
 أشباه واليوم كامس فان أتبعني هواي والا ارتحل عنك والسلام.
 فكتب معاوية اليه : أما بعد فانك قلدت أمر دينك قتلة عثمان

وأنفقت مالك لعبد الله بن الزبير وأثرت العراق على الشام
فأخرجك الله من الحرب صفر اليدين ليس لك حظ الحق
ولا ثار القتيل . فلما انتهى كتابه الى ابن عامر أتاه فغمس يده
معه وبايعه فإلطفه معاوية وعرف له قرابته من عثمان :

﴿ ما أشار به عمار بن ياسر على علي ﴾ قال وذكروا ان
عمار بن ياسر قام الى علي فقال: يا أمير المؤمنين انما بايعناك ولا
نري أحداً يقاتلك فقاتلك من بايعك وأعطاك الله فيهم ما وعد
في قوله جلّ وعزّ «ومن بني عليه لينصرنه الله» وقوله «يا أيها
الناس إنما بغيكم على أنفسكم» وقوله «ومن نكث فإنما ينكث
على نفسه» وقد كانت الكوفة لنا والبصرة علينا فاصبحنا
على ما تحب بين ماض ما جور وراجع معذور وان بالشام الداء
المضال رجلا لا يسلمها أبداً الا مقتولا أو مغلوباً فعاجله قبل
أن يعاجلك وانبذ اليه قبل الحرب .

﴿ ما أشار به الاشر على علي ﴾ قال وذكروا ان الاشر
النخعي قام الى علي فقال يا أمير المؤمنين انما لنا أن نقول قبل أن
تقول فاذا عزمتم فلم نقل فلو سرت بنا الى الشام بهذا الحد والجد
لم يلقوك بمثله فان القلوب اليوم سليمة والابصار صحيحة فبادر

بالقلوب القسوة وبالأبصار العمى .

﴿ كتاب علي الى جرير بن عبد الله ﴾ قال وذكروا ان
علياً كتب الى جرير بن عبد الله ^(١) وكان على ثغر همدان كان
استعمله عليه عثمان فكتب علي اليه مع زفر بن قيس : أما بعد
فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان أراد الله
بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من ولي . ثم اني
أخبرك عنا وعمن سرنا اليهم من جمع طلحة والزبير عند
نكثهما بيعتهما وما صنعا بعاملي عثمان بن حنيف : اني هبطت
من المدينة بالمهاجرين والانصار حتى اذا كنت ببعض الطريق
بعثت الى الكوفة الحسن ابني وعبد الله بن العباس ابن عمي
وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عباد فاستنفرتهم بحق
الله وحق رسوله فأجابوا وسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة
فأعذرت في الدعاء وأقلت في العثرة وناشدتهم عقد بيعتهم

(١) هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي صاحب النبي

عليه الصلاة والسلام وكان يقال لجرير يوسف هذه الامة لحسنه وفيه
يقول الشاعر :

لولا جرير هلكت بحيلة * نعم الفقى وبئست القبيلة

فأبوا الا قتالي فاستعنت الله عليهم فقتل من قتل وولوا مدبرين الى مصرهم فسألوني ما كنت دعوتهم اليه قبل اللقاء فقبلت العافية ورفعت عنهم السيف واستعملت عليهم عبد الله بن عباس وبعثت اليك زفر بن قيس فأسأله عنا وعنهم .

﴿ خطبة زفر بن قيس ﴾ قال وذكروا انه لما قدم زفر علي جرير بكتاب علي وقرأه جزير قام زفر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن علياً كتب اليكم بكتاب لا يقول بعده الا رجيعاً من القول ان الناس بايعوا علياً بالمدينة غير محابة ببيعتهم لعلمه بكتاب الله ويرى الحق فيه وان طلحة والزبير نقضا بيعة عليّ علي غير حدث ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب وألبا عليه الناس وأخرجوا أم المؤمنين عائشة من حجاب ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها فلقياها فأعذر في الدعاء وخشي البني وحمل الناس على ما يعرفون فهذا عيان ما غاب عنكم وإن سألتهم الزيادة زدناكم .

﴿ خطبة جرير بن عبد الله البجلي ﴾ قال وذكروا ان جرير بن عبد الله قام خطيباً فحمد الله فقال : أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو المأمون على

١٥١

الدين والدنيا وكان من أمره وأمر عدوه ما قد سمعتم فالحمد لله على أقضيته وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والانصار والتابعون باحسان ولو جعل الله هذا الامر شورى بين المسامين لكان عليّ أحق بها ألا وان البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة وعلى حاملكم على الحق ما استقمتم له فان ملتم أقام ميلكم. قال الناس سمعاً وطاعة ورضانا رضى من بعدنا .

﴿ كتاب عليّ الى الاشعث بن قيس ﴾ قال وذكروا ان عليا كتب الى الاشعث بن قيس مع زياد بن كعب والاشعث يومئذ بأذربيجان عاملاً لعثمان كان استعمله عليها :أما بعد فلو لا هنأت كنّ فيك كنت المقدم في هذا الامر قبل الناس فلعل أمراً يحمل بعضه بعضاً ان أتيت الله وقد كان من بيعة الناس اياي ماقد بلغك وكان طلحة والزبير أول من بايعني ثم نقضا بيعتي على غير حدث وأخرجنا أم المؤمنين الى البصرة فسرت اليهما في المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهما الى أن يرجعا الى ما خرجا منه فأبيا فأبلغت في الدعاء وأحسننت في البقاء وان عمّلك ليس لك بطعمة ولكنه أمانة في عنقك والمال مال الله وأنت من خزاني عليه حتى تسلمه الى ان شاء

الله وعلى أن لا أكون شر ولاتك .

﴿ خطبة زياد بن كعب ﴾ قال وذكروا ان الاشعث ابن قيس لما قرأ كتاب على قام زياد بن كعب خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير وان أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ولم يشف منه الخبير غير أن من سمعه كمن عاينه وان المهاجرين والانصار بايعوا علياً راضين به وان طلحة والزبير نقضا بيعة علي غير حدث وأخرجوا أم المؤمنين علي غير رضى فساد اليهم ولم ينلهم فتركهم وما في نفسه منهم حاجة فأورثه الله الارض وجعل له عاقبة المتقين .

﴿ خطبة الاشعث بن قيس ﴾ قال فقام الاشعث بن قيس خطيباً فقال : أيها الناس ان عثمان رحمه الله ولاني أذربجانب وهلك وهى في يدي وقد بايع الناس علياً وطاعتنا له لازمة وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك .

﴿ مشورة الاشعث ثقاته في اللحوق بمعاوية الى الشام ﴾ قال وذكروا ان الاشعث رجع الى منزله فدعا أهل ثقته من أصحابه فقال لهم ان كتاب على جاءني وقد أوحشني وهو

١٥٣

آخذى بمال أذربيجان وأنا لاحق بمعاوية . فقال القوم الموت
خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون
ذنبا لأهل الشام .

﴿ كتاب جرير الى الاشعث ﴾ قال وذكروا ان جريرا
كتب الى الاشعث : أما بعد فانه أتتني بيعة على فبقعتها ولم
أجد الى دفعها سبيلا واني نظرت فيما غاب عني من أمر
عثمان فلم أجده يلزمني وقد شهدته المهاجرون والانصار فكان
أوثق أمرهم فيه الوقوف فاقبل بيعته فانك لاتأتمت الى خير منه .
واعلم ان بيعة على خير من مصارع أهل البصرة وقد تحاب الناقة
الضجور ويجلس العود على البعير الدبر فانظر لنفسك والسلام .
﴿ ارسال على جريرا الى معاوية ﴾ قال وذكروا ان
جريرا لما قدم على علي قال له يا جرير انطلق الى معاوية بكتابي
هذا وكن عند ظني فيك واعلم يا جرير انك ترى من حولي
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين
والبدرين والعقبين وإني اخترتك عليهم لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم : خير ذي يمن جرير . فاذهب الى معاوية
بكتابي هذا ورسالتى فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون والا

فانبذ اليه بالحرب واعلمه اني لا أرضى به أميراً ولا العامة
لا أرضى به والياً: فقال: جرير اني لا كره ان أمنك معوتى
وما أطمع لك في معاوية ويصنع الله ما يشاء.

﴿كتاب على الى معاوية مرة ثانية﴾ قال وذكروا ان
علياً كتب الى معاوية مع جرير: أما بعد فإن بيعتي بالمدينة
لزمك وأنت بالشام لانه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر وعمر
وعثمان على ما بايعوا فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن
يرد وإنما الشوري للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على
رجل فسموه إماماً كان ذلك لله رضا فان خرج منهم خارج
ردوه الى ما خرج منه فان أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل
المؤمنين وأولاه الله ماتولى وأصلاه جنهم وساءت مصيراً
وان طلحة والزبير بايعانى بالمدينة ثم نقضا بيعتهما فكان نقضهما
كردتهما فجاهدتهما بعد ما أعذرت اليهما حتى جاء الحق وظهر
أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب
أمورك الى العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تتعرض للبلاء
قاتلتك واستغنت بالله عليك وقد أكثر الكلام في قتلة
عثمان فادخل في الطاعة ثم حاكم القوم الى أحملك واياهم على

١٥٥

كتاب الله فأما التي نريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن ولعمري
لئن نظرت بمقلك دون هوائك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان
واعلم يا معاوية أنك من الطلقاء الذين لا تحمل لهم الخلافة ولا تعقد
معهم الامامة ولا تعرض فيهم الشوري وقد بعثت اليك والى
من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الايمان والهجرة
السابقة فبايع ولا قوة الا بالله.

﴿ قدوم جرير الى معاوية ﴾ قال وذكروا ان جريراً لما
قدم على معاوية بكتاب علي قام جرير بالشام خطيباً فقال :أيها
الناس ان أمر عثمان قد أعيا علياً ومن شهده فما ظنكم بمن
غاب عنه ان الناس بايعوا علياً وان طلحة والزبير كانا ممن بايع
ثم نقضا بيعته الا وان هذا الدين لا يحتمل الغبن .ألا وان هذا الدين
لا يحتمل السيف وقد كانت بالبصرة ملحمة ان يشفع البلاء
بمثلها فلا بقاء للناس وقد بايعت الامامة علياً ولو ملكنا أمرنا لم
نختر لها غيره فمن خالف هذا استعيب فادخل يا معاوية فيما
دخل الناس فيه فان قلت ان عثمان ولائي ولم يعزلي فان هذا
لو كان لم يقم لله دين وكان لكل امرئ ما هو فيه .

﴿ إشارة الناس على علي بالمقام بالكوفة ﴾ قال وذكروا

ان عالياً استشار الناس فأشاروا عليه بالمقام بالكوفة عامة ذلك
غير الا شتر النخعي وعدي بن حاتم وشريح بن هاني فإنيهم قاموا
الى علي فتكلموا بلسان واحد فقالوا ان الذين أشاروا عليك
بالمقام انما خوفوك بحرب الشام وليس في حربهم شيء أخوف
من الموت ونحن نريده . فقال لهم ان استعدادي لحرب الشام
وجرير صارف لهم عن خير إن أرادوه ولكني قد وقت له
وقتاً لا يقيم بعده الا أن يكون مخدوعاً أو عاصياً ولا أكره لكم
الاعداد وابطأ جرير علي بالشام حتى يش منه وان جريراً لما
أبطأ عليه معاوية برأيه أستحشه بالبيعة فقال معاوية لجرير : يا جرير
ان البيعة ليست بخلسة وانه أمر له مابعد فأبلغني ريق .

﴿ مشورة معاوية أهل ثقته ﴾ قال وذكروا ان معاوية
دعا أهل ثقته قاستشارهم فقال عتبة بن أبي سفيان استعن علي
هذا الامر بعمر بن العاص فانه من قد عرفت وقد اعتزل
عثمان في حياته وهو لا مرك أشد اعتزالا الا أن ترضيه .

﴿ كتاب معاوية الى عمرو بن العاص ﴾ قال وذكروا
ان معاوية كتب الى عمرو بن العاص وهو بفلسطين : أما بعد
فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط

علينا مروان بن الحكم في رافضة من أهل البصرة وقدم على جرير بن عبد الله في بيعة على وقد حبست نفسي عليك فأقدم على بركة الله والسلام .

﴿ ماسأل معاوية من علي من الإقرار بالشام ومصر ﴾ قال وذكروا ان معاوية قال لجرير اني قد رأيت رأيا قال جرير هات قال اكتب الى علي ان يجعل لي الشام ومصر فإن حضرته الوفاة لم يجعل لاحد من بعده في عنقي بيعة واسلم اليه هذا الامر واكتب اليه بالخلافة قال جرير اكتب ماشئت . وانما أراد معاوية في طلبه الشام ومصر ان لا يكون لعلي في عنقه بيعة وان يخرج نفسه مما دخل فيه الناس فكتب الى علي يسأله ذلك فلما أتى عليا كتاب معاوية عرف انها خدعة منه .

﴿ كتاب علي الى جرير بن عبد الله ﴾ قال وذكروا ان عليا كتب الى جرير : أما بعد فان معاوية انما أراد بما طلب ان لا يكون لي في عنقه بيعة وأن يختار من أمره ما أحب وقد كان المغيرة بن شعبة أشار علي وأنا بالمدينة ان استعمله علي الشام فأبيت ذلك عليه ولم يكن الله ليراني أن أتخذ المضايين

عضداً فإن بايعك الرجل والا فاقبل .

﴿ استشارة عمرو بن العاص ابنه ومواليه ﴾ قال
وذكروا انه لما انتهى الى عمرو بن العاص كتاب معاوية
وهو بفلسطين استشار ابنه عبد الله ومحمداً وقال : يا بني انه قد
كان مني في أمر عثمان فلتات لم أستقبلها بعد وقد كان من
هروبي بنفسي حين ظننت انه مقتول ما قد احتمله معاوية
عني وقد قدم على معاوية جرير ببيعة على وقد كتب الى معاوية
بالقدوم عليه فما تريان؟ فقال عبد الله وهو الاكبر : أرى والله
ان نبي الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده كذلك
وقتل عثمان وأنت غائب عنه فأقم في منزلك فليست بمجمولا
خليفة ولا تريد ان تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة
وستهلكا فتستويا فيها جميعاً . وقال محمد : أرى انك شيخ قريش
وصاحب أمرها فان ينصرم هذا الامر وأنت فيه خامل
يصغر أمرك^(١) فالحق بجماعة أهل الشام واطلب بدم عثمان
فانك به تستميل الي بني أمية فقال عمرو : أما أنت يا عبد الله

(١) و يروى ان محمداً قال : انت ناب من أنياب العرب ولا اري

ان يجتمع هذا الامر وليس لك فيه صوت . فالحق الخ... .

١٥٩

فأمرني بما هو خير لي في ديني وأما انت يا محمد فقد أمرني
بما هو خير لي في دنياي . ثم دعا غلاماً له يقال له وزدان
وكان داهياً فقال له عمرو ياوردان احطط ياوردان أرحل
ياوردان حطط ياوردان ارحل فقال وردان : أما انك ان شئت
نبأك بما في نفسك فقال عمرو هات ياوردان فقال اعترفت
الدنيا والآخرة على قلبك فقلت مع على الآخرة بلا دنيا
ومع معاوية الدنيا بغير آخرة فانت واقف بينهما فقال عمرو
ما أخطأت بما في نفسي فأتري ياوردان فقال أرى ان تقيم
في منزلك فان ظهر أهل الدين عشت في دينهم وان ظهر أهل
الدنيا لم يستغنوا عنك . فقال عمرو الآن حين شهرتني العرب
بمسيرتي الى معاوية .

﴿ قدوم عمرو الى معاوية ﴾ قال وذكروا ان عمرو بن
العاص لما قدم الى معاوية وعرف حاجته اليه باعده وكأيد كل
واحد منهما صاحبه فقال عمرو لمعاوية اعطني مصر فتلصص معاوية
وقال ألم تعلم ان مصر كالشام قال بلى ولكنها انما تكون لي
اذا كانت لك وانما تكون لك اذا غلبت عليا على العراق وقد
بعث أهلها بطاعتهم الى علي فدخل عتبة بن أبي سفيان على

معاوية فقال أما ترضى ان تشتري عمرًا بمصر ان هي صفت لك
 ليتك لا تغلب على الشام فلما سمع معاوية قول عتبة بعث الى
 عمرو فأعطاه مصر ولما كتب معاوية لعمرو بمصر كتب في
 أسفل الكتاب: ولا ينقض شرط طاعة وكتب عمرو: ولا
 تنقض طاعة شرطًا وكايد كل واحد منهما صاحبه وكان مع
 عمرو بن العاص ابن أخ له جاءه من مصر فلما جاء عمرو بالكتاب
 مسروراً به عجب ابن أخيه من سروه فقال: يا عمر ألا تخبرني
 بأي رأي تعيش في قريش وقد أعطيت دينك غيرك أترى
 أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها الى معاوية وعلى حيٍّ أو
 تراها ان صارت الى معاوية لا يأخذك بالجلد الذي قدمه
 فقال عمرو يا ابن أخي انه لا امر الله دون معاوية وعلى يا ابن
 أخي لو كنت مع علي وسعني بيتي ولكني مع معاوية فقال
 الفتى انك لم ترد معاوية ولكنك تريد دنياه ويريد دينك فبلغ
 معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلي وحدث علياً بأمر
 معاوية وعمرو وما قاله فسر علي بذلك وقربه.

﴿مشورة معاوية عمرًا رضى الله عنهما﴾ قال وذكروا

ان معاوية قال لعمرو: يا أبا عبد الله طرقتني في ليلتي هذه بثلاثة

١٦١

أخبار ليس فيها إيراد ولا صدر: منها ان ابن أبي حذيفة كسر
سجن مصر ومنها ان قيصر زحف بجيئة الروم ليغلب على
الشام ومنها ان علياً قد تهيأ للمجيء إلينا فما عندك ؟ قال عمرو
كل هذا عظيم أما ابن أبي حذيفة فخرج في أشياعه من
الناس فان تبعث إليه يقتل وان يقتل فلا يضرك وأما قيصر
فأهد له من وصائف الروم ومن الذهب والفضة واطلب إليه
الموادعة تجده إليها سريماً وأما علي فوالله ان له في الحرب حظاً
ما هو لاحد من الناس وانه لصاحب الامر . قال معاوية صدقت
ولكني أقاتله على ما بأيدينا ونلزمه دم عثمان فقال عمرو:
واسوأناه ان أحق الناس أن لا يذكر عثمان لا أنا ولا أنت قال
معاوية ولم فقال عمرو : أما أنت نخذلتك وممك أهل الشام
واستغاثك فإبطأت عليه وأما أنا فتركته عياناً وهربت الى
فلسطين . قال معاوية دعني من هذا هلم فبايعني فقال عمرو
لا والله لا أعطيك من ديني حتي آخذ من دنياك قال معاوية
صدقت سل تعط قال عمرو ومصر طعمة . فغضب مروان بن
الحكم وقال ما بالي لا أشتري . فقال : معاوية اسكت يا ابن عم
فانما نشترى لك الرجال . فكتب معاوية لعمرو مصر طعمة

﴿ كتاب معاوية الى أهل مكة والمدينة وجوابهما ﴾
قال وذكروا ان معاوية قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: اني أريد ان اكتب
الى أهل مكة والمدينة كتابا أذكر فيه قتل عثمان فإما أن ندرك
حاجتنا أو نكفهم عن المسير. فقال له عمرو بن الخطاب: قال:
الى ثلاثة نفر رجل لعلي لا يريد غيره ولا يزيد كتابنا فيه الا
بصورة أو رجل يهوى عليا فلا يرد عما هو عليه أو رجل معتزل
لا يريد القتال قال عمرو بن الخطاب: نعم. قال: اكتب فكتب
الى أهل مكة والمدينة: أما بعد فإنه مهما غاب عنا فإنه لم يفت
علينا أن علياً قتل عثمان والدليل على ذلك ان قتله عنده وإنما
نطلب بدمه حتى يدفع الينا قتله فنقتلهم بكتاب الله تعالى فان
دفعهم الينا كففتنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها
عمر بن الخطاب فأما الخلافة فلنسنا نطلبها فأعينونا برحمة الله
وانهضوا من ناحيتكم ﴿ جوابهما ﴾ قال وذكروا انه لما قرأ
عليهم كتابه اجتمع رأيهم على أن يسندوا أمرهم الى المنصور بن
مخرمة فجواب عنهم فكتب اليه: أما بعد فإنك أخطأت خطأ
عظيماً وأخطأت مواضع النصرة وتناولتها من مكان بعيد وما
أنت والخلافة يا معاوية وأنت طليق وأبوك من الأحزاب.

١٦٣

فكف عنا فليس لك قِلتنا وليّ ولا نصير

﴿ كتاب معاوية الى ابن عمر ﴾ قال وذكروا ان معاوية كتب الى ابن عمر كتابا خاصا دون كتابه الى أهل المدينة: أما بعد فإنه لم يكن أحد من قريش أحبّ الىّ أن يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان فذكرتُ خذلَكَ اياه وطعنكَ على أنصاره فتغيرت لك وقد هون ذلك على خلافك عليا وطعنكَ عليه وردني اليك بمض ما كان منك فأعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فاني لست أريد الإمارة عليك ولكنني أريدها لك فان أبيت كانت شورى بين المسلمين ﴿ جوابه ﴾ فكتب اليه عبد الله ابن عمر: أما بعد فان الرأي الذي أطمعك في هذا هو الذي صيرك الى ما صيرك. تركت عليا في المهاجرين والانصار وتركت طلحة والزبير وعائشة واتبعتك من أتبعك وأما قولك اني طمنت على علي فلمعري ما أنيا كعلي في الاسلام والهجرة ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أحدث أمرا لم يكن الينا فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ففزعنا الى الوقوف وقلت ان كان هذا فضلا تركته وان كان ضلالة فشر

منه نجوت فأغن عني نفسك

﴿كتاب معاوية الى سعد بن أبي وقاص﴾ قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعد بن أبي وقاص : أما بعد فان أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشام والذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك في الامر والشوري ونظيراك في الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكرهن ماركبوا ولا تردن ما قبلوا فاتما نريدها شوري بين المسلمين

﴿جواب سعد بن أبي وقاص لمعاوية﴾ قال وذكروا ان سعداً كتب اليه : أما بعد فان أهل الشوري ليس منهم أحق بها من صاحبه غير أن علياً كان من السابقة ولم يكن فينا مافيه فشاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه وكان أحقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التي صرفها عنه حيث شاء لعلمه وقدره . وقد علمنا انه أحق بها منا ولكن لم يكن بد من الكلام في ذلك والتشاجر فدع ذا . وأما أمرك يا معاوية فانه أمر كرهنا أوله وآخره . وأما طلحة والزبير فلو لزمنا بيعتهما لكان خيراً لهما والله تعالى يغفر لعائشة أم المؤمنين .

١٦٥

﴿ كتاب معاوية الى محمد بن مسلمة الانصاري ﴾ وكان
 فارس الانصار رضي الله عنهم وذا النجدة فيهم : أما بعد فاني
 لم أكتب اليك وأنا أرجو مبايعتك ولكني أذكرك النعمة
 التي خرجت منها انك كنت فارس الانصار وعدة المهاجرين
 فادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً لم تستطع
 فيه الامضاء ^(١) فهذا أغني وعن قتال أهل الصلاة فهلا نهيت
 أهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضاً أو ترى ان عثمان وأهل الدار
 ليسوا بمسلمين وأما قولك الانصار فقد عصوا الله تعالى وخذلوا
 عثمان وسائلهم وسائلك الله تعالى عن الذي كان يوم القيامة .
 ﴿ جوابه ﴾ قال وذكروا ان محمد بن مسلمة كتب اليه : أما بعد
 فقد اعتزل هذا الامر من ليس في يده من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مثل الذي في يدي وقد أخبرت
 بالذي هو كائن قبل أن يكون فلما كان كسرت سيفي
 ولزمت بيتي واهمت الرأي على الدين اذ لم يصح لي أمر
 بمعروف آمر به ولا منكر أنهي عنه ولعمري يا معاوية
 ما طلبت الا الدنيا ولا أتبت الا الهوى ولئن كنت نصرت

(١) هكذا في الاصل

عثمان ميتاً لقد خذته حياً ونحن ومن قبلنا من المهاجرين
والانصار أولي بالصواب : قال : فلما أجاب القوم معاوية بما
أجابوه من الخلاف الى مادعاهم اليه قال له عمر وكيف رأيت
يامعاوية رأيي ورأيك أخبرتك بالامر قبل ان يقع قال معاوية
رجوت ما خفت

﴿ كتاب معاوية الى علي رضي الله عنه ﴾ قال وذكروا
ان معاوية كتب الى علي : أما بعد فاعلمي لو بايعك القوم
الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم ولسكنك أغريت بعثمان المهاجرين
وخذلت عنه الانصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف
وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فاذا
دفعتهم كانت شوري بين المسلمين وقد كانت أهل الحجاز
أعلا الناس^(١) وفي أيديهم الحق فلما تركوه صار الحق في أيدي أهل
الشام ولعمري ما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة
ولا حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لان أهل البصرة
بايعوك ولم يبايعك أحد من أهل الشام وان طلحة والزبير

(١) وفي نسخة : الحكم على الناس

١٦٧

بإيماك ولم أبياعك وأما فضلك في الاسلام وقرابتك من النبي
عليه السلام فلمعري ما أدفعه ولا أنكره^(١)

(جواب عليّ الى معاوية) * قالوا فكتب اليه علي: أما
بعد فقد جاءني منك كتاب امرني ليس له بصري يهديه ولا قائد
يرشده ، دعاه الهوى فأجابه وقاده فاستقاده ، زعمت أنه إنما
أفسد عليك بيعتي خطيئي في عثمان ولعمري ما كنت الا
رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا
وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعصى وما
أمرت فيلزميني خطيئة عثمان ولا قتلت فيلزميني قصاص
القاتل . وأما قولك ان أهل الشام هم الحكماء على الناس فهات
رجلا من قريش الشام يقول في الشورى أو تحل له الخلافة
فان سميت كذبتك المهاجرون والانصار والا اتيتك من قريش
الحجاز . وأما قولك ندفع اليك قتلة عثمان فما أنت وعثمان إنما
أنت رجل من بني أمية وبنو عثمان أولى بعثمان منك فان

(١) ويروى انه كتب اليه في آخر الكتاب أبيات كعب بن جعيل منها:

أري الشام تكره ملك العراق * وأهل العراق لهم كارهينا
فقالوا على امام لنا * فقلنا رضينا ابن هندرضينا
وقالوا نرى ان تدينوا له * فقلنا ألا لانرى أن نديننا

زعمت انك أقوى على ذلك فادخل في الطاعة ثم حاكم القوم
الي وأما تمييزك بين الشام والبصرة وذكرك طلحة والزبير
فلمعري ما الامر الا واحد انها بيعة عامة لا ينثني عنها البصير
ولا يستأنف فيها الخيار وأما ولوعك في أمر عثمان فوالله
ما قلت ذلك عن حق العيان ولا عن تيقن الخبر وأما فضلي في
الاسلام وقرابتي من رسول الله عليه السلام وشرفي في قریش
فلمعري لو استطعت دفعه لدفعته

﴿ قدوم عبيد الله بن عمر على معاوية ﴾ قال وذكروا
ان عبيد الله بن عمر قدم على معاوية للشام فسر به سروراً شديداً
وسرّ به أهل الشام وكان أشد قریش سروراً به عمرو بن العاص
فقال معاوية لعمرو ما منع عبيد الله ان يكون كعبيد الله فضحك
عمرو وقال شبهت غير شبيهه انما أتاك عبيد الله مخافة أن يقتله
علي بقتله الهرمزان ورأى عبد الله أن لا يكون عليك ولالك
ولو كان معك لنفعلك أو عليك لنضرك

﴿ تعبئة معاوية أهل الشام لقتال علي ﴾ قال وذكروا
ان معاوية بعث الى رؤساء أهل الشام فجمعهم ثم قال : أتم
أهل الفضل فليقم كل رجل منكم يتكلم فقام رجل فقال : أما

١٦٩

والله لو شهدنا أمر عثمان فعرشنا قتله بأعيانهم ما استغنيننا عن
 إخبار الناس ولكننا نصدقك على ما غاب عنا وإن أبغض
 الناس اليان من يقاتل علي بن أبي طالب لقدمه في الاسلام
 وعلمه بالحرب ثم قام حوشب فقال: والله ما أياك ننصر ولا لك
 نغضب ولا عنك نحامي ما ننصر الا الله ولا نغضب الا
 للخليفة ولا نحامي الا عن الشام فلف الخيل بالخيول والرجال
 بالرجال وقد دعونا قومنا الا مادعوتنا اليه أمس وأمرناهم بما
 أمرتنا به فعملوك بيننا وبين الله ونحن بينك وبينهم فرنا بما
 تحب وانها عما تكره . قال فلما عزم معاوية على المسير الى
 صفين عبأ أهل الشام فجعل على مقدمته أبا الاعور السلمي
 وعلى ساقته بشير بن أرطاة وعلى الخيل عبد الله بن عمر ودفع
 اللواء الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعلى الميمنة يزيد
 العبسي وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ثم قال يا أهل
 الشام انكم قد سرتتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق ولعمري
 ما للشام رجال العراق وأموالها ولا لأهل العراق بصراً أهل
 الشام ولا بصائرهم مع ان القوم بعدهم غيرهم مثاهم وليس بعدهم
 غيركم فان غابتوهم فلم تغلبوا الا من قد أتاكم وإن غلبوكم عاقبوا

من بعدكم والقوم لا قوكم ببصائر أهل الحجاز ورقة أهل اليمن
وقسوة أهل مصر وكيد أهل العراق وإنما يبصر غداً من
أبصر اليوم فاستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين . ثم
سار معاوية في ثلاثة آلاف وثمانين ألفاً حتى نزل بصنمين وذلك
في نصف محرم وسبق إلى سهولة الأرض وسعة المناخ وقرب
الفرات وكتب إلى علي يخبره بمسيره

﴿ تبثه علي أهل العراق للقتال ﴾ قال وذكروا أن علياً لما
بلغه تأهب معاوية قال: أيها الناس إنما بايع معاوية أهل الشام
وليس له غيرهم ولي ولا نصير وأنكم أهل الحجاز وأهل العراق
وأهل اليمن وأهل مصر وقد جعل القوم معاوية بينهم وبين
الله وليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وقد وادع القوم
الروم فإن غلبتموهم استعانوا بهم ولحقوا بأرضهم وإن غلبوكم
فألغاية الموت والمفر إلى الله العزيز الحكيم . وقد زعم معاوية
أن أهل الشام أهل صبر ونصر ولعمري لأتم أولى بذلك
منهم لأنكم المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وإنما الصبر
اليوم والنصر غداً . قال فجذب الناس ونشطوا وتأهبوا فصار علي
بالناس من الكوفة في مائة ألف وتسعين ألفاً فجعل علي المقدمة

الاشتر النخعي وعلي ساقته شريح بن هاثي وعلي المهاجرين
والانصار محمد بن ابي بكر وعلي اهل البصرة عبدالله بن عباس
وعلي الكوفة عبدالله بن جعفر وعلي جماعة الخيل عمار بن
ياسر وعلي القلب الحسن بن علي . وسار علي حتى نزل صفين
وقد سبقه معاوية الي سهولة الارض وسعة المناخ وقرب الفرات
﴿ منع معاوية الماء من اصحاب علي ﴾ قال وذكروا
انه لما نزل معاوية بصفين بعث ابا الاعور بمن معه ليحولوا
بينهم وبين الفرات وان اهل العراق لما نزلوا بمشوا غلمانهم
ليستقوا لهم من الفرات فحالت خيل معاوية بينهم وبين الماء
فانصرفوا فساروا الي علي فأخبروه فقال علي للأشعث
اذهب الي معاوية فقل له ان الذي جئنا له غير الماء ولو سبقناك
اليه لم نحل بينك وبينه فإن شئت خليت عن الماء وان شئت
تناجزنا عليه وتركنا ما جئنا له . فانطلق الاشعث ^(١) الي
معاوية فقال له انك تمنعنا الماء وايم الله لنشربنه فمرهم
يكفوا عنه قبل ان تغلب عليه والله لا نموت عطشا وسيوفنا
على رقابنا فقال معاوية لاصحابه ما ترون فقال رجل

(١) ويروي ان الذي ارسله علي الي معاوية هو صعصعة بن صوحان

منهم^(١) نرى ان تقتلهم عطشا كما قتلوا عثمان ظلما. فقال عمرو ابن العاص : لا تظن يامعاوية ان عليا يظما وأعنة الخيل بيده وهو ينظر الي القرات حتى يشرب او يموت دونه خل عن القوم يشربوا. فقال معاوية هذا والله اول الظفر لاسقاني الله من حوض الرسول ان شربوا منه حتى يغلّبوني عليه. فقال عمرو وهذا اول الجور اما تعلم ان فيهم العبد والاجير والضعيف ومن لا ذنب له لقد شجعت الجبان وحملت من لا يريد قتالك على قتالك

﴿ غابة اصحاب عليّ على الماء ﴾ قال وذكروا ان معاوية لما غلب على الماء اغتم عليّ لما فيه الناس من العطش فخرج ليلا والناس يشكون بعضهم الى بعض مخافة أن يغلب اهل الشام على الماء فقال الاشعث يا أمير المؤمنين أئمننا القوم الماء وانت فينا ومعنا السيوف خل عنا وعن القوم فوالله لا أرجع اليك حتى اردّه او اموت دونه وامر الاشعث أن يعلو القرات في الخيل حتى آمره بامرزي فقال عليّ ذلك لك فانصرف الاشعث فنادى في الناس من كان يريد الماء فيماده الصبح فاني

(١) هو الوليد بن عقبة.

١٧٣

ناهض الى الماء فأجابه بشر كثير فتقدم الاشعث في الرجالة
والاشتر في الخيل حتى وقفا على الفرات فلم يزل الاشعث في
الرجالة يمضي حتى خالط القوم ثم حسر عن رأسه فنادي : انا
الاشعث بن قيس خلوا عن الماء . فقال ابو الاعور اما والله قبل
ان تأخذنا واياكم السيوف فلا . فقال الاشعث أظنها والله قد
دنت منا ومنكم قال وبعث الاشعث الى الاشتر ان اقم الخيل
فأقمها الاشتر حتى وضع سنا بكها في الفرات وحمل الاشتر
في الرجالة فأخذت القوم السيوف فانكشف أبو الاعور واصحابه
وبعث الاشتر الى عليّ هلم يا امير المؤمنين قد غلب الله لك
على الماء فلما غلب اهل العراق على الماء شمت عمرو بن العاص
بمعاوية وقال : يا معاوية ما ظنك ان منعك عليّ الماء اليوم كما منعه
امس اترك ضاربهم كما ضربوك ؟ فقال دع ما مضى عنك فان
عليّا لا يستحل منك ما استحلت منه وان الذي جاء له غير الماء
﴿ دعاء عليّ معاوية الى البراز ﴾ قال وذكروا ان الناس
مكثوا بصفين اربعين ليلة يغدون الى القتال ويروحون فاما القتال
الذي كان فيه القناء فتلاثة ايام . فلما رأى عليّ كثرة القتال
والقتل في الناس برز يوما من الايام ومعاوية فوق التل فنادي

بأعلا صوته يا معاوية فأجابه فقال ما تشاء يا أبا الحسن قال علي
 على م يقتل الناس ويذهبون على ملك إن نلتك كان لك دونهم
 وإن نلتك أنا كان لي دونهم ابرز الي ودع الناس فيكون الامر
 لمن غلب قال عمر بن العاص : أنصفك الرجل يا معاوية فضحك
 معاوية وقال طمعت فيها يا عمرو فقال عمرو : والله ما أراه يجمل
 بك الا أن تبارزه فقال معاوية ما أراك الا مازحاً نلقاه بجمعنا
 ﴿ براز عمرو بن العاص لـعلي ﴾ قال وذكروا ان عمراً
 قال لمعاوية أتجن عن علي وتهمني في نصيحتي اليك والله
 لا أبارزن عليا ولو مت الف مائة في أول لقاءه . فبارزه عمرو
 فطمعنه علي فصرعه فالتقه بعورته فانصرف عنه علي وولي بوجهه
 دونه . وكان علي رضي الله عنه لم ينظر قط الي عورة احد حياء
 وتكرماً وتنزهاً عما لا يحل ولا يجمل بمثله كرم الله وجهه
 ﴿ قطع الميرة من اهل الشام ﴾ قال وذكروا ان علياً
 دعا زحر بن قيس فقال له سرفي بعض هذه الخيل الي القطقطانة
 فاقطع الميرة عن معاوية ولا تقتل الا من يحل لك قتله وضع
 السيف موضعه . فباغ ذلك معاوية فدعا الضحاك بن قيس
 خامره ان يلتقي زحر بن قيس فيقاتله فسار الضحاك فلقيه زحر

١٧٥

فهزمه وقتل من أصحابه وقطع الميرة عن أهل الشام ورجع الضحاك إلى معاوية منهزماً فجمع معاوية الناس فقال: أتاني خبر من ناحية من نواحي أمر شديد فقالوا يا أمير المؤمنين لسنا في شيء مما أتاك إنما علينا السمع والطاعة وبلغ علياً قول معاوية وقول أهل الشام فأراد أن يعلم ما رأي أهل العراق فجمعهم فقالوا أيها الناس إنه أتاني خبر من ناحية من نواحي فقال ابن التكوء وأصحابه إن لنا في كل أمر رأي فما أتاك فأطلعنا عليه حتى نشير عليك فبكي على ثم قال: ظفر والله ابن هند باجتماع أهل الشام له واختلافكم عليّ والله لينابن باطله حقكم إنما أتاني أن زحر ابن قيس ظفر بالضحاك وقطع الميرة وأتى معاوية هزيمة صاحبه فقال يا أهل الشام إنه أتاني أمر شديد فقلدوه أمرهم واختلقتم عليّ. فقام قيس بن سعد فقال أما والله لنحن كننا أولى بالتسليم من أهل الشام

﴿قدوم أبي هريرة وأبي الدرداء على معاوية وعليّ﴾
قال وذكروا أن أبا هريرة وأبا الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفين فوعظاه وقالاهما يا معاوية عليّ م تقاتل عليّاً وهو أحق بهذا الأمر منك في الفضل والسابقة لأنه رجل

من المهاجرين الاواين السابقين باحسان وأنت طليق وأبوك
من الاحزاب أما والله ما تقول لك ان تكون العراق أحب
اليانا من الشام ولكن البقاء أحب اليانا من الفناء والصلاح
أحب اليانا من الفساد. فقال معاوية لست أزعم اني أولى بهذا
الامر من علي ولكني أقاتله حتى يدفع الى قتلة عثمان فقالا
اذا دفعهم اليك ماذا يكون؟ قال أكون رجلا من المسلمين
فأتيا عليا فان دفع اليكما قتلة عثمان جعلتها شوري فقدا علي
عسكر علي فأتاهما الاشتهر فقال يا هذان انه لم ينزلكما الشام
حب معاوية وقد زعمتانه يطلب قتلة عثمان فعمن أخذتما ذلك
فقبلتاه أعمن قتله فصدموهم على الذنب كما صدقتموهم على
القتل أم عن من نصره فلا شهادة لمن جري نفسه أم عن من
اعتزل اذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم في قتله أو عن
معاوية وقد زعم ان عليا قتله . أتقيا الله فانا شهدنا وغبتا ونحن
الحكام على من غاب فانصرفا ذلك اليوم فلما أصبحا أتيا عليا
فقالا له ان لك فضلا لا يدفع وقد سرت مسير فتى الى سفيه
من السفهاء ومعاوية يسألك ان تدفع اليه قتلة عثمان فان فعلت
ثم قاتلك كنا معك قال علي أتعرفانهم قالوا نعم قال نخذاهم

فأتيا محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والاشتر: فقالا: أتم
من قتلة عثمان وقد أمرنا بأخذكم فخرج اليهما أكثر من
عشرة آلاف رجل فقالوا نحن قتلنا عثمان فقالا نرى أمراً
شديداً أبس علينا الرجل . وان أبا هريرة وأبا الدرداء انصرفا
الى منزلهما بحمص فلما قدما حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان
فسألهما عن مسيرهما فقصا عليه القصة فقال: العجب منكما
انكما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لئن
كففتما أيديكما ما كففتما ألسنتكما أتاتيان عاياً وتطلبان اليه
قتلة عثمان وقد علمتما ان المهاجرين والانصار لو حرموا دم
عثمان نصره وبأيعوا علياً على قتله فهل فعلوا وأعجب من ذلك
رغبتكما عن ما صنعوا وقولكما لى اجعلها شورى واخلمها من
عنقك وانكما لتعلمان ان من رضي بعلى خير ممن كرهه وان من
بايعه خير ممن لم يبايعه ثم صرتما رسول رجل من الطلقاء لا تحل له
الخلافة . فقشا قوله وقولهما فهم معاوية بقتله ثم راقب فيه عشيرته
﴿ وقوع عمرو بن العاص في علي ﴾ قال وذكروا ان رجلا
من همدان يقال له برد قدم على معاوية فسمع عمر أيقع في علي
فقال له يا عمرو ان أشياخنا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه . فحق ذلك أم باطن فقال
عمر وحق وأنا أزيدك انه ليس أحد من صحابة رسول الله
له مناقب . مثل مناقب عليّ ففزع الفتى فقال عمرو انه أفسدها
بأمره في عثمان فقال برد هل أمر أو قتل قال لا ولكنه
آوي ومنع قال فهل بايعه الناس عليها قال نعم قال فما أخرجك
من بيعته قال اتهمي اياه في عثمان قال له وأنت أيضاً قد
اتهمت قال صدقت فيها خرجت الى فلسطين فرجع الفتى
الى قومه فقال إنا آتيننا قوماً أخذنا الحجة عليهم من أفواههم .
عليّ على الحق فاتبعوه

﴿ كتاب معاوية الى ابي أيوب الانصاري ﴾ قال
وذكروا ان معاوية كتب الى أبي أيوب الانصاري وكان
أشد الانصار على معاوية: أما بعد فاني ناسيتك مالا تنسى
الشيء . فلما قرأ كتابه أتى به علياً فأقرأه اياه قال علي يعني
بالشيء المرأة الشطاة لا تنسى شكل ابنها فأنا لا أنسى قتل عثمان .
فكتب اليه أبو أيوب : انه لا تنسى الشيء شكل ولدها
وضربتها مثلاً لقتل عثمان فما نحن وقتلة عثمان ان الذي تربص
بعثمان وثبط أهل الشام عن نصرته لانت وان الذين قتلوه

غير الانصار والسلام

﴿ ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد ﴾ قال
 وذكر وان النعمان بن بشير الانصاري وقف بين الصفين :
 فقال : يا قيس بن سعد أما أنصفكم من دعاكم الى ماضي
 لنفسه انكم يا معشر الانصار اخطأتم في خذل عثمان يوم
 الدار و قتلتم انصاره يوم الجمل وإقامكم على أهل الشام بصفين
 فلو كنتم اذ خذلتهم عثمان خذلتهم علياً كان هذا بهذا ولكنكم
 خذلتهم حقاً ونصرتهم باطلاً ثم لم ترضوا ان تكونوا كالناس
 حتى أشعلتم الحرب ودعوتهم الى البراز فقد والله وجدتم رجال
 الحرب من أهل الشام سراعاً الى برازكم غير أنكاس عن
 حربكم ثم لم ينزل بعلي أمر قط الا هونتكم عليه المصيبة
 ووعدتموه الظفر وقد والله أخلفتموه وهانت علينا بأسكم
 وما كنتم لتخلوا به أنفسكم من شدتكم في الحرب وقد رتكم
 على عدوكم وقد أصبحتم أذلاء على أهل الشام لا يرون
 حربكم شيئاً وأنتم أكثر منهم عدداً ومدداً وقد والله كاثروكم
 بالقلة فكيف لو كانوا مثلكم في الكثرة والله لا تزالون أذلاء
 في الحرب بعدها أبداً الا أن يكون معكم أهل الشام وقد

أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم ونحن أحسن بقية
وأقرب الى الظفر فأتقوا الله في البقية . فضحك قيس وقال
والله ما كنت أراك يانعمان تجترئ على هذا المقام أما المنصف
الحق فلا ينصح أخاه من غش نفسه وأنت والله الغاش لنفسه
المبطل فيما انتصح غيره ، أما ذكرك عثمان فان كان الانجاز
يكفيك نخذه ، قتل عثمان من لست خيراً منه وخذ له من هو
خير منك وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث وأما معاوية
فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الانصار وأما قولك
انا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى
جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . ولكن انظر يانعمان هل
ترى مع معاوية الاطليقا اعرابياً أو يمانياً مستدرجا وانظر أين
المهاجرون والانصار والتابعون باحسان الذين رضى الله عنهم
ورضوا عنه ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك
ولستما والله بدريين ولا عقبيين ولا لكما سابقة في الاسلام
ولا آية في القرآن

﴿ كتاب عمرو الى ابن عباس ﴾ قال وذكروا ان

١٨١

معاوية قال لعمر بن العاص ان رأس أهل العراق مع علي
 عبد الله بن عباس فلو ألقيت اليه كتابا ترقق فيه فان قال شيئا
 لم يخرج منه علي وقد أكلتنا هذه الحرب ولا أرانا نطيق
 العراق الا بهلاك الشام . فقال له عمرو ان ابن عباس لا يخدع
 ولو طمعت فيه طمعت في علي قال معاوية علي ذلك . فكتب
 عمرو ابن عباس : أما بعد فان الذي نحن وأنت فيه ليس
 أول أمر قاده البلاء وساقته العافية وانك رأس هذا الجمع
 بعد علي فانظر فيما بقي بغير ما مضى فوالله ما أبقت هذه
 الحرب لنا ولا لكم حياة ولا صبراً واعلم ان الشام لا تهلك
 الا بهلاك العراق وان العراق لا تهلك الا بهلاك الشام فما
 خيرنا بعد أعدادنا منكم وما خيركم بعد أعدادكم منا ولسنا
 نقول ليت الحرب عادت ولكننا نقول ليتها لم تكن وإن فينا
 لمن يكره البقاء كما فيكم وانما هي ثلاثة أمير مطاع أو مأمور
 مطيع أو مشاور مأمون . فاما العاصي السفية فليس بأهل ان
 يدعي في ثقات أهل الشورى ولا خواص أهل النجوى

﴿ جواب عبد الله بن عباس الى عمرو بن العاص ﴾

قال وذكروا انه لما انتهى كتاب عمرو الى ابن عباس أتى

به الى علي فأقرأه اياه فقال علي قاتل الله ابن العاص أجبته . فكتب اليه : أما بعد فاني لا أعلم رجلاً أقل حياء منك في العرب انك مال بك الهوى الى معاوية وبعته دينك بالثمن الاوكس ثم خبطت الناس في عشواء طمعاً في هذا الملك فلما ترامينا أعظمت الحرب والرماء اعظام أهل الدين وأظهرت فيها كراهية أهل الورع لا تريد بذلك الا تمهيد الحرب وكسر أهل الدين فان كنت تريد الله فدمع مصر وارجع الى بيتك فان هذه حرب ليس فيها معاوية كعلي بدأها علي بالحق وانتهى فيها الى العذر وبدأها معاوية بالبني وانتهى فيها الى السرف وایس أهل الشام فيها كأهل العراق ، بايع أهل العراق عليا وهو خير منهم وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ولست أنا وأنت فيها سواء أردت الله وأنت أردت مصر ، وقد عرفت الشيء الذي باعدك مني ولا اعرف الشيء الذي قربك من معاوية فان ترد شراً لا تفتننا به وان ترد خيراً لا تسبقنا اليه .

﴿ أمر معاوية مروان بحرب الاشر ﴾ قال وذكروا ان معاوية دعا مروان بن الحكم فقال يا مروان ان الاشر قد غمني فاخرج بهذه الخيل فقاتله بها غداً . فقال مروان ادع لها

١٨٣

عمرآ فانه شعارك دون دثارك . قال معاوية وأنت نفسى دون وزيرى . قال مروان لو كنت كذلك ألحقتى به في العطاء وألحقتى بي في الحرمان ولكنك أعطيت ما في يدك ومنيتى ما في يدي غيرك فان غلبت طاب المقام وان غلبت خف عليك المهرب . قال معاوية يغني الله عنك قال أما اليوم فلا . فدعا معاوية عمرآ فأمره بأمره فقال : أما والله اثنى فعلت لقد قدمتنى كافياً وأدخلتنى ناصحاً وقد غمك القوم في مصر فان كان لا يرضيهم الا أخذها نخذها عليها لعنة الله أما والله يا أمير المؤمنين ان مروان يباعدك منا ويباعدنا منك ويأبى الله الا ان يقربنا اليك

﴿ كتاب معاوية الى ابن عباس ﴾ قال وذكروا ان معاوية كتب الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أما بعد فانكم معشر بني هاشم لستم الى أحد أسرع منكم بالمساءة الى انصار عثمان فان يك ذلك لسلطان بني أمية فقد ورثها عدي وتيم وقد وقع من الامر ما قد ترى وأدالت هذه الحرب بعضنا من بعض حتى استويناه فيها فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم وما أيا سكم منا أيا سنا منكم وقد رجونا غير الذي كان

وخشنا دون ماوقع ولستم ملاقينا اليوم بأحد من
 جدكم أمس وقد منمنا بما كان منا الشام وقد منعم بما كان
 منكم العراق فاتقوا الله في قریش فما بقى من رجالها الستة:
 رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز: فأما اللذان
 بالحجاز فسمد وعبد الله بن عمر، وأما اللذان بالشام فأنو عمرو
 وأما اللذان بالعراق فعلي وأنت. ومن الستة رجلان ناصبان
 لك وآخران واقفان عليك وأنت رأس هذا الجمع اليوم وغدا
 ولو بايع الناس لك بمد عثمان كنا أسرع اليك منا الى عليّ
 ﴿جوابه﴾ قال وذكروا انه لما أتى كتاب معاوية الى ابن
 عباس ضحك ثم قال حتى متى يخطب الى معاوية عقلي وحتى
 متى أجهجم له عما في نفسي فكتب اليه: أما بعد فقد جاءني
 كتابك فأما ما ذكرت من سرعتنا بالمساءة الى انصار عثمان
 لسلطان بني أمية فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك
 لقد استنصرك فلم تنصره حتى صرت الى ما صرت اليه وبينني
 وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة، وأما
 قولك انه لم يبق من رجال قریش غير ستة فما أكثر رجالها
 واحسن بقيتها وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا الا

١٨٥

من خذلك ، وأما اغراؤك ايانا بعدي وتيم فأبو بكر وعمر كانا
 خيراً منك ومن عثمان كما ان علياً خير منك ، وأما قولك انا
 لن نلقاك الا بما لقيناك به فقد بقى لك منا يوم ينسبك ما قبله
 وتخاف له ما بعده ، وأما قولك انه لو بايعني الناس استقمت
 فقد بايعوا علياً وهو خير مني فلم تستقم له وان الخلافة لا تصلح
 الا لمن كان في الشوري فما أنت والخلافة وأنت طليق الاسلام
 وابن رأس الاحزاب وابن أكلة الاكباد من قتلي بدر

﴿ خطبة على كرم الله وجهه ﴾ قال وذكروا ان علياً
 قام خطيباً فقال : أيها الناس الا ان هذا القدر ينزل من السماء
 كقطر المطر على كل نفس بما كسبت من زيادة أو نقصان
 في أهل أو مال فمن أصابه نقصان في أهل أو مال فلا
 يفسد نفسه ، الا وانما المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث
 الآخرة وقد يجمعهما الله لا قوام وقد دخل في هذا العسكر
 طمع من معاوية فضعوا عنكم هم الدنيا بفراقها وشدة ما اشتد
 منها برجاء ما بعده فان نازعتكم أنفسكم الى غير ذلك
 خردوها الى الصبر ووطنوها على العزاء فوالله ان أرجي ما أرجوه
 الرزق من الله من حيث لا نحتسب وقد فارقكم مصقلة بن

هيرة فآثر الدنيا على الآخرة وفارقكم بشر بن أرطاة فأصبح
ثقيل الظهر من الدماء مفتضح البطن من المال وفارقكم زيد
ابن عدي بن حاتم فأصبح يسأل الرجعة . وأيم الله لودت رجال
مع معاوية أنهم معي فباعوا الدنيا بالآخرة ولودت رجال معي
أنهم مع معاوية فباعوا الآخرة بالدنيا

﴿ قدوم ابن أبي مخجن على معاوية ﴾ قال وذكروا ان
عبد الله بن أبي مخجن الثقفي قدم على معاوية فقال يا أمير
المؤمنين اني أتيتك من عند النبي الجبان البخيل ابن أبي طالب
فقال . معاوية: لله أنت أتدري ما قلت، أما قولك النبي فوالله لو
ان ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفهاها لسان علي
وأما قولك انه جبان فكذلك أمك هل رأيت أحداً قط
بارزه الا قتله، وأما قولك انه بخيل فوالله لو كان له بيتان
احدهما من تبر والآخر من تبن لانفدتبره قبل تبنه . فقال الثقفي
فعلي م تقاتله اذا؟ قال على دم عثمان وعلى هذا الخاتم الذي من
جعله في يده جازت طينته وأطعم عياله وأدخر لاهله . فضحك
الثقفي ثم لحق بعلي فقال يا أمير المؤمنين هب لي يدي بجرمي
لادنيا أصبت ولا آخرة . فضحك على ثم قال : أنت منها

على رأس أمرك وانما يأخذ الله العباد بأحد الامرين
﴿ رفع أهل الشام المصاحف ﴾ قال وذكروا ان أهل
المسكرين باتوا بشدة من الالم ونادى على أصحابه فاصبحوا
على رياتهم ومصافهم فلما رأهم معاوية وقد برزوا للقتال قال
لعمر بن العاص يا عمرو ألم تزعم انك ما وقعت في أمر قط الا
وخرجت منه قال بلى قال أفلا تخرج مما ترى . قال والله
لا دعونهم ان شئت الى أمرأ فرق به جمعهم ويزداد جمعك اليك
اجتماعاً ان أعطوكه اختلفوا وان منعوكم اختلفوا . قال معاوية وما
ذلك قال عمرو تأمر بالمصاحف فترفع ثم تدعوهم الى ما فيها فوالله
لئن قبله لتفرقن عنه جماعته ولئن رده ليكفرن به أصحابه . فدعا معاوية
بالمصحف ثم دعا رجلاً من أصحابه يقال له ابن هند فنشره بين
الصفين ثم نادى الله الله في دماثنا ودماثكم البقية بيننا وبينكم
كتاب الله . فلما سمع الناس ذلك ناروا الى على فقالوا قد أعطاك
معاوية الحق ودعاك الى كتاب الله فاقبل منه . ورفع صاحب
معاوية المصحف وهو يقول بيننا وبينكم هذا المصحف ثم تلى :
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ » ثم نادى من

فارس من الروم فقال الاشعث والله لانا تي هذه أبداً ونرضى
معك أو نقاتل معك وتابعه أشراف أهل اليمن وركنوا الى
الصلح وكرهوا القتال^(١)

﴿ ماتكم به عبد الله بن عمرو وأهل العراق ﴾ قال
وذكروا ان معاوية دعا عبد الله بن عمرو بن العاص فأمره
ان يكلم أهل العراق فاقبل عبد الله بن عمرو حتى اذا كان بين
الصفين نادي : يا أهل العراق أنا عبد الله بن عمرو بن العاص
انه قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا فان تلك للدين
فقد والله أسرفنا وأسرفتم وان تلك للدنيا فقد والله أعذرنا
وأعذرتم وقد دعوناكم لامر لو دعوتنا اليه أجبناكم فان
يجمعنا واياكم الرضا فذلك من الله والا فاعتصموا هذه الفرجة
ثعل الله ان ينمش بها الحي وينسى بها القتل فان بقاء المقلد
يعد الهالك قليل . فقال على لسعيد بن قيس أجب الرجل
وقد كان عبد الله بن عمرو قاتل يوم صفين بسيفين وكان من

(١) وروي ان عيا قال لهم : امضوا على حكمكم وصدقكم

وقتل عدوكم فان معاوية ومن معه ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن انا
أعرف بهم منكم . ويحكم والله ما رفعوها الا خديعة ووهنا

١٨٩

حجته أن قال أمرني رسول الله أن اطيع ابي . فتقدم سعيد
ابن قيس حتى اذا كان بين الصفين نادي : يا اهل الشام انه كانت
بيننا وبينكم امور حامينا فيها على الدين والدنيا وقد دعوتونا الى
ما قاتلناكم عليه امس ولم يكن له ليرجع اهل العراق الى
عراقهم ولا اهل الشام الى شامهم باصر احمل منه فان يحكم
فيه بما ازل الله فالامر في ايدينا والا فنحن نحن وانتم انتم .
وان الناس ثاروا الى علي عند كلام عبد الله بن عمرو فقالوا
اجب القوم الي ما دعوك اليه فانا دعونا عثمان الي ما دعاك
القوم اليه فابي فقاتلناه . فبعث علي الاشعث الى اهل الرايات
يا امرهم ان ينقضوها ويرجعوا الي رحلم حتى يبرموا رأيهم
﴿ ما خاطب به عتبة بن ابي سفيان الاشعث بن قيس ﴾
قال وذكروا ان معاوية دعا عتبة فقال له : ألن الى الاشعث
كلما فانه ان رضي بالصلح رضيت به العامة فخرج عتبة حتى
اذا وقف بين الصفين نادي الاشعث فأتاه فقال عتبة ايها
الرجل ان معاوية لو كان لاقيا احدا غيرك وغير علي لقيك
انك رأس اهل العراق وسيد أهل اليمن ومن قد سلف اليه
من عثمان ما قد سلف من الصهر والعمل ولست كاصحابك .

١٩٠

أما الاشترا فقتل عثمان، وأما عدي نخصص، وأما سعيد بن قيس
 فقتل علياً دينه، وأما شريح بن هاني وزحر بن قيس فلا يعرفان
 غير الهوي، وأما أنت فخاميت عن أهل العراق تكرماً وحاربت
 أهل الشام حميةً وقد والله بلغنا منك ما أردنا وبلغت منا ما
 أردت وأنا لا ندعوك إلى ما لا يكون منك من تركك علياً
 ولا نصرة معاوية ولكننا ندعوك إلى البقية التي فيها صلاحك
 وصلاحنا

﴿ فتكلم الأشعث ﴾ فقال: يا عتبة أما قولك إن معاوية
 لا يلقي إلا علياً فلو لقيني ما زاد ولا عظم في عيني ولا صغرت
 عنه وإن أحب أن أجمع بينه وبين علي لا فعلن، وأما قولك إنني
 رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن فالرأس الأمير والسيد
 المطاع وهاتان لعلي، وأما ما سلف إلي من عثمان فوالله ما زادني
 صهره شرفاً ولا عمله غني، وأما عيبك أصحابي فإن هذا الأمر
 لا يقربك مني وأما محاماتي عن العراق فمن نزل بيننا حينئذ
 وأما البقية فلسنا بأحوج منها إليكم

﴿ كتاب معاوية إلى علي رضي الله عنهما ﴾ قال
 وذكروا إن علياً أظهر أنه مصبح معاوية للقتال فلم ذلك

١٩١

معاوية قزع اهل الشام فانكسروا لذلك فقال معاوية لعمر
اني قد رأيت رأيا أن أعيد الي علي كتاباً أسأله فيه الشام.
فضحك عمرو ثم قال اين انت يا معاوية من جرعة علي. فقال
معاوية ألسنا بني عبد مناف فقال بلى ولكن لهم النبوة
دونكم فان شئت ان تكتب فاكتب. فكتب معاوية الي علي:
اما بعد فاني اظنك ان لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما
بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض وان كنا قد غابنا على عقولنا
فلنا منها ما ندم به ما مضى ونصلح ما بقى وقد كنت سألتك
ان لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فابيت ذلك علي فأعطاني
الله مامنعت واني أدعوك الى مادعوتك اليه أمس فانك
لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من الفناء الا ما
أخاف. وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو
عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستدل
به عزيز ولا يسترق به حر ﴿ جوابه ﴾ فلما انتهى كتابه الي علي
دعا كاتبه عبيد الله بن رافع فقال اكتب: أما بعد فقد جاءني
كتابك تذكر انك لو علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ ما بلغت
لم يجنّها بعضنا على بعض وأنا واياك في غاية لم نبلغها بعد، وأما

طلبك الي الشام فاني لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك
 أمس ، وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فانك لست امضي
 على الشك مني على اليقين وليس أهل الشام بأحرص من
 أهل العراق على الآخرة وأما قولك انا بني عبد مناف
 فكذلك ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب
 ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا المحق
 كالمبطل وفي أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها
 الحر والسلام . فلما أتى معاوية الكتاب أقرأه عمرآ فشمت به
 عمرو ولم يكن أحد أشد تعظيما لعل من عمرو بن العاص بعد
 يوم مبارزته فقال معاوية لعمرو قد علمت ان اعظامك لعل
 لما فضحك قال عمرو لم يفتضح امرؤ بارز عليا وانما افتضح
 من دعاه الى البراز فلم يجبه .

﴿اختلاف أهل العراق في المواعدة﴾ قال وذكروا انه
 لما عظم الامر واستحر القتال قال له رأس من أهل العراق
 ان هذه الحرب قد اكلتنا وأذهبت الرجال والرأي المواعدة .
 وقال بعضهم لا بل نقاتلهم اليوم على ما قاتلناهم عليه أمس وكانت
 الجماعة قد رضيت المواعدة وجنحت الى الصلح والمسالمة . فقام

١٩٣

علي خطيباً فقال : أيها الناس انه لم أزل من أمري على ما أحبته حتى قد حثكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وهي لعدوكم أنهلك . وقد كنت بالأمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً فأصبحت اليوم منها فليس لي ان أحللكم على ما تكرهون

❖ ماردة كردوس بن هانيء على علي ❖ قال وذكروا ان كردوس بن هانيء قام فقال : أيها الناس انه والله ما بولينا معاوية منذ تبرأنا منه ولا تبرأنا من علي منذ توليناه وان قتلنا لشهيد وان حينئذ الفائر وان علياً على بينة من ربه وما أجاب القوم الا انصافاً وكل محق منصف فمن سلم له نجا ومن خالفه هوى ❖ ماقاله سفيان بن ثور ❖ قال وذكروا ان سفيان بن ثور قال : أيها الناس انا دعونا أهل الشام الى كتاب الله فردوه علينا فقاتلناهم وانهم دعونا الى كتاب الله فان رددناه عليهم حل لهم منا ما حل لنا منهم ولسنا نخاف ان يحيف الله علينا ورسوله وان علياً ليس بالراجع الناكص وهو اليوم على ما كان عليه أمس وقدأكلتنا هذه الحرب ولا نرى البقاء الا في المواعدة ❖ ماقال حرث بن جابر ❖ ثم قام حرث بن جابر فقال : أيها

(١٣)

الناس ان عليا لو كان خلوا من هذا الامر لكان المرجع اليه فكيف وهو قائده وسابقه وانه والله ما قبل من القوم اليوم الا الامر الذي دعاهم اليه أمس ولو رده عليهم كنتم له أعيب ولا يلحد في هذا الامر الا راجع على عقبيه أو مستدرج مغرور وما بيننا وبين من طعن علينا الا السيف

﴿ ما قال خالد بن معمر ﴾ ثم قام خالد بن معمر فقال يا أمير المؤمنين انا والله ما أخرنا هذا المقام ان يكون أحد أولى به منا ولكن قلنا أحب الامور الينا ما كفيينا مؤنته فأما اذا استغنيينا فانا لا نرى البقاء الا فيما دعاك القوم اليه اليوم ان رأيت ذلك وان لم تره فرأيك أفضل

﴿ ما قال الحصين بن المنذر ﴾ ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحدث القوم سناً فقال : أيها الناس انما بنى هذا الدين على التسليم فلا تدفعوه بالقياس ولا تهدموا بالشبهة وإنا والله لو انا لانقبل من الامور الا ما نعرف لاصبح الحق في الدنيا قليلا ولو تركنا وما نهوى لاصبح الباطل في أيدينا كثيراً وان لنا راعيا قد حمدنا وورده وصدره وهو المأمون على ما قال وفعل فان قال لا قلنا لا . وان قال نعم قلنا نعم

١٩٥

﴿ما قال عثمان بن حنيف﴾ ثم قام عثمان بن حنيف وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عاملاً لمليّ على البصرة وكان له فضل فقال: أيها الناس اتهموا رأيكم فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يوم أبي جندل وأنا لتريد القتال انكاراً للصالح حتى ردنا عنه رسول الله وأهل الشام دعوا إلى كتاب الله اضطراراً فأجبناهم إليه اعذاراً فلسنا والقوم سواء إنا والله ما عدلنا الحي بالحي ولا القتل بالقتل ولا الشامي بالعراقي ولا معاوية بعلي وأنه لأمر منه غير نافع واعطاؤه غير ضائر وقد كلت البصائر التي كنا نقاتل بها وقد حمل الشك اليقين الذي كنا نوئل إليه وذهب الحياء الذي كنا نماري به فاستظلوا في هذا النى واسكنوا في هذه العافية فان قلم نقاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس هيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد . فاعجب علياً قوله وافتخرت به الانصار ولم يقل أحد بأحسن من مقالته

﴿ما قال عدي بن حاتم﴾ ثم قام عدي بن حاتم فقال: أيها الناس انه والله لو غير علي دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ولا وقع بأمر قط الا ومعه من الله برهان وفي يديه من الله سبب

وانه وقف عن عثمان بشبهة وقتل أهل الجمل على النكث
وأهل الشام على البغي فانظروا في أموركم وأمره فان كان له
عليكم فضل فليس لكم مثله فسلموا له والا فتنازعوا عليه، والله
لئن كان الى العلم بالكتاب والسنة انه لا علم الناس بهما، ولئن
كان الى الاسلام انه لاخو نبي الله والرأس في الاسلام، ولئن
كان الى الزهد والعبادة لانه أظهر الناس زهداً وأنه كهم عبادة
ولئن كان الى العقول والنجا ان لا شدة الناس عقلاً واكرمهم
نجرة، ولئن كان الى الشرف والنجدة انه لا عظم الناس شرفاً
ونجدة، ولئن كان الى الرضى لقد رضى به المهاجرون والانصار
في شوري عمر رضى الله عنهم وبايعوه بعد عثمان ونصروه
على أصحاب الجمل وأهل الشام فما الفضل الذي قربكم الى الهدى
وما النقص الذي قربه الى الضلال، والله لو اجتمعتم جميعاً على
أمر واحد لا تاح الله له من يقاتل لأمر ماض وكتاب سابق.
فاعترف أهل صفين لعدي بن حاتم بعد هذا المقام ورجع
كل من تشعب على علي رضي الله عنه

﴿ما قال عبد الله بن حجل﴾ ثم قام عبد الله بن حجل
فقال: يا أمير المؤمنين انك أمرتنا يوم الجمل بأمر مختلف كان

١٩٧

عندنا أمراً واحداً قبلناها بالتسليم وهذه مثل تلك الأمور ونحن أولئك أصحابك وقد أكثر الناس في هذه القضية وأيم الله ما لكثير المنكر بأعلم بها من المقل المعترف وقد أخذت الحرب بأنفاسنا فلم يبق إلا رجاء ضعيف فإن تجب القوم إلى ما دعوك إليه فأنت أولنا إيماناً وآخرنا بنبي الله عهداً وهذه سيوفنا على أعناقنا وقلوبنا بين جوانحننا وقد أعطيناك بقيتنا وشرحت بالطاعة صدورنا ونفدت في جهاد عدوك بصيرتنا فأنت الوالي المطاع ونحن الرعية الاتباع، أنت أعلمنا بربنا وأقربنا بنينا وخيرنا في ديننا وأعظمنا حقاً فينا، فسدد رأيك نتبعك واستخر الله تعالى في أمرك واعزم عليه برأيك فأنت الوالي المطاع . قال فسر علي كرم الله وجهه بقوله واثني خيراً

﴿ثم قام صمصمة بن صوحان﴾ فقال : يا أمير المؤمنين اناسبقنا الناس إليك يوم قدوم طلحة والزبير عليك فدعانا حكيم إلى نصره عاملك عثمان بن حنيف فأجبناه فقاتل عدوك حتى أصيب في قوم من بني عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكفهم مثل أكف الإبل وجباهم مثل ركب المعز فأسر الحيّ وسلب القتيل فكنا أول قتيل وأسير ثم رأيت بلاءنا

بصفين وقد كلت البصائر وذهب الصبر وبقي الحق موفوراً
 وأنت بالغ بهذا حاجتك والامر اليك ماأراك الله فرنا به
 ﴿ ماقال المنذر بن الجارود ﴾ ثم قام المنذر بن الجارود
 فقال: ياأمير المؤمنين اني أرى أمراً لا يدين له الشام الا بهلاك
 العراق ولا يدين له العراق الا بهلاك الشام ولقد كنا نرى
 ان ما زادنا نقصهم وما نقصنا أضرم فاذا في ذلك أمران فان
 رأيت غيرك قفينا والله مايفلّ به الحد ويرد به الكلب وليس
 لنا معك اراد ولا صدر

﴿ ماقال الاحنف بن قيس ﴾ ثم قام الاحنف بن قيس
 فقال : ياأمير المؤمنين ان الناس بين ماض وواقف وقائل
 وساكت وكل في موضعه لحسن وانه لو يكل الآخر عن
 الاول لم يقل شيئاً الا ان يقول اليوم ماقد قيل أمس ولكنه
 حق يقضي ولم نقاتل القوم لنا ولا لك انما قاتلناهم لله فان
 حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله فانك أولى بالحق واحقنا
 بالتوفيق ولا أرى الا القتال

﴿ ماقال ابن عمير بن عطارذ ﴾ ثم قام عمير بن عطارذ
 فقال: ياأمير المؤمنين ان طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس

١٩٩

الى معاوية وكانت البصرة اقرب اليها من الشام وكان
 القوم الذين وثبوا عليك من اصحاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خيراً ممن الذين وثبوا عليك من اصحاب معاوية
 اليوم فوالله ما منعتنا ذلك من قتل المحارب وعيب الواقف
 فقاتل القوم انا معك

﴿ ما قال علي رضي الله عنه بعده ﴾ ثم قام علي خطيباً
 فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس انه قد بلغ بكم وبعيدكم
 ما قد رأيتم ولم يبق منهم الا آخر نفس وان الامور اذا
 اقبلت اعتبر آخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين
 حتى بلغوا منكم ما بلغوا وانا غاد عليهم بنفسي بالغداة فأحياكمهم
 بسيفي هذا الى الله

﴿ نداء أهل الشام واستغاثتهم علياً رضي الله عنه ﴾ قال فلما
 بلغ معاوية قول علي دعا عمرو بن العاص فقال له يا عمرو انما
 هي الليلة حتى يغدو علينا علي بنفسه فما ترى قال عمرو ان
 رجالك لا يقومون لرجاله ولا أنت ولا أنا لا نقوم له. أنت
 تقاتله علي أمر ويقا تلک علی غیره وأنت تريد البقاء وعلي يريد
 الفناء وليس يخاف أهل الشام من علي ما يخاف منك أهل العراق

وان هلكتم . ولكن ادعهم الى كتاب الله فانك تقضي منه حاجتك قبل ان ينشب مخلبه فيك . فأمر معاوية أهل الشام أن ينادوهم فنادوا في سواد الليل نداء معه صراخ واستغاثة يقولون يا أبا الحسن من لذرارينا من الروم ان قتلنا الله البقيا كتاب الله بيننا وبينكم . فاصبحوا وقد رفعوا المصاحف على الرماح وقلدوها أعناق الخيل والناس على راياتهم قد أصبحوا للقتال

﴿ ما أشار به عدي بن حاتم ﴾ فقام عدي بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين ان أهل الباطل لا تموق لأهل الحق وقد جزع القوم حين تأهبت للقتال بنفسك وليس بعد الجزع الا ما تحب ناجز القوم . ﴿ ما قال الا شتر وأشار به ﴾ ثم قام الا شتر فقال: يا أمير المؤمنين ما أجبنك لدنيا ان معاوية لا خلف له من رجاله ولكن بحمد الله الخلف لك ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرتك فافرج الحديد بالحديد واستمعن بالله

﴿ ما قال عمرو بن الحمق ﴾ ثم قام عمرو بن الحمق فقال يا أمير المؤمنين ما أجبنك لدنيا ولا نصرناك على باطل ما أجبنك الا

٢٠١

لله تعالى ولا نصرتك الا للحق ولو دعانا غيرك الى مادعوتنا
اليه لكثير فيه اللجاج وطالت له النجوى وقد بلغ الحق مقطعه
وليس لنا معك رأى

﴿ما قال الاشعث بن قيس﴾ ثم قام الاشعث بن قيس
فقال: يا أمير المؤمنين انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ولست
أدري كيف يكون غداً وما القوم الذين كلوك بأحمد لاهل
العراق مني ولا بأهل الشام مني فأجب القوم الى
كتاب الله فانك أحق به منهم وقد أحب الله البقيا

﴿ما قال عبد الرحمن بن حارث﴾ ثم قام عبد الرحمن
ابن حارث فقال يا أمير المؤمنين امض لأمر الله ولا يستخفك
الذين لا يوقنون . أحكم بعد حكم وأمر بعد أمر مضت
دماؤنا ودماءؤم ومضي حكم الله علينا وعليهم

﴿ما رآه علي كرم الله وجهه﴾ قال فقال علي الى قول
الاشعث بن قيس وأهل اليمن فأمر رجلاً ينادي انا قد أجبنا
معاوية الى مادعانا اليه ، فأرسل معاوية الى علي ان كتاب الله
لا ينطق ولا تكن تبع رجلاً منا ورجلاً منكم فيحكمان بما
فيه . فقال علي قد قبلت ذلك

يا أمير المؤمنين خيل نخيل ورجال كرجال ولنا الفضل الى
 ساعتنا هذه فعد مكانك الذي كنت فيه فان الناس انما يطلبونك
 حيث تركوك . وان علياً دعا بفرسه التي كانت لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثم دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الشبهاء ثم تعصب بممامة رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء
 ثم نادى: من بيع نفسه اليوم يربح غداً يوم له ما يمدده وان
 عدوكم قد قدح كما قد حتم . فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى
 اثني عشر ألفاً واضمي سيوفهم على عواتقهم وتقدموا فحمل
 علي والناس حملة واحدة فلم يبق لاهل الشام صف الا اُهمد
 حتى أفضى الامر الى معاوية وعلي يضرب بسيفه ولا يستقبل
 أحداً الاولي عنه . فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فلما وضع
 رجله في الركاب نظر الى عمرو بن العاص فقال له يا ابن
 العاص : اليوم صبر وغدا نخر قال صدقت فترك الركوب
 وصبر وصبر القوم معه الى الليل فبات الناس يتحارسون
 وكرهوا القتال وهو اليوم الذي فيه البلاء العظيم يوم قتل
 عمار وكل يظن ان الدائرة عليه وأشرف الفريقان في القتل ولم
 يكن في الاسلام بلاء ولا قتل أعظم منه في تلك الثلاثة أيام

٢٠٥

وان عليا نادى بالرحيل في جوف الليل فلما سمع معاوية رضي الله عنه رغاء الابل دعا عمرو بن العاص فقال ماترى هاهنا قال عمرو أظن الرجل هاربا فلما أصبحوا اذا على وأصحابه الى جانبهم قد خالطوهم فقال معاوية كلا زعمت يا عمرو انه هارب فضحك وقال من فعلاته والله فعندها أيقن معاوية بالهلكة ونادى أهل الشام كتاب الله بيننا وبينكم ويومئذ استبان ذل أهل الشام ورفعوا المصاحف ثم ارتحلوا فاعتصموا بجبل منيف وصاحوا لا ترد كتاب الله يا أبا الحسن فانك أولي به منا وأحق من أخذ به

﴿ ماقال الاشعث بن قيس ﴾ قال فاقبل الاشعث بن قيس في أناس كثير من أهل اليمن فقاوا علي لا ترد مادعاك القوم اليه قد أنصفك القوم والله لئن لم تقبل هذا منهم لا وفاء معك ولا نرمي معك بسهم ولا حجر ولا نقف معك موقفا
 ﴿ ماقال القراء ﴾ قال فلما سمع علي قول الاشعث ورأى حال الناس قبل القضية وأجاب الى الصلح وقام الى علي أناس وهم القراء منهم عبدالله بن وهب الراسبي في أناس كثير قد اخترطوا سيوفهم ووضعوها على عواتقهم فقالوا علي اتق الله فانك قد

أعطيت العهد وأخذته منا لنفنين أنفسنا أو لنفنين عدونا أو
 يفي إلى أمر الله وأنا نراك قد ركنت إلى أمر فيه الفرقة
 والمعصية لله والذل في الدنيا فانهض بنا إلى عدونا فلنحاكمه
 إلى الله بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين
 لا حكومة الناس . ﴿ ما قال عثمان بن حنيف ﴾ ثم قام عثمان بن
 حنيف فقال: أيها الناس اتهموا رأيكم فانا والله قد كنا مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو رأينا قتالا قاتلنا وذلك
 في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
 أهل مكة . فامض على القضية واتهم هذا الصلح

﴿ ما قال الاشتر وقيس بن سعد ﴾ قال فانكرها الا شتر
 وقيس بن سعد وكانا أشد الناس على علي فيها قولا فكان الذين
 عملوا في الصلح الاشعث بن قيس وعدى بن حاتم وشريح بن
 هانئ وعمرو بن الحمق وزحر بن قيس ومن أهل الشام زيد بن
 أسد ومخارق بن الحارث وحمزة بن مالك فلما رأى ذلك أبو
 الاعور قام إلى معاوية فقال يا أمير المؤمنين ان القوم لم يجيبوا
 إلى ما دعوناهم إليه حتى لم يجدوا من ذلك بداً وانهم ان ينصرفوا
 العام يعودوا في قابل في سنة يبرأ الجريح وينسى القتل

٢٠٧

وقد أخذت الحرب منا ومنهم غير أنهم اختلفوا على علي ولم يختلف عليك أحد والخلاف أشد من القتل ناجز القوم. فقال بشر بن أرطاة والله إن الشام خير من العراق لعلی ومافي يدك لك ومافي يد علی لأصحابه دونه فان كنت انما سألت المدة لأعداد المدة وانتظار المدد فتم وان كنت سألتها ببعض الحرب وبقيا على أهل الشام فلا

﴿ ذكر الاتفاق على الصلح وارسال الحكمين ﴾ قال وذكروا ان معاوية قال لأصحابه حين استقامت المدة ولم يسم الحكمين : من ترون عليا يختار فاما نحن فصاحبنا عمرو بن العاص . قال عتبة بن أبي سفيان أنت أعلم بعلي منا فقال معاوية : ان لعلی خمسة رجال من ثقاته منهم عدي بن حاتم وعبد الله ابن عباس وسعد بن قيس وشريح بن هاني والاحنف بن قيس وأنا أصفهم لك : أما بن عباس فانه لا يقوي ، وأما عدي ابن حاتم فيرد عمر أسأله ويسأله محبباً ، وأما شريح بن هاني فلا يدع لعمرو حياضاً ، وأما الاحنف بن قيس فبديته كرويته ، وأما سعد بن قيس فلو كان من قريش بايعته العرب ومع هذا ان الناس قدموا هذه الحرب ولم يرضوا الا رجلا له تقية وكل

هؤلاء لا تقيّة لهم ولكن انظروا أين أنتم من رجل من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمنه أهل الشام وترضى به
أهل العراق فقال عتبة ذلك أبو موسى الأشعري .
﴿ اختلاف أهل العراق في الحكمين ﴾ قال وذكرنا إن
عليهما استقام رأيهم على أن يرسل عبد الله بن عباس مع عمرو
ابن العاص قام إليه الأشعث بن قيس وشريح بن هاني وعدي
ابن حاتم وسعد بن قيس ومعهم أبو موسى الأشعري فقالوا
يأمر المؤمنين هذا أبو موسى الأشعري وافد أهل اليمن إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب مغانم أبي بكر وعامل
عمر بن الخطاب وقد عرضنا على القوم ابن عباس فزعموا أنه
قريب القرابة منك ضنين في أمرك وإيم الله لو لقيت به
عمرًا لأخذ بصره وغم صدره . ولكن الناس قد رضوا برجل
يثق أهل العراق وأهل الشام بتقيته . فتكلم شبيب بن ربي
فقال أنا والله وإن خفنا على أبي موسى من عمرو وما لا يخافه أهل
الشام على عمرو من أبي موسى فلعل ما خفناه لا يضرنا ولعل
ما رجوا لا ينفعهم فإن قلت في أبي موسى ضعف فضعه وتقاه
خير من قوة عمرو وفجوره فاغلق به البلاء وافتح به العافية ثم

٢٠٩

تَكَلَّمَ ابْنُ الْكُوَّاءِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ أَجَبْتَ اللَّهَ وَأَجَبْنَاكَ
وَلَكِنَّا نَقُولُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِنْ كُنْتَ تَخْشَى مِنْ أَبِي مُوسَى
عَجْزًا فَشَرُّ مَنْ أَرْسَلْتَ الْخَائِنَ الْعَاجِزَ ، وَلَسْتَ تَحْتَاجُ مِنْ عَقْلِهِ
إِلَّا إِلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ إِنْ لَا يَجْعَلُ حَقَّكَ لِفَيْرِكَ فَيَدْرِكَ حَاجَتَهُ
مِنْكَ . وَاعْلَمْ إِنْ مَعَاوِيَةَ طَلَبَ الْإِسْلَامَ وَإِنْ أَبَاهُ رَأْسُ الْأَحْزَابِ
وَإِنْهُ ادَّعَى الْخِلَافَةَ مِنْ غَيْرِ . شُورَةٌ فَإِنْ صَدَّقْتَ فَقَدْ حُلِ
خَلْعُهُ وَإِنْ كَذَبْتَ فَقَدْ حُرِّمَ عَلَيْكَ كَلَامُهُ وَإِنْ ادَّعَى إِنْ عَمَرَ
وَعُثْمَانَ اسْتَعْمَلَهُ فَقَدْ صَدَّقَ اسْتِعْمَلَهُ عَمْرٌ وَهُوَ الْوَالِي بِمَنْزِلَةِ
الطَّيِّبِ مِنَ الْمَرِيضِ يَحْمِيهِ مَا يَشْتَهِي وَيُوجِرُهُ مَا يَكْرَهُ ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ
عُثْمَانُ وَمَا كَانَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَدْعِ الْخِلَافَةَ وَمُهْمَانِيسِيَّتَهُ
فَلَا تَنْسَ إِنْ عَلِيًّا بَايَعَهُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرٌ وَعُثْمَانُ وَإِنَّمَا
بَيْعَةُ هَذَا وَلَمْ يَقَاتِلْ إِلَّا عَاصِيًا أَوْ نَاصِيًا . فَقَالَ : أَبُو مُوسَى
رَحِمَكَ اللَّهُ ! أَمَا وَاللَّهِ أَنِي لَوَاقِفٌ عِنْدَ مَا أَرَى وَلِرِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ رِضَاءِ النَّاسِ وَمَا أَنَا وَأَنْتَ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى

﴿ مَا قَالَ أَهْلُ الشَّامِ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ ﴾ قَالَ وَذَكَرُوا أَنَّ
أَهْلَ الشَّامِ قَالُوا لِأَهْلِ الْعِرَاقِ اعْطُونَا رِجَالًا نَسْمِيَهُمْ لَكُمْ
يَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَيٍّ مَا يَقُولُهُ صَاحِبُنَا وَصَاحِبُكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

(١٤)

صحيفة فقال على سموا من أحبيتهم فسموا ابن عباس والاشعث
ابن قيس وزياذ بن كعب وشريح بن هاثيء وعدي بن حاتم
وحجر بن عدي وعبد الله بن الطفيل وسفيان بن ثور وعروة
ابن عامر وعبد الله بن حجر وخالد بن معمر وطلب أهل
العراق من أهل الشام عتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن
خالد بن الوليد ويزيد بن أسيد وأبا الاعور والحصين بن نمير
وحمزة بن مالك وبسر بن أرطاة والنعمان بن بشير ومخارق بن
الحارث فلما سمي أهل العراق رجال أهل الشام وسمي أهل
الشام رجال أهل العراق قال معاوية أين يكونا هذين الرجلين
فرضي الناس ان يكونا بدومة الجندل

﴿ ما قال الاحنف بن قيس لملي ﴾ قال فلما لم يبق الا
الكتاب قال الاحنف بن قيس لملي يا أمير المؤمنين ان أبا
موسى رجل يمانى وقومه مع معاوية فابعثني معه فوالله لا يحل
لك عقدة الا عقدت لك أشد منها فان قلت اني لست من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فابعث ابن عباس وابعثني معه
﴿ ما قال علي كرم الله وجهه ﴾ فقال على ان الانصار
والقراء أتوني بأبي موسى فقالوا ابعث هذا فقد رضيناه ولا

نريد سواه والله بالغ أمره

﴿الاختلاف في كتاب صحيفة الصلح﴾ قال فوضع
الناس السلاح والتقوا بين المسكرين فلما جيء بالكتاب قال
عليّ اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما تقاضى عليه عليّ
ابن أبي طالب أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان فقال
معاوية عليّ م قاتلناك اذ كنت أمير المؤمنين اكتب : عليّ بن
أبي طالب . فقال الاشعث اطرح هذا الاسم فانه لا يضررك
فضحك عليّ ثم قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية حين صدّه المشركون عن مكة فقال يا عليّ اكتب
هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله ومشركو قريش فقال سهيل
ابن عمرو لقد ظلمناك اذا يا محمد إن قاتلناك وأنت رسول الله
ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال صلى الله عليه وسلم
اكتب محمد بن عبد الله واني رسول الله . وكنت اذا أمرني
بشيء رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرع واذا قال
مشركو قريش أبطأت به واذا كتبت شيئاً قال نبي الله امحها
فتعاضمني ذلك . فدعا بمقراض فقرضته وكتب بسم الله الرحمن
الرحيم هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن

أبي سفيان فقال أبو الأعور أو معاوية وعلى فقال الاشعث
 لا لعمر الله ولكن نبداً بأولهما إيماناً وهجرة وأدناهما من الغلبة
 فقال معاوية : قدموا أو آخروا تقاضوا على ان علياً ومن
 معه من شيعته من أهل العراق ومعاوية ومن معه من
 أهل الشام انا ننزل عند حكم الله وكتابه من فأتحتة الى
 خاتمته ما أحبي القرآن أحييناه وما أمات القرآن امتناه فلما لم
 يجد عبد الله بن قيس وعمر بن العاص في القرآن حكماً بما
 يجدان في السنة العادلة غير المفرقة وعلى ومعاوية وتبعتهما
 وضع السلاح الى انقضاء هذه المدة وهي من رمضان الى
 رمضان وعلى ان عبد الله بن قيس وعمر آماناً على دمايتهما
 وأموالهما وحريمهما والامة على ذلك انصار وعليهما مثل الذي
 أخذوا ان يقضيا بما في كتاب الله تعالى وما لم يجدوا في كتاب
 الله قضيا بما يجدان في السنة وعليهما ان لا يؤخرا أمرهما عن
 هذه المدة فان أحبا ان يقولوا قبل انقضائها فلهما ان يقولوا عن
 تراض منهما على ان يرجع أهل العراق الى العراق وأهل الشام
 الى الشام فيكون الاجتماع الى دومة الجندل فان رضيا ان
 يجتمعا بغيرهما فلهما ذلك ولهما ان لا يحضرا الا من أحبا ولا

٢١٣

يشهدا الا من اراداهوؤلاء النفر من أهل العراق وأهل الشام ضامنون بالوفاء الى هذه المدة فكتب أهل العراق بهذا كتابا لأهل الشام وكتب أهل الشام كتابا بهذا لأهل العراق بخط عمرو بن عبادة كاتب معاوية وشهد شهود أهل الشام على أهل العراق وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام فلما كتب الكتابان أقبل رجل من بني يشكر على فرس له أبلق حتى وقف بين الصفين على علي فقال يا علي أكفر بعد اسلام وتقض بعد توكيد وردة بعد معرفة أنا من صحيفتيكما بريء ومن أقر بها بريء ثم حمل على أصحاب معاوية فطعن فيهم حتى اذا عطش أتى عسكر علي فاستسقى فسقى ثم حمل على عسكر علي فطعن فيهم حتى اذا عطش أتى عسكر معاوية فاستسقى فسقى

﴿ ما وصى به شريح بن هاني أبا موسى ﴾ قال وذكروا ان شريح بن هانيء أخذ بيد أبي موسى فقال: يا أبا موسى انك نصبت لامر لا يجبر صدعه ولا تستقال فلتته ومهما تقل من شيء لك أو عليك يثبت حقه ويزيل باطله انه لا بقاء لأهل العراق ان ملكها معاوية ولا بأس لأهل الشام ان ملكها علي

موسى وعمرآ لما اجتمعا بدومة الجندل وحضرهما من يليهما من العرب ليستمعوا قول الرجلين فلما التقيا استقبل عمرو أبا موسى فاعطاه يده وضم عمرو أبا موسى الى صدره فقال يا أخي قبح الله أمراً فرق بيننا ثم أقعد أبا موسى على صدر الفراش وأقبل عليه بوجهه والناس مجتمعون فلم يزالا حتى تفرقا ومكثا أياما يلتقيان في أمرهما سراً وجهراً وأقبل الاشعث بن قيس وكان من أحرص الناس على اتمام الصلح والراحة من الحرب فقال يا هذان انا قد كرهننا هذه الحرب فلا ترداها إلينا فانها مرة الرضاع والقطام فكفاهما بما شئنا

﴿ما قال سعيد بن قيس للحكمين﴾ قال فاقبل سعيد بن قيس وكان من النصحاء لعل كرم الله وجهه فقال: أيها الرجلان انى أراكما قد أبطأتما بهذا الامر حتى أيس القوم منكما فان كنتما اجتمعتما على خير فاظهرا له نسمعه ونشهد عليه وان كنتما لم تجتمعا رجعنا الى الحرب. ﴿ما قال عدي بن حاتم لعمرو﴾ قال وذكروا ان عديا قال لعمرواً ما والله يا عمرو انك لغير مأمون العناء وانك يا أبا موسى لغير مأمون الضعف وما تنتظر بالقول منكما الا أن تقولوا والله مالكما مع كتاب الله ايراد ولا صدر فقال أبو موسى

٢١٧

كفوا عنا فانا انما نقول فيما بقى ولسنا نقول فيما مضى
 ﴿ما قال عمرو ولا بي موسى﴾ قال وذكروا ان عمراً غدا على أبي
 موسى فقال يا أبا موسى قد عرفت حال معاوية في قریش وشرفه
 في بني عبد مناف وانه ابن هند وابن أبي سفيان فما ترى فقال
 أبو موسى أما معاوية نليس باثرف في قریش من علي ولو
 كان هذا الامر على شرف الجاهلية كان أخوال ذي أصبح
 ولكنني أرى وترى وباعده أبو موسى ثم غدا عليه عمرو فقال
 يا أبا موسى ان قال قائل ان معاوية من الطلقاء وأبوه رأس
 الاحزاب لم يبايعه المهاجرون والانصار فقد صدق واذا قال
 ان علياً آوى قتلة عثمان وقتل أنصاره يوم الجمل وبرز على
 أهل الشام بصفين فقد صدق وفينا وفيكم بقية وان عادت
 الحرب ذهب ما بقى فهل لك ان تخلعهما جميعاً وتجعل الامر
 لعبد الله بن عمر فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
 يسط في هذه الحرب يداً ولا لساناً وقد علمت من هو مع
 فضله وزهده وورعه وعلمه فقال أبو موسى جزاك الله
 بنصيحتك خيراً وكان أبو موسى لا يعدل لعبد الله بن عمر
 أحداً لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من

أبيه لفضل عبد الله في نفسه وافترقا على هذا الامر واجتمع رأيهما على ذلك . ثم ان عمراً غدا على أبي موسى بالغد وجماعة الشهود فقال يا أبا موسى ناشدتك الله تعالى من أحق بهذا الامر من أوفى أو من غدر قال أبو موسى من أوفى قال عمرو يا أبا موسى ناشدتك الله تعالى ما تقول في عثمان قال أبو موسى قتل مظلوما قال عمرو فما الحكم فيمن قتل قال أبو موسى يقتل بكتاب الله تعالى قال فمن يقتله قال أولياء عثمان قال فان الله يقول في كتابه العزيز « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا » قال فهل تعلم ان معاوية من أولياء عثمان قال نعم قال عمرو للقوم اشهدوا قال أبو موسى للقوم اشهدوا على ما يقول عمرو ثم قال أبو موسى لعمرو قم يا عمرو فقل وصرح بما اجتمع عليه رأيي ورأيك وما اتفقنا عليه فقال عمرو سبحان الله أقوم قبلك وقد قدمك الله قبلي في الايمان والهجرة وأنت وافد أهل اليمن الى رسول الله ووافد رسول الله اليهم وبك هدام الله وعرفهم شرائع دينه وسنة نبيه وصاحب مغانم أبي بكر وعمر ولكن قم أنت فقل ثم أقوم فأقول فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس

ان خير الناس للناس خيرهم لنفسه واني لا أهلك ديني بصلاح
غيري، ان هذه الفتنة قد أكلت العرب واني رأيت وعمراً ان
نخلع علياً ومعاوية ونجعلها لعبد الله بن عمر فانه لم يبسط في
هذه الحرب يداً ولا لساناً ثم قام عمرو فقال: أيها الناس هذا
أبو موسى شيخ المسلمين وحكم أهل العراق ومن لا يبيع للدين
بالدنيا وقد خلع علياً وأثبت معاوية فقال أبو موسى مالك عليك
لعنة الله ما أنت الا كمثل الكلب تلهث فقال عمرو ولكنك
مثل الحمار يحمل أسفاراً. واختلط الناس فقالوا والله لو اجتمعنا
على هذا ما حولنا عن ما نحن عليه وما صلحكما بلا زما وانا
اليوم على ما كنا عليه أمس ولقد كنا ننظر الى هذا قبل ان
يقع وما أمات قولكما حقاً ولا أحيا باطلاً ثم تشاتم أبو موسى
وعمر وثم انصرف عمرو الى معاوية ولحق أبو موسى بمكة
وانصرف القوم الى علي فقال عدي أما والله يا أمير المؤمنين
لقد قدمت القرآن وأخرت الرجال وجعلت الحكم لله
فقال علي أما اني قد أخبرتك ان هذا يكون بالأمس وجهدت
أن تبعثوا غير أبي موسى فابستم على ولا سبيل الى حرب القوم
حتى تنقضي المدة. فصعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال قم

يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين ابي موسى وعمرو. فقام الحسن فتكلم فقال: أيها الناس قد أكثرتم في أمر أبي موسى وعمرو. وإنما بعثنا ليحكم بالقرآن دون الهوى فحكمما بالهوى دون القرآن فمن كان هكذا لم يكن حكما ولكنه محكوم عليه وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبد الله بن عمر فأخطأ في ثلاث خصال خالف يعني ابا موسى أباه عمر اذ لم يرضه لها ولم يره أهلا لها وكان أبوه اعلم به من غيره ولا أدخله في الشوري الا على انه لا شيء له فيها شرطا مشروطا من عمر على أهل الشوري فهذه واحدة، وثانية لم تجمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعتمدون الامامة ويحكمون على الناس، وثالثة لم يستأمر الرجل في نفسه ولا علم ما عنده من رد أو قبول. ثم جلس ثم قال علي لعبد الله بن عباس قم فتكلم فقام عبد الله بن عباس وقال: أيها الناس إن للحق اناسا أصابوه بالتوفيق والرضا والناس بين راض به وراغب عنه وإنما سار أبو موسى بهدي الى ضلال وسار عمرو بضلال الى هدى فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه ومضى عمرو على ضلاله فوالله لو كانا حكما عليه بالقرآن لقد حكما عليه واثن كانا حكما بهواهما على القرآن واثن

٢٢١

مسكا بما سارا به لقد سار أبو موسى وعلي امامه وسار عمرو ومعاوية امامه ثم جلس فقال علي لعبد الله بن جعفر قم فتكلم فقام . وقال : أيها الناس هذا أمر كان النظر فيه لعلي والرضا فيه الى غيره جثم بأبي موسى فقلتم قد رضينا هذا فارض به وأيم الله ما أصلحنا بما فعلا الشام ولا أفسدا العراق ولا أمانا حق علي ولا أحييا باطل معاوية ولا يذهب الحق قلة رأي ولا نفخة شيطان وانا لعلي اليوم كما كنا أمس عليه ثم جلس

﴿كتاب ابن عمر الى أبي موسى﴾ قال وذكروا ان عبد الله بن عمر لما بلغه ما كان من رأي أبي موسى كتب اليه : أما بعد يا أبا موسى فانك تقربت الي بأمر لم تعلم هو رأي فيه أ كنت تظن اني أبسط يداً الى أمر نهاني عنه عمر أو كنت تراني أتقدم على علي وهو خير مني لقد خبت اذا وخسرت وما أنا من المهتدين فأغضبت بقولك وفعلك علياً ومعاوية ، ثم أعظم من ذلك خديعة عمرو اياك وأنت حامل القرآن ووافد أهل اليمن الى نبي الله وصاحب مقاسم أبي بكر وعمر فقدمك عمرو للقول مخادعا حتى خلعت علياً قبل ان تخلع

معاوية ولعمري مايجوز لك على عليّ ماجاز لعمر و على معاوية
ولا ماجاز لنا عليه ولا كرهنا مارضيت وأردت ان الحاكم
بحكم الله بين الناس ولم تبلغ من خطيئتك عنده ماغير
أمرك في خلاف هواه . فلما أتانا أبا موسى كتاب ابن عمر كتب
اليه : أما بعد فاني والله ماأردت بتولييتي اياك وبيعتي لك القربة
اليك ما أردت بذلك الا الله عز وجل وما تقلدي أمر هذه
الامة غير مستكره فانهم كانوا على مثل حذ السيف فقلت
الى سنة محيا وممات ان يصطلحوا فهو الذي أردت والا لم
يرجعوا الى أعظم مما كانوا عليه ، وأما اغضابي عليك علياً
ومعاوية فقد غضبا عليك قبل ذلك ، وأما خديعة عمرو اياي
فوالله ماضر بخديعته علياً ولا نفع معاوية وقد كان الشرط
ما اجتمعنا عليه لا ما اختلفنا فيه وأما نهي اليك فوالله لو تم
الامر لا كرهت عليه

﴿ كتاب معاوية الى أبي موسى ﴾ قال وذكروا ان
معاوية كتب الى أبي موسى بعد الحكومة وهو بمكة : أما
بعد فاكره من أهل العراق ما كرهوا منك واقبل الي الشام
فاني خير لك من عليّ والسلام . ﴿ جوابه ﴾ فكتب اليه أبو

٢٢٣

موسي : أما بعد فانه لم يكن مني في علي الا ما كان من عمرو
 فيك غير اني أردت بما صنعت وجه الله وأراد عمرو بما صنع
 ما عندك وقد كان بيني وبينه شروط عن تراض فلما رجع عمرو
 رجعت وأما قولك ان الحكمين اذا حكما على أمر فليس
 للمحكوم عليه ان يكون بالخيار انما ذاك في الشاة والبعير، أما
 في أمر هذه الامة فليست تساق الى ما تكره ولن تذهب
 بين عجز عاجز ولا كيد كائد ولا خديعة فاجر، وأما دعاؤك
 لياي الى الشام فليس لي بدل ولا ايشار عن قبر ابن ابراهيم
 أبي الانبياء

﴿ كتاب علي الى أبي موسى ﴾ قال وذكروا انه لما
 بلغ علياً كتاب أبي موسى رق له وأحب ان يضمه اليه فكتب
 اليه : أما بعد فانك امرؤ ضللك الهوى واستدرجك الغرور
 فاستقل الله يقلك عثرتك فانه من استقال الله أقاله إن الله يغفر
 ولا يغير وأحب عباده اليه المتقون والسلام. فلما انتهى كتاب
 علي الى أبي موسى هم ان يرجع ثم قال لاصحابه اني امرؤ غلب
 على الحياء ولا يستطيع هذا الامر رجل فيه حياء. ﴿ جوابه ﴾
 فكتب أبو موسى الى علي : أما بعد فلو لا اني خشيت ان

يوئل منع الجواب الى أعظم مما في نفسك لم أجبك لانه ليس
عذر ينفعني ولا عذر يمنعي منك وأما التزامي مكة فاني
استنسرت الى أهل الشام وانقطعت من أهل العراق وأصبحت
أقواماً صغروا من ذنبي ماعظمت وعظموا من حقي ماصغرت
فأقيت بين أظهرهم اذ لم يكن لي منكم ولي ولا نصير
﴿ ذكر الخوارج على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾
قال وذكروا انه لما كان من الحكمين ما كان لقيت
الخوارج بعضها بعضاً فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب
الراسبي فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أيها الناس ما ينبغي لقوم
يؤمنون بالرحمن وينسبون الى حكم القرآن ان تكون هذه
الدنيا آثر عندهم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول
بالحق وان ضرر وصرّ فانه ان يضر ويمر في هذه الدنيا فان
ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنة فاخرجوا بنا من
هذه القرية الظالم أهلها الى بعض هذه المدائن منكبين لهذه
البدعة المضلة والاحكام الجائرة فقال حرقوص بن زهير ان
المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعوكم
زينتها وبهجتها الى المقام بها ولا تلوينكم عن طلب الحق

وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
يا قوم ان الرأي ماقد رأيتم والحق ماقد ذكرتم فلكوا امركم
رجلا منكم فانه لا بد لكم من عماد وسند ومن راية تحفون
حولها وترجعون اليها ثم اجتمعوا في منزل زفر بن حصين
الطائي فقالوا ان الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والقول بالحق والجهاد في تقويم السبيل
وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام «يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم
عذاب شديد» وقال «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الكافرون» فاشهدوا على أهل دعوتنا ان قد اتبعوا الهوى
ونبذوا حكم القرآن وجاروا في الحكم والعمل وان جهادهم على
المؤمنين فرض واقسم بالذي تمنوا له الوجوه وتخشع دونه
الابصار لو لم يكن أحد على تغيير المنكر وقاتل القاسطين
مساعداً لقاتلتهم وحدي فرداً حتى ألقى الله ربي فيرى اني قد
غيرت ارادة رضوانه بلساني يا اخواننا اضربوا جباههم ووجوههم
بالسيف حتى يطاع الرحمن عز وجل فان يطع الله كما أردتم

أثابكم ثواب المطيعين له الآمرين بأمره وإن قتلتم فأني شيء
 أعظم من المسير إلى رضوان الله وجنته واعلموا أن هؤلاء
 القوم خرجوا لأقضاء حكم الضلالة فأخرجوا بنا إلى بلد تعد
 فيه الاجتماع من مكاننا هذا فانكم قد أصبحتم بنعمة ربكم
 وأنتم أهل الحق بين الخلق إذ قتلتم بالحق وصمدتم لقول
 الصدق فأخرجوا بنا إلى المدائن نسكنها فنأخذ بأبوابها ونخرج
 منها سكانها ونبعث إلى اخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا
 فقال زيد بن حصين الطائي إن المدائن بها قوم يمنعونكم منها
 ويمنعونها منكم ولكن اكتبوا إلى اخوانكم من أهل
 البصرة فاعلموهم بخروجكم وسيروا أنتم على المدائن فتزلوا
 بجسر النهر وإن قالوا هذا هو الرأي فاجتمعوا على ذلك
 وكتبوا إلى اخوانهم من أهل البصرة : أما بعد فإن أهل
 دعوتنا حكموا الرجال في أمر الله ورضوا بحكم القاسطين على
 عباده فخالفناهم ونابذناهم نريد بذلك الوسيلة إلى الله وقد قعدنا
 بجسر النهر وإن وأحبينا اعلامكم لتأخذوا بنصييكم من الأجر
 والسلام ﴿الجواب﴾ فكتبوا إليهم : أما بعد فقد بلغنا
 كتابكم وفهمنا ما ذكرتم وقد وهبنا لكم الرأي الذي جمعكم

٢٢٧

الله عليه من الطاعة واخلاص الحكم لله وإعمالكم أنفسكم فيما يجمع الله به كلمتكم وقد أجمعنا على المسير اليكم عاجلاً . وكان بدء خروجهم انهم اجتمعوا في منزل حرقوص بن زهير ليلة الخميس فقالوا متى أنتم خارجون قالوا الليلة القابلة من يوم الجمعة فقال لهم حرقوص بل أقيموا ليلة الجمعة تعبدوا الربكم وأوصوا فيها بوصاياكم ثم اخرجوا ليلة السبت مشى ووحداً لا يشعر بكم

﴿ خطبة علي كرم الله وجهه ﴾ قالوا فلما خرج جميع الخوارج وتوافوا الى النهروان قام علي بالكوفة على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن معصية العالم الناصح تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة بأمرى فأيتهم الا ما أردتم فأحييها ما أمات القرآن وأمات ما أحيى القرآن واتبع كل واحد منهما هواه يحكم بغير حجة ولا سنة ظاهرة واختلفا في أمرهما وحكما فكلاهما لم يرشد الله فبرئ الله منهما ورسوله وصالحو المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير ثم أصبحوا في معسكركم يوم الاثنين بالنخيلة وانما حكمنا من حكمنا ليحكمنا بالكتاب فقد علمتم انهما

حكما بغير الكتاب وبغير السنة ووالله لأغزونهم ولو لم يبق
 أحد غيري لجاهدتهم . واعطى الناس المطاء وهم بالجهاد
 ﴿ كتاب علي كرم الله وجهه للخوارج ﴾ قالوا فأجمع
 رأي علي والناس على المسير الى معاوية بصفين فتجهز معاوية
 وخرج حتى نزل بصفين واصبح علي قد تجهز وعسكر فقبل له
 يأمر المؤمنين انه قد افترقت منا فرقة فذهبت قال فكتب
 اليهم علي : أما بعد فإن هذين الرجلين الخاطئين الحاكمين
 اللذين ارتضيتم حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير
 هدى من الله فلم بمملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكما فبرئ الله
 منهما ورسوله وصالح المؤمنين، اذا بلغكم كتابنا هذا فاقبلوا
 الينا فانا سائرون الى عدونا وعدوكم ونحن على الامر الذي كنا
 عليه والسلام . قال فكتبوا اليه : أما بعد فانك لم تغضب لله
 انما غضبت لنفسك والله لا يهدي كيد الخائنين . قال فلما رأى
 علي كتابهم أيس منهم ورأى ان يدعهم ويمضى بالناس الى
 معاوية وأهل الشام فيناجزهم فقام علي خطيباً فحمد الله وأثنى
 عليه ثم قال : أما بعد فإن من ترك الجهاد وداهن في أمر الله
 كان علي شفا هلكة الا أن يتداركه الله برحمته فاتقوا الله عباد

٢٢٩

الله قاتلوا من حاد الله وحاول أن يعطى نور الله، قاتلوا الخاطئين
القاتلين لا ولياء الله المحرفين لدين الله الذين ليسوا بقراء الكتاب
ولا فقهاء في الدين ولا علماء بالتأويل ولا لهذا الامر بأهل في
دين ولا سابقة في الاسلام ووالله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم
يعمل كسري وقيصر . فسيروا وتأهبوا للقتال وقبذ بعثت
لاخوانكم من أهل البصرة ليقدّموا عليكم فاذا قدموا
واجتمعتم شخصنا ان شاء الله

﴿ كتاب علي الى ابن عباس ﴾ قالوا وكان علي قد كتب
الى ابن عباس والى أهل البصرة: أما بعد فاننا أجمعنا على المسير
الى عدونا من أهل الشام فأشخص الى من قبلك من الناس
وأقم حتى آتيك والسلام

﴿ ما قال ابن عباس الى أهل البصرة ﴾ فلما قدم
كتاب علي الى ابن عباس قرأه على الناس ثم أمرهم بالشخص
مع الاحنف بن قيس فشخص معه منهم الف وخمسمائة رجل
فاستقلهم ابن عباس . فقام خطيباً فحمد الله وأثني عليه ثم قال:
يا أهل البصرة قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني
بإشخاصكم فأمرتكم بالمسير اليه مع الاحنف بن قيس فلم

يشخص اليه منكم الالف وخمسمائة وأتم في الديوان
ستون ألفا سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم. الا فانفروا
ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلاً فاني موقع بكل من وجدته
تخلف عن دعوة عاصياً لامامه حزناً يعقب ندماء، وقد أمرت أبا
الاسود بحشدكم فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه الانفسه
﴿وما قال علي كرم الله وجهه لاهل الكوفة﴾ قال فحشد
أبو الاسود الناس بالبصرة فاجتمع اليه الف وسبعمائة فاقبل هو
والاحنف بن قيس حتى وافيا عاليا بالنخيلة فلما رأى على أنه انما
قدم عليه من أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل جمع اليه
رؤساء الناس وأمرأه الاجناد ووجوه القبائل فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال: يا أهل الكوفة أنتم اخواني وانصاري واعواني على
الحق ومحبي الى جهاد المحلين ، بكم اضرب المدبر وارجو
اتمام طاعة المقبل ، وقد بعثت الى اهل البصرة فاستنفرتهم فلم
يأتني منهم غير ثلاثة آلاف ومائتين فاعينوني بمناصرة سمحة
خلية من الفس واني آمركم أن يكتب الى رئيس كل قوم منكم
ما في عشيرته من المقاتلة وابنائهم الذين ادركوا القتال والعبدان
والموالي وارفعوا ذلك اليّ ننظر فيه ان شاء الله . فقام سعد بن

٢٣١

قيس الهذاني : فقال : يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ووداً
ونصيحة أنا أول الناس وأول من أجابك بما سألت وطلبت .
ثم قام عدي بن حاتم وحجر بن عدي وأشراف القبائل فقالوا
نحن كذلك ثم كتبوا ورفعوا الى علي فكان جميع ما رفعوا اليه
أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفاً من الابناء وثمانية آلاف
من عبيدهم ومواليهم وكانت العرب يومئذ سبعة وخمسين ألفاً
من أهل الكوفة ومن ممالئكم ومواليهم ثمانية آلاف ومن
أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل . فقام علي فيهم خطيباً
فقال : أما بعد فقد بلغني قولكم لو ان أمير المؤمنين سار بنا الى
هذه الخارجة التي خرجت علينا فبداًنا بهم الا ان غير هذه
الخارجة اعم على أمير المؤمنين سيروا الى قوم يقاتلونكم كما
يكونوا في الارض جبارين ملوكاً ويتخذهم المؤمنون أرباباً
ويتخذون عباد الله خولاً ودعوا ذكر الخوارج . قال فنادي الناس
من كل جانب سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت فنحن
حزبك وانصارك نعمادي من عاداك ونشايح من أناب اليك
والي طاعتك فسر بنا الى عدوك كائناً من كان فانك ان توئتي
من قلة ولا ضعف فان قلوب شيعتك كقاب رجل واحد في

الاجتماع على نصرتك والجد في جهاد عدوك فابشر ياأمير المؤمنين بالنصر واشخص الى أي الفريقين أحبيت فانا شيعتك التي ترجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله وتخاف من الله في خذلانك ، والمختلف عنك شديد الوبال ﴿ما قال علي رضي الله عنه في الخثعمي﴾ فبايعوه علي التسايم والرضاء وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من خثعم^(١) فقال له علي: بايع على كتاب الله وسنة نبيه قال لا ولكن أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وسنة أبي بكر وعمر فقال علي وما يدخل سنة أبي بكر وعمر مع كتاب الله وسنة نبيه إنما كانا عاملين بالحق حيث عملنا فأبي الخثعمي الا سنة أبي بكر وعمر وأبي علي ان يبايعه الا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال له حيث ألح عليه تبائع قال لا الا على ما ذكرت لك فقال له علي أما والله لكأني بك قد نفرت في هذه الفتنة وكأني بحوافر خيلي قد شدخت وجهك فلقق بالخوارج فقتل يوم النهر وان ، قال قبيضة فرأيت يوم النهر وان قتيلا قد وطأت الخيل وجهه

(١) هو ربيعة بن ابي شداد الخثعمي وكان شهد معة الجمل وصفين

٢٢٣

وشدخت رأسه ومثلت به فذكرت قول علي وقلت لله در
أبي الحسن ما حرك شفتيه قط بشيء الا كان كذلك

﴿اجتماع علي للذهاب الى صفين﴾ فاجمع علي والناس
على المسير الى صفين وتجهز معاوية حتى نزل صفين فلما خرج
علي بالناس عبر الجسر ثم مضى حتى نزل دير أبي موسى على
شاطئ الفرات ثم أخذ علي الانبار . وان الخارجة التي خرجت
على علي بينهما هم يسرون فاذا هم برجل يسوق امرأته على حمار
له فعبروا اليه الفرات فقالوا له من أنت قال أنا رجل مؤمن
قالوا فما تقول في علي بن أبي طالب قال أقول انه أمير المؤمنين
وأول المسلمين إيماناً بالله ورسوله قالوا فما اسمك قال أنا عبد
الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا له أفزعناك قال نعم قالوا لا روع عليك حدثنا عن
أبيك بحديث سمعه من رسول الله لعل الله أن ينفعنا به قال
نعم حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ستكون
فتنة بعدي يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمناً
ويصبح كافراً . فقالوا لهذا الحديث سألتك والله لنقتلك قتلة
ماقتلناها أحداً . فأخذوه وكتفوه ثم قبلوا به وبامرأته

وهي حيلي متم حتى نزلوا تحت نخل فسقطت رطبة منها فأخذها بعضهم فحذفوها في فيه فقال له أحدهم بغير حل أو بغير ثمن أكلتها قالقاهامن فيه، ثم اخترط بعضهم سيفه فضرب به خنزيراً لاهل الذمة فقتله قال له بعض أصحابه ان هذا من الفساد في الارض فلقى الرجل صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره فلما رأى منهم عبد الله بن خباب ذلك قال لئن كنتم صادقين فيما أرى ما على منكم بأس والله ما أحدثت حدثاً في الاسلام واني لمؤمن وقد امتتموني وقلتم لا روع عليك . فجأؤا به وبامراته فاضجعوه على شفير النهر على ذلك الخنزير فذبجوه فسال دمه في الماء ثم اقبلوا الى امرأته فقالت : انما أنا امرأة اما تقون الله قال فبقروا بطنها وقتلوا ثلاثة نسوة فيهم أم سنان قد صحبت النبي عليه السلام فبلغ علياً خبرهم فبعث اليهم الحارث ابن مرة لينظر فيما بلغه من قتل عبد الله بن خباب والنسوة ويكتب اليه بالامر فلما انتهى اليهم ليسائلهم خرجوا اليه فقتلوه فقال الناس يا أمير المؤمنين تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفونا في عيالنا وأموالنا سر بنا اليهم فاذا فرغنا منهم نهضنا الى عدونا من أهل الشام فمسير على الى الحوارج وما قال لهم ❦ قال فسار على

٢٣٥

ومن معه حتى نزلوا المدائن ثم خرج حتى أتى النهر وان فبعث اليهم : أن اذنعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم انا افارقكم وأكف عنكم حتى ألقى أهل الشام فبعثوا اليه : انا كلنا قتلناهم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم ثم اتاهم على فوقف عليهم فقال أيتها العصابة إني نذير لكم^(١) ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا وأنتم صرعى بأزاء هذا النهر بغير برهان ولا سنة ألم تعلموا اني نهيتكم عن الحكومة وأخبرتكم ان طلب القوم لها مكيدة وأنبأتكم ان القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن واني أعرف بهم منكم قد عرفتهم أطفالا وعرفتهم رجالا فهم شر رجال وشر أطفال وهم أهل المكر والغدر وانكم ان فارقتموني ورأيي جانبكم الخير والحزم فعصيتوني واكرهتموني حتى حكمت فلما ان فعلت شرطت واستوثقت وأخذت على الحكمين ان يحيا ما أحى القرآن وان يميتا ما أمات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة وعملا بالهوى فنبذا أمرهم ونحن على أمرنا الاول فما نبأكم ومن أين أتيتم . قالوا له انا

(١) و يروى : أيتها العصابة التي اخرجها عداوة المراء واللباجة وصدها عن الحق الهوى وطمع بها النزق واصبحت في الخطب العظيم . اني نذير الخ .

حيث حكمنا الرجلين أخطأنا بذلك وكنا كافرين وقد تبنا من ذلك فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت كما تبنا وأشهدنا فنحن معك ومنك والا فاعتزلنا وان أبيت فنحن منابذوك على سواء . فقال : على أبعد إيماني بالله وهجرتي وجهادي مع رسول الله أبوء واشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين ، ويحكم ثم استحلتم قتالنا والخروج من جماعتنا ان اختار الناس رجلين فقالوا لهما انظرا بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ويوضع آخر مكان آخر . أحلّ لكم ان تضعوا سيوفكم على عواتقكم تضربون بها هامات الناس وتسفكون دماءهم ان هذا هو الخسران المين . قال فتنادوا الا تخاطبوهم ولا تسلموهم تهيؤا للقاء الحرب الرواح الرواح الى الجنة . ﴿ قتل الخوارج ﴾ قال فرجع على فعباً أصحابه فجعل على الميمنة حجر بن عدي وعلى الميسرة شيبث بن ربيع وعلى الخيل أبا أيوب الانصاري وعلى الرجال أبا قتادة وعلى أهل المدينة وهم ثمانمائة رجل من الصحابة قيس بن سعد بن عبادة ووقف على في القلب في مضر . قال ثم رفع لهم راية أمان مع أبي أيوب الانصاري فناداهم أبو أيوب من جاء منكم الى هذه الراية فهو

٢٣٧

آمن ومن دخل المعر فهو آمن ومن انصرف الى العراق
ومن خرج من هذه الجماعة فهو آمن فانه لا حاجة لنا في سفك
دمائكم . قال وقدم الخيل دون الرجال وصف الناس صفين
وراء الخيل وصف الرماة صفنا امام صف وقال لاصحابه كفوا
عنهم حتى يبدؤكم . قال وأقبلت الخوارج حتى اذا دنوا من
الناس نادوا لاحكم الا الله ^(١) ثم نادوا الرواح الرواح الى الجنة .
قال وشدوا على أصحاب على شدة رجل واحد والخيل امام
الرجال فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل فحمدوا . قال الشعبي
لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معز اتقت
المطر بقرونها ثم عطفت الخيل عليهم من اليمين والميسرة ونهض
علي في القاب بالسيوف والرماح فلا والله ما لبثوا فواقا حتى
صرعهم الله كأنما قيل لهم موتوا فماتوا . قال وأخذ على ما كان
في عسكرهم من كل شيء فأما السلاح والدواب فقسمه عليّ
بيننا وأما المتاع والعبيد والإماء فانه حين قدم الكوفة رده على
أهله . قال ولما أراد عليّ الانصراف من الثروان قام خطيبا

(١) ويروي: انه لما سمع على نداءهم لاحكم الا الله قال: كلمة عادلة

يراد بها جور . انما يقولون الا امارة ولا بد من امارة برة او فاجرة

فحمد الله ثم قال: أما بعد فإن الله قد أحسن بلاءكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى معاوية وأشياعه القاسطين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون. فقالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت أذرعنا وتقطعت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا فارجع بنا بأحسن عدتنا ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة فإن ذلك أقوى لنا على عدونا. فأقبل عليّ بالناس حتى نزل بالنخيلة فمسكربها وأمر الناس ان يلزموا معه عسكرهم ويوطنوا أنفسهم على الجهاد وان يقلوا من زيارة ابنائهم ونسائهم حتى يسيروا الى عدوهم من اهل الشام فأقاموا معه اياما ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة ويتلذذون بنسائهم وابنائهم ولذاتهم حتى تركوا عليا ومما معه الا نفر من وجوه الناس يسير وترك العسكر خاليا

﴿خطبة عليّ كرم الله وجهه﴾ قال فقام عليّ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ايها الناس استعدوا للمسير الى عدو في جهاده القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده فأعدوا له ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى به

٢٣٩

وكيلا تم تركهم اياما . ودعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يبطهم فمنهم المعتل ومنهم المتكبره واقلهم من نشط فقال لهم علي : عباد الله مالكم اذا امرتكم أن تنفروا في سبيل الله اناقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ورضيتم بالذل والهوان من العز خلقا كلما ناديتكم الى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكانت قلوبكم قاسية فأنتم لاتعقلون وكأن أبصاركم كمه فأنتم لاتبصرون ، لله أتم ما أتم الا اسود روعة وثعالب روعة عند الناس تكادون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم فلا تحاشون وأنتم في غفلة ساهون ، إن أخوا الحرب اليقظان . أما بعد فاني انا عليكم حقا واكم على حقا وأما حقكم علي فالنصيحة في ذات الله وتوفير فيشكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا . وأما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في الاجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم ، فان يرد الله بكم خيرا تنزعوا عما أكره وترجعوا الى ما أحب تنالوا بذلك ما تحبون وتدركو ما تأملون ، أيها الناس المجتمعمة أبدانهم المختلفة أهواؤهم ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم

كلامكم يوهي الصم وفعلكم يطمع فيكم عدوكم اذا امرتكم
 بالمسير قلم كيت وكيت أعاليل بأضاليل هيهات لا يدرك الحق
 الا بالجد والصبر أي دار بعد داركم تمنعون، ومع أي امام
 بعدي تقاتلون، المفرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز
 بالسهم الأخبأ أصبحت لأطمع في نصرتكم ولا أصدق
 قولكم، فرق الله بيني وبينكم واعقبني بكم من هو خير لي
 وأعقبكم بعدي من هو شر لكم مني أما انكم ستلقون بعدي
 ذلاً شاملاً وسيفاً قاتلاً وأثرة يتخذها الظالمون بعدي عليكم
 سنة تفرق جماعتكم وتبكي عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم،
 تمنون والله عندها ان لو رأيتموني ونصرتوني وستعرفون
 ما أقول لكم عما قليل . استنفرتكم فلم تنفروا ونصحت لكم
 فلم تقبلوا وأسمعتكم فلم تعوا فأنتم شهود كأغياب وصم ذوو
 أسماع ، اتلو عليكم الحكمة وأعظمكم بالموعظة النافعة واحشكم على
 جهاد المحلين الظلمة الباغين ، فما آتى على آخر قولي حتى أراكم
 متفرقين اذا تركتكم عدتم الى مجالسكم حلقاً عزين تضربون
 الامثال وتناشدون الاشعار تربت أيديكم وقد نسيتم الحرب
 واستعدادها وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها وشغلتوها

٢٤١

بالباطيل والاضاليل ، ويحكم اغزوا عدوكم قبل ان يغزوكم
فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا وأيم الله ما أظنكم
تفعلون حتي يفعل بكم وأيم الله لو ددت اني قد رأيتمهم فلقيت
الله على نيتي وبصيرتي فاسترحت من مقاساتكم ومداراتكم ،
ويحكم ما أتم الا كابل جامعة ضل عنها رعاؤها فكما ضمت
من جانب انتشرت من جانب والله لكأني أنظر اليكم وقد
حمى الوطيس لقد انفرجتم عن علي انفراج الرأس وانفراج
المرأة عن قبلها . فقام اليه الاشعث بن قيس الكندي فقال :
يا أمير المؤمنين أفهلا فعلت كما فعل عثمان قال له علي ويلك وكما
فعل عثمان رأيته فعلت عائداً بالله من شر ما تقول والله ان
الذي فعل عثمان للخزاة علي من لادين له ولا حجة معه فكيف
وأنا على بينة من ربي والحق معي والله ان امرءاً أمكن عدوه
من نفسه فهش عظمه وسفك دمه لعظيم عجزه وضعيف قلبه
أنت يا ابن قيس فكن ذلك فأما أنا فوالله دون أعطي ذلك
ضرباً بالمشرقي يطير له فراش الرأس وتطيح منه الاكف
والمعاصم وتجد به الغلاصم ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء والله
يا أهل العراق ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام الا ظاهرين

(١٦١)

عليكم، فقالوا أبعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: نعم والذي
 فلق الحبة وبرأ النسمة اني أرى أمورهم قد علت وأرى أموركم
 قد خبت وأراهم جادين في باطلهم وأراكم وائين في حقكم
 وأراهم مجتمعين وأراكم متفرقين وأراهم لصاحبهم معاوية
 مطيعين وأراكم لي عاصين، أما والله لئن ظهروا عليكم بعدي
 لتجدنهم أرباب سوء كأني أنظر اليكم تكشون
 بلادكم وحملوا الى بلادهم منكم، وكأني أنظر اليكم تكشون
 كشيح الضباب لا تأخذون لله حقاً ولا تمنعون له حرمة
 وكأني أنظر اليهم يقتلون صلحاءكم ويخيفون علماءكم
 وكأني أنظر اليكم يحرمونكم ويحبسونكم ويدنون الناس
 دونكم فلو قد رأيتم الحرمان ولقيتم الذل والهوان ووقع
 السيف ونزل الخوف لندمتم وتحسرتم على تقيطكم في جهاد
 عدوكم وتذكرتم ما أتم فيه من الخفض والعافية حين لا ينفعكم
 التذكار. فقال الناس قد علمنا يا أمير المؤمنين ان قولك كله
 وجميع لفظك يكون حقاً أترى معاوية يكون علينا أميراً؟ فقال
 لا تكرهون إمرة معاوية فان إمرته سلم وعافية فلو قدمات
 رأيتم الرؤوس تندر عن كهولها كأنها الحنظل وعداً كان

٢٤٣

مفمولا ، فأما امرأة معاوية فليست أخاف عليكم شرها ما بعد ما
أدهي وأمر . ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال : إن أمير المؤمنين
أكرمته الله قد أسمع من كانت له اذن واعية وقلب حفيظ ان
الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها حيث نزل
بين أظهركم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير
المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده يفقهكم في الدين ويدعوكم
الى جهاد المحلين ، فوالله لكأنكم صم لا تسمعون وقلوبكم
غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون ، عباد الله أليس انما عهدكم
بالجور والعدوان أمس وقد شمل العباد وشاع في الاسلام
فدو حق محروم ومشتوم عرضه ومضروب ظهره وملطوم
وجهه وموطوء بطنه وملقى بالعرأء فلما جاءكم أمير المؤمنين
صدع بالحق ونشر بالعدل وعمل بالكتاب فاشكروا نعمة
الله عليكم ولا تتولوا مجرمين ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
وهم لا يسمعون ، اشحذوا السيوف وجددوا آلة الحرب واستعدوا
للجهاد فاذا دعيتم فأجيبوا واذا أمرتم فأطيعوا تكونوا بذلك
من الصادقين . قال ثم قام رجال من أصحاب علي فقالوا : يا أمير
المؤمنين أعط هؤلاء هذه الاموال وفضل هؤلاء الاشراف

من العرب وقريش على الموالي ممن يخوف خلافه على الناس وفراقه وانما قالوا له هذا الذي كان معاوية يصنعه بمن أتاه وانما عامة الناس همهم الدنيا ولها يسعون وفيها يكدحون فاعط هؤلاء الاشراف فاذا استقام لك ماتريد عدت الى أحسن ما كنت عليه من القسم . فقال عليّ أتأمروني ان أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الاسلام فوالله لا أفعل ذلك ملاح في السماء نجم، والله لو كان لهم مال لسويت بينهم فكيف وانما هي أموالهم . فقال رجل يا أمير المؤمنين ان الموت نازل لا بد منه فان حل فمن صاحبنا؟ فقال عليّ أحدثك عن خاصة نفسي أما الحسن فصاحب خوان وفتى من الفتيان ولو قد التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم في الحرب حثالة عصفور، وأما ابن أخي عبد الله بن جعفر فصاحب لهو، وأما الحسين ومحمد أبنائنا فانا منهم وهما مني، والله لقد أحبيت ان يدال هؤلاء القوم عليكم باصلاحهم في ارضهم وفسادكم في ارضكم وادائهم الامانة لمعاوية وخيانتكم وبطاعتهم له ومعصيتكم لي واجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم . وايم الله لا يدعوا بعدي محرماً الا استحلوه ولا يبق بيت وبر ولا مدر الا أدخلوه

٢٤٥

ظلمهم حتي يقوم البا كيان منكم باك لدينه وبالك لديناه ،وحتي تكون نصرة أحدكم كنصرة العبد لسيده اذا شهدأطاعه واذا غاب سبه . فقال رجل يأمر المؤمنين اتظن ذلك كائنا قال ما هو بالظن ولكنه باليقين .

﴿ ما كتب علي لاهل العراق ﴾ قال فقام حजर بن عدي وعمر و بن الحنق وعبد الله بن وهب الراسبي فدخلوا علي علي فسألوه عن أبي بكر وعمر ما تقول فيهما وقالوا بين لنا قولك فيهما وفي عثمان قال علي كرم الله وجهه أو قد تفرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي فيها قد قتلت اني مخرج اليكم كتاباً أنبئكم فيه ما سألتوني عنه فاقرؤه علي شيعتي فاخرج اليهم كتاباً فيه: أما بعد فان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نذيراً للعالمين وأميناً علي التنزيل وشهيداً علي هذه الامة وانتم يا معشر العرب علي غير دين وفي شر دار تسفكون دماءكم وتقتلون اولادكم وتقطعون ارحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل فمن الله عليكم فبعث محمداً اليكم بلسانكم فكنتم أنتم المؤمنون وكان الرسول فيكم ومنكم تعرفون وجهه ونسبه فعلمكم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وأمركم بصلة

الرحم وحقن الدماء واصلاح ذات بينكم وأن تؤدوا الامانات الى أهلها وان توفوا بالعهد وان تعاطفوا وتبادروا وتراحموا ونهاكم عن التظالم والتحاسد والتقاذف والتباغي وعن شرب الحرام وعن بخس المسكيات والميزان ، وتقدم اليكم فيما أنزل عليكم ان لاتزنوا ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلماً فكل خير يبعدكم عن النار قد حضكم عليه وكل شر يبعدكم عن الجنة قد نهاكم عنه فلما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدته من الدنيا توفاه الله وهو مشكور سعيه مرضى عمله مغفور له ذنبه شريف عند الله نزل به في الممات مصيبة خست الاقربين وعمت المؤمنين ! فلما مضى تنازع المسلمون الامر بمدته فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر على بالي ان العرب تعدل هذا الامر عني فمارعني الاقبال الناس على أبي بكر واجفاهم عليه فأمسكت يدي ورأيت أنني أحق بمقام محمد في الناس ممن تولى الامور علي فلبثت بذلك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى محو دين محمد وملة ابراهيم عليهما السلام فخشيت ان لم انصر الاسلام وأهله ان أرى في الاسلام ثلماً وهدماً تكون المصيبة به على أعظم من قوة ولاية أمركم التي انما هي

٢٤٧

متاع ايام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، فشيت
عند ذلك الى أبي بكر فبايعته ونهضت معه في تلك الاحداث
حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هي العليا وان يرغم الكافرون .
فتولى أبو بكر رضي الله عنه تلك الامور فيسر وسدد وقارب
واقصد فصعبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا فلما
احتضر بعث الى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وبايعنا وناصحنا فتولى
تلك الامور فكان مرضى السيرة ، يمون النقية ايام حياته ، فلما
احتضر قلت في نفسي ليس يصرف هذا الامر عني فجعلها
عمر شوري وجعلني سادس ستة فما كانوا لولاية احد منهم
باكره منهم لولايتي لانهم كانوا يسمعونني وانا احاجج أبا بكر
فاقول يا معشر قريش انا أحق بهذا الامر منكم ما كان منا من
يقرأ القرآن ويعرف السنة نخشوا ان وليت عليهم ان لا يكون
لهم في هذا الامر نصيب فبايعوا اجتماع رجل واحد حتى صرفوا
الامر عني لعثمان فاخرجوني منها رجاء أن يتداولوها حين يئسوا
ان ينالوها ثم قالوا لي هلم فبايع عثمان والا جاهدناك فبايعت
مستكرها وصبرت محتسبا وقال قائلهم انك يا ابن أبي طالب
على الامر لحريص قلت لهم انتم أحرص أما انا اذ طلبت ميراث

ابن أبي وحقه وأنتم دخلتم يدي وبينه وتصرفون وجهي دونه
 اللهم اني استعين بك على قریش فانهم قطعوا رحمي وصغروا
 عظيم منزلتي وفضلي واجتمعوا على منازعتي حقاً كنت اولی
 به منهم ثم قالوا اصبر كدّاً وعش متأسفاً فنظرت فاذا ليس معي
 رفاقة ولا مساعد الا اهل بيتي فضننت بهم عن الهلاك
 فاغضيت عيني عن القذى وتجرعت ريقی على الشجا وصبرت
 من كظم الفيظ على امرء من العلقم طعماً وآلم للقلب من حر
 الحديد، حتي اذا نقتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جثتموني
 اتبايعوني فأبيت عليكم وايتم عليّ فنازعتموني وافستموني ولم
 امد يدي تمنعاً عنكم ثم ازدحمت علي حتي ظننت ان بعضكم
 قاتل بعض او انكم قاتلي وقتلتم لا نجد غيرك ولا نرضي الا بك
 فبايعنا لا نفرق ولا نختلف فبايعتكم ودعوتم الناس الى بيعتي
 فمن بايع طائماً قبلت منه ومن ابى تركته فاول من بايعني
 طلحة والزبير ولواً يا ما اكرهتهما كالم اكره غيرهما فما لبثا
 الا يسيراً حتي قيل لي قد خرجا متوجهين الى البصرة في جيش
 ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة، فقاموا
 على عمالي بالبصرة وخزائن بيوت اموالي وعلى اهل مصر وكلهم

٢٤٩

في طاعتي وعلى شيعتي فشتتوا كلمتهم وافسدوا على جماعتهم ثم
 وثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدرًا وطائفة صبرًا وطائفة عصراً
 بأسياً فهم فزار بهم حتي لقوا الله صابرين محتسبين فوالله لو لم
 يصيبوا منهم الا رجلاً واحداً متعمدين لقتله لحل لي بذلك قتل
 الجيش كله مع انهم قد قتلوا من المسلمين اكثر من العدة التي
 دخلوا عليهم بها فقد ادال الله منهم فبعداً للقوم الظالمين، ثم نظرت
 بعد ذلك في أهل الشام فاذا هم اعراب واحزاب وأهل طمع
 جفات طغام تجمعوا من كل أوب ممن ينبغي ان يؤدب ويؤلى عليه
 ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار ولا من التابعين
 باحسان فسرت اليهم ودعوتهم الى الجماعة والطاعة فابوا الاشقاكا
 ونفاقاً ونهضوا في وجوه المهاجرين والانصار والتابعين باحسان
 ينضحونهم بالنبل ويشجونهم بالرماح فهناك نهضت اليهم
 فقاتلتهم فلما عضهم السلاح ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف
 يدعونكم الى ما فيها فنبأتكم انهم ليسوا بأصحاب دين ولا
 قرآن وانما رفعوها اليكم خديعة ومكيدة فامضوا على قتالهم؛
 فاهتموني وقتلهم اقبل منهم فانهم ان اجابوا الى ما في الكتاب
 جامعونا على ما نحن عليه من الحق وان ابوا كان أعظم لحجتنا

عليهم ، فقبلت منهم وخففت عنهم وكان صلحي بينهم على رجلين .
 حكيمين يحيان ما أحيى القرآن ويميتان ما أمات القرآن فاختلف
 رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا حكم القرآن وخالفا ما في الكتاب
 واتبعا هواهما بغير هدى من الله فجنبهما الله السداد واهوى
 بهما في غمرة الضلال وكانا أهل ذلك فانخذلت عنا فرقة منهم
 فتركناهم ما تركونا حتى اذا عاثوا في الارض مفسدين وقتلوا
 المؤمنين أتيناهم فقلنا لهم ادفعوا الينا قتلة اخواننا فقالوا كلنا
 قتلهم وكلنا استحللنا دماءهم ودماءكم وشدت علينا خيلهم ورجالهم
 فصرعهم الله مصارع القوم الظالمين . ثم أمرتكم ان تمضوا
 من فوركم الى عدوكم فانه أفزع لقلوبهم وأهلك لمكرهم
 واهتك لكيدهم فقاتم كلت أذرعنا وسيوفنا ونفدت نبالنا
 ونصلت أسنة رماحنا فأذن لنا فلترجع حتى نستعد بأحسن
 عدتنا واذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا ومن قد
 فارقنا فان ذلك قوة منا على عدونا فاقبائتم حتى اذا اطلتم على الكوفة
 أمرتكم ان تلزموا معسكركم وتضموا قواصيكم وتتوطنوا على
 الجهاد ولا تكثروا زيارة اولادكم ونسائكم فان ذلك يرق
 قلوبكم ويلويكم وان أصحاب الحرب لا يتوحدون ولا

٢٥١

يتوجعون ولا يسأمون من سهرليلهم ولا من ظمأ نهارهم ولا
من نخص بطونهم حتي يدركوا بشارهم وينالوا بغيتهم ومطلبهم
فزلت طائفة منكم معي معذرة ودخلت طائفة منكم المصر
عاصية فلا من نزل معي صبرقتبت ولا من دخل المصر عادالى،
ولقد نظرت الى عسكري وما فيه معي منكم الا خمسون
رجلا فلما رأيت ما أتيتم دخلت اليكم فما قدرتم ان تخرجوا معي
الى يومكم هذا، لله أبأؤكم فما تنتظرون اما ترون الى أطرافكم قد
انتقصت والى مصركم قد افتتح فما بالكم تؤفكون، الا ان القوم
قد اجتمعوا وجدوا وتناصحوا وإنكم تفرقتم واختلتم وتغاشستم
فأنتم ان اجتمعتم تسعدون، فايقظوا رحمتكم الله نائمكم وتحرزوا
لحرب عدوكم انما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء من أسلم كرها
وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرباء، أعداء السنة والقرآن
وأهل الاحزاب والبدع والاحداث ومن كانت بوائقه تنقى
وكان عن الدين منحرفا واكلة الرشا وعبيد الدنيا لقد نعى الى
ان ابن الباغية لم يبايع معاوية حتى شرط عليه ان يؤتیه أتاوة
هي أعظم مما في يديه من سلطانه، فصفرت يد هذا البائع
دينه بالدنيا وتربت يد هذا المشتري نصرة غادر فاسق بأموال

الناس وان منهم لمن شرب فيكم الخمر وجلد حدا في الاسلام،
فهؤلاء قادة القوم ومن تركت ذكر مساويه منهم شر وأضر
وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لظهروا فيكم الغضب والفخر
والتسلط بالجبروت والتطاول بالغضب والفساد في الارض
ولا تبعوا الهوى وحكموا بالرشا وأتم على ما فيكم من تخاذل
وتوا كل خير منهم واهدي سبيلا، فيكم الحكماء والعلماء
والفقهاء وحملوا القرآن والمتهجدون بالاسحار والعباد والزهاد
في الدنيا وعمار المساجد وأهل تلاوة القرآن أفلا تسخطون
وتنقمون ان ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والاراذل
والاشرار منكم، اسمعوا قولي اذا قلت وأطيعوا أمري اذا
أمرت واعرفوا نصيحتي اذا نصحت واعتقدوا حزبي اذا
حزمت والتزموا عزمي اذا عزمتم وانهضوا النهوض وقارعوا
من قارعت ولئن عصيتموني لا ترشدوا ولا تجتمعوا، خذوا
للحرب أهبتها وأعدوا لها التهيؤ فانها قد وقدت نارها وعلا
سناها وتجرد لكم فيها الظالمون كما يطفؤا نور الله ويقهروكم،
عباد الله الا انه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء
بأولى في الجسد في غيهم وضلالهم وباطلهم من أهل التزامه

٢٥٣

والحق والاخبار بالجد في حقهم وطاعة ربهم ومنا صحة امامهم ،
 انى والله لو لقيتهم وحيداً منفرداً وهم في أهل الارض ان
 باليت بهم أو استوحشت منهم إني في ضلالهم الذى هم
 فيه ، والهدى الذى أنا عليه لعل بصيرة و يقين وبينه من ربي
 واني للقاء ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج ولكن أسفاً
 يعتريني وجزعا يرينى من ان يلى هذه الامة سفهاؤها وفجارها
 فيتخذون مال الله دولا وعباد الله خو لا والصالحين حربا
 والقاسطين حزبا ، وأيم الله لولا ذلك ما كثرت تأليبكم وجمعكم
 وتحريضكم ولتركتكم فوالله انى لعل الحق واني للشهادة
 لمحب انا نافر بكم ان شاء الله فانفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا
 بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ان الله مع الصابرين
 ﴿ مقتل على عليه السلام ﴾ قال المدائني حجج ناس من
 الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل على وعامل معاوية
 فاصطالح الناس على شبيب بن عثمان فلما انقضى الموسم أقام نفر
 من الخوارج مجاورين بمكة فقالوا كان هذا البيت معظما في
 الجاهلية جليل الشأن في الاسلام وقد أنهك هؤلاء حرمة
 فلوان قوما شروا أنفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد افسده

في الارض واستحلا حرمة هذا البيت استراحت الامة واختار
الناس لهم اماماً. فقال عبدالرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله أنا
اكفيكم أمر عليّ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي وهو البرك
أنا أقتل معاوية فقال زاذويه مولى بني العنبر واسمه عمرو بن بكر
والله ما عمرو بن العاص بدونها فأنابه . فتعاقدوا على ذلك ثم
اعتمروا عمرة رجب واتفقوا على يوم واحد يكون فيه وقوع
القتل منهم في عليّ ومعاوية وعمرو ثم سار كلّ منهم في طريقه
فقدم ابن ملجم الكوفة وكنم أمره وتزوج امرأة يقال لها
قطام بنت علقمة وكانت خارجية وكان عليّ قد قتل أخاه في حرب
الخوارج وتزوجها عليّ ان يقتل عليا^(١) فاقام عندها مدة فقالت
له في بعض الايام وهو مختف: لطالما أحبيت المكث عند أهلِكَ
وأضربت عن الامر الذي جئت بسببه فقال ان لي وقتاً واعدت
فيه أصحابي ولن اجاوزه فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه خرج

(١) يروى انه خطبها فقالت لا أتزوجك حتى تشتفي لي . فقال وما
تريدن قالت ثلاثة آلاف وعبداً وقينة وقتل عليّ . فقال والله ما جاءني
الا قتل عليّ فلك ما سألت وخرج من عندها يقول :

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب عليّ بالحسام المصمم
فلامهراً غلاماً من عليّ وان غلاماً * ولافتك الادون فتك ابن ملجم

عدو الله ففقد لعل حين خرج لصلاة الصبح صبيحة نهار الجمعة ليلة عشر بقيت من رمضان سنة أربعين فلما خرج على للصلاة وثب عليه وقال الحكم لله لا لك يا علي وضربه على قرنه بالسيف فقال علي فزت ورب الكعبة ثم قال لا يفوتكم الرجل فشد الناس عليه فاخذوه وكان علي رضي الله عنه شديد الادمة ثقيل العينين ضخم البطن أصابع ذا عضلات في أذنيه شعر يخرج منها وكان إلى القصر أقرب . وكان ابن ملجم يعرض سيفه فاذا أخبر أن فيه عيباً أصلحه فلما قتل علياً قال لقد أحدثت سيئاً بكذا وكذا وسميته بكذا وضربت به علياً ضربة لو كانت باهل المصر لانت عليهم . وروى عن الحسن أنه قال أتيت أبي فقال لي أرت الليلة ثم ملكتنى عني فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللد (١) فقال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم خيراً لي منهم وابدلهم بي شراً لهم مني وخرج إلى الصلاة فاعترضه ابن ملجم ، وأدخل ابن ملجم عليّ بعد ضربه إياه فقال اطيوا طعامه وألبنوا فراشه فإن أعش فانا ولي دمي إما عفوت وإما اقتصصت

(١) الأود العوج واللد الخصومات

وان امت فالحقوه بي ولا تمتدوا ان الله لا يحب المعتدين^(١)
قالوا وبكت أم كلثوم وقالت لابن ملجم ياعدو الله قتلت
أمير المؤمنين قال ما قتلت أمير المؤمنين ولكني قتلت أباك قالت
والله اني لا رجو الا يكون عليه بأس قال : ولم تبكين اذا؟
والله لقد أرهفت السيف ونفيت الخوف وجبت الاجل
وقطعت الامل وضربت ضربة لو كانت باهل المشرق لاتت
عليهم . ومكث علي يوم الجمعة ويوم السبت وتوفي ليلة الاحد
وغسله الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر
وكفن في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص وصلى عليه الحسن ابنه
ودفن في قصر الإمارة بالكوفة وغمي قبره مخافة ان تنبشه
الخوارج وقيل انه نقل بعد صلح معاوية والحسن الى المدينة
واخذ ابن ملجم فقطعت يديه ورجليه واذنيه وأنفه وأتوايقطعون
لسانه فصرخ فقيلا له قد قطعت منك أعضاء ولم تنطق فلما

(١) ويروى انه لما دخل عليه قال أي عدو الله ما حملك على هذا قال شحذته
اربعين صباحاً وسألت الله ان يقتل به شر خلقه . فقال : لا اراك الا مقتولا
به ولا اراك الا من شر خلق الله ثم قال : النفس بالنفس ان هلكت
فاقتلوه كما قتلتني ولا تمثلن بالرجل فقد سمعت رسول الله يقول : اياكم والمثلة

أتوا يقطعون لسانك صرخت قال اني أذكر الله به فلم يسهل على قطعه ثم قتلوه بعد هذه المثلة . وكانت خلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر . وكان عمره ثلاثا وستين سنة . وأما البرك فانه انطلق ليلة ميعادهم فمعد لمعاوية فلما خرج لصلاة الصبح شد عليه سيفه فأدبر معاوية فضرب راثقة الية فقلقها ووقع السيف في لحم كثير وأخذ فقال لمعاوية ان لك عندي خبراً ساراً قد قتل الليلة عليّ وحديثه الحديث وعولج معاوية فبرئ وأمر بقتل البرك وقيل ضرب البرك معاوية وهو ساجد فمذاك جعل الحرس على رؤس الخلفاء واتخذ معاوية المقصورة . وأما الثالث فقصد عمرو بن العاص ليلة الميعاد فلم يخرج تلك الليلة لعله وجدها في بطنه وصلى بالناس خارجة بن جزافة المدوي فشد عليه الخارجي وهو يظن انه ابن العاص فقتله وأخذ فأتى به عمرو ابن العاص فلما رآه قال ومن المقتول قالوا خارجة فقال أردت عمراً وأراد الله خارجة ثم قال لعمرو بن العاص الحديث وما كان من اتفاه مع صاحبيه فأمر بقتله . فلما قتل عليّ تداعى أهل الشام الى بيعة معاوية وقال له عبد الرحمن بن خالد بن الوليد نحن المؤمنون وأنت أميرنا فبايعوه وهو بايليا لخمس

ليال خلون من شوال سنة أربعين * فصل * روى عن النبي عليه السلام انه قال: يا علي : أتدري من أشقى الاولين والآخريين قال الله ورسوله اعلم قال اشقى الاولين عاقر الناقة واشقى الآخريين الذي يطعنك يا عليّ وأشار الى حيث طعن قال وخرج علي في ليلة قتل وهو يقول :

أشد حيازيمك للموت * فان الموت لا فيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حلّ بواديكا
وقال الشاعر في قتل ابن ملجم علياً :

تضمن للآثام لا دردره * ولاقى عقابا غير مامتصرم
فلامهر أغلامن على وان غلا * ولا فتك الادون فتك ابن ملجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم
قال هبيرة بن شريم: سمعت الحسن رضي الله عنه يخطب
فذكر أباه وفضله وسابقته ثم قال والله ما ترك صفراً ولا بيضاً
الا سبعة مائة درهم فضلت من عطائه أراد ان يشتري بها خادماً .
وجاء رجل من مراد الى علي فقال له يا أمير المؤمنين احترس
فان هنا قوما يريدون قتلك فقال ان لكل انسان ملائكة
يحفظانه فاذا جاء القدر خليانه . قيل ولما ضرب علي دعى

٢٥٩

أولاده وقال لهم : عليكم بتقوى الله وطاعته وألا تأسوا على ما صرف عنكم منها وانهمضوا الى عبادة ربكم وشمروا عن ساق الجد ولا تشاقلوا الى الارض وتقرأوا بالخسف وتبؤا بالذل اللهم اجمعنا واياهم على الهدى وزهدنا واياهم في الدنيا واجعل الآخرة خيراً لنا ولهم من الاولى والسلام

﴿ بيعة الحسن بن علي رضي الله عنه لمعاوية ﴾ قال وذكروا انه لما قتل علي بن أبي طالب ثار الناس الى الحسن بن علي بالبيعة فلما بايعوه قال لهم تبائعون لي علي السمع والطاعة وتحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت فلما سمعوا ذلك ارتابوا وأمسكوا ايديهم وقبض هو يده فاتوا الحسين فقالوا له ابسط يدك نبايعك علي ما بايعنا عليه اباك وعلى حرب المحلين الضالين أهل الشام فقال الحسين معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حياً قال فانصرفوا الى الحسن فلم يجدوا بداً من بيعته على ما شرط عليهم فلما تمت البيعة له وأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك كاتب معاوية فاتاه نخلا به فاصطلح معه على ان لمعاوية الامامة ما كان حياً فاذا مات فالامر للحسن فلما تم صلحهما صعد الحسن الى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ان

٢٦٠

الله هدي أولكم باولنا وحقن دمائكم بأخرنا وكانت لي في
 رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسلمون من سلمت وقد
 سلمت معاوية وبايعته فبايعوه وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع
 الى حين وأشار الى معاوية ﴿ انكار سليمان بن صرد ﴾ قال
 وذكروا انه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق وانصرف راجعا الى
 الشام اتاه سليمان بن صرد وكان غائبا عن الكوفة وكان سيد
 أهل العراق ورأسهم فدخل على الحسن فقال السلام عليك
 يا مذل المؤمنين فقال الحسن وعليك السلام اجلس لله أبوك
 قال فجلس سليمان فقال : أما بعد فانت تعجبنا لا ينقضى من
 بيعتك معاوية ومعك مائة الف مقاتل من أهل العراق وكلهم
 يأخذ العطاء مع مثلهم من ابنائهم ومواليهم سوي شيعتك من
 أهل البصرة وأهل الحجاز ثم لم تأخذ لنفسك بقية في العهد
 ولا حظاً من القضية فلو كنت اذ فعلت ما فعلت واعطاك
 ما أعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق كنت كتبت عليك
 بذلك كتابا وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب
 ان هذا الامر لك من بعده كان الامر علينا أيسر ولكنه
 أعطاك هذا فرضيت به من قوله ثم قال وزعم على رؤس الناس

٢٦١

ما قد سمعت اني كنت شرطت لقوم شروطاً ووعدتهم عدات
ومنيتهن أمانى ارادة اطفاء نار الحرب ومداراة لهذه الفتنة اذ
جمع الله لنا كلمتنا وإلقتنا فان كل ما هنالك تحت قدمي هاتين
ووالله ما أعني بذلك الا نقض ما بينك وبينه فاعد للحرب
خدعة وأذن لي أشخص الى الكوفة فاخرج عامله منها واظهر
فيها خلعه وانبذ اليه على سواء ان الله لا يهدي كيد الخائنين. ثم
سكت فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته وكلهم يقول
ابعث سليمان بن صرد وابعثنا معه ثم الحقنا اذا علمت انا قد
أشخصنا عامله وأظهرنا خلعه فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال: أما
بعد فانكم شيعتنا وأهل مودتنا ومن نعرفه بالنصيحة والصحبة
والاستقامة لنا وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنت بالحزم في أمر
الدنيا وللدنيا اعمل وانصب ما كان معاوية بأبأس مني بأساً
وأشد شكية ولكان رأيي غير ما رأيتم ولكنني اشهد الله واياكم
اني لم ارد بما رأيتم الا حقن دماءكم واصلاح ذات بينكم
فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلموا الامر لله والزموا بيوتكم
وكفوا أيديكم حتى يستريح برأويستراح من فاجر مع ان أبي
كان يحدثني ان معاوية سيلي الامر فوالله لو سرنا اليه بالجلال

والشجر ما شككت انه سيظهر ان الله لا يعقب لحكمه ولا راد
 لقضائه، وأما قولك يا مذل المؤمنين فوالله لئن تذلوا وتعافوا أحب
 الي من ان تعزوا وتقتلوا فان رد الله علينا حقنا في عافية قبلنا
 وسألنا الله العون على أمره وان صرفه عنا رضىنا وسألنا الله
 أن يبارك في صرفه عنا فليكن كل رجل منكم حاسماً من أحلاس
 بيته ما دام معاوية حياً فان يهلك ونحن وأنتم أحياء سألنا الله
 العزيمة على رشدنا والمهونة على أمرنا وان لا يكلنا الى انفسنا
 فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

﴿ كراهية الحسين رضى الله عنه للبيعة ﴾ قال ثم خرج
 سليمان بن صرد من عنده فدخل على الحسين فعرض عليه ما
 عرض على الحسن واخبره بما رد عليه الحسن فقال الحسين
 ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية
 حياً فانها بيعة كنت والله لها كارها فان هلك معاوية نظرنا
 ونظرتم ورأينا ورأيتم. ﴿ ما أشار به المغيرة بن شعبة على معاوية
 من البيعة ليزيد ﴾ قال وذكروا انه لما استقامت الامور لمعاوية
 استعمل على الكوفة المغيرة بن شعبة ثم هم ان يعزله ويولى سعيد
 ابن العاص فلما بلغ ذلك المغيرة قدم الشام على معاوية فقال

٢٦٣

يأمر المؤمنين قد علمت ما لقيت هذه الأمة من الفتنة والاختلاف وفي عنقك الموت وأنا أخاف إن حدث بك حدث أن يقع الناس في مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان فاجعل للناس بعدك علما يفرعون اليه واجعل ذلك يزيد ابنك . فدخل معاوية على امرأته فاختة بنت قرطة بن حبيب بن عبد شمس وكان ابنها منه عبد الله بن معاوية وقد كان بلغها ما قال المغيرة وما أشار به عليه من البيعة ليزيد وكان يزيد بن الكلبي مسرورة ابنة عبد الرحمن بن بجلد الكلبي . فتالت فاختة وكانت معادية للكلبي ما أشار به عليك المغيرة أراد أن يجعل لك عدواً من نفسك يتمنى هلاكك كل يوم فشق ذلك على معاوية ثم بداله أن يأخذ بما أشار عليه المغيرة

﴿ ما حاول معاوية في بيعة يزيد ﴾ قال فلما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار بدمشق وفيهم الأحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري فقال له: إذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظاتي وكلامي فاستأذني للقيام فاذا أذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذي يحق له عليك من حسن الثناء عليه ثم ادعني الى توليته من بعدي فاني قد

رأيت واجعت على توليته فاسأل الله في ذلك وفي غيره الخيرة
وحسن القضاء. ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن
مسعدة الفزاري وثور بن معن السلمي وعبد الله بن عصام
الاشعري فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحاك وإن يصدقوا
قوله ويدعوه إلى يزيد

﴿ ماتكم به الضحاك بن قيس ﴾ قال فلما جلس معاوية
على المنبر وفرغ من بعض موعظته وهؤلاء النفر في المجلس
قد قعدوا للكلام قام الضحاك بن قيس فاستأذن في الكلام
فأذن له فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين
وأمتع به إنا قد بلونا الجماعة والالفة والاختلاف والفرقة
فوجدناها المّ لشعثنا وآمنة لسبلنا وحاقنة لدمائنا وعائدة علينا
في عاجل ما نرجوا به الجماعة من الالفة ولا خير لنا أن نترك
سدى والإيام عوج رواجع والله يقول كل يوم هـ وفي شأن
ولسنا ندري ما يختلف به العصران، وأنت يا أمير المؤمنين ميت
كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه نسأل الله تعالى
بك المتاع وقد رأينا من دعة يزيد بن أمير المؤمنين وحسن
مذهبه وقصد سيرته ويمن نقيته مع ما قسم الله له من المحبة

٥٦

في المسلمين والشبه بأمير المؤمنين في عقله وسياسته وشيئته المرضية مادعانا الى الرضا به في أمورنا والقنوع به في الولاية علينا فليوله أمير المؤمنين اكرمهُ الله عهده وليجعله لنا ملجأ ومفرجاً بعده نأوى اليه ان كان كون، فانه ليس أحد أحق بها منه فاعزم على ذلك عزم الله لك في رشدك ووفقك في أمورنا. ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اصلح الله أمير المؤمنين انا قد أصبحنا في زمان مختلفة أهواؤه، قد أحد ودبت علينا سبساؤه واقطوطيت علينا ادواؤه، وأناخت علينا أنباؤه ونحن نشير عليك بالرشاد وندعوك الى السداد، وأنت يا أمير المؤمنين احسننا نظراً، وأثبتنا بصراً ويزيد بن أمير المؤمنين قد عرفنا سيرته وبلونا علانيته ورضينا ولايته وزادنا بذلك انبساطاً وبه اغتباطاً مع ما منحه الله من الشبه بأمير المؤمنين والمحبة في المسلمين فاعزم على ذلك ولا تضق به ذرعاً فالله تعالى يقيم به الأود ويردع به الألدوت آمن به السبل ويجمع به الشمل ويعظم به الاجر ويحسن به الذخر ثم جلس. فقام ثور بن معن السلمى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اصلح الله أمير المؤمنين انا قد أصبحنا في زمان صاحبه مشاغب

وظله ذاهب مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة وأنت يا أمير المؤمنين ميت نسأل الله بك المتاع ويزيد بن أمير المؤمنين أقدمنا شرفاً وابدلنا عرفاً وقد دعانا الى الرضابه والقنوع بولايتيه والحرص عليه والاختيار له ما قد عرّفنا من صدق لسانه ووفائه وحسن بلائه فاجعله لنا بعدك خلفاً فانه أوسعنا كنفاً وأقدمنا سلفاً، وهورتق لما فتق وزمام لما شعث ونكال لمن فارق وناق وسلم لمن واظب وحافظ للحق أسأل الله لا مير المؤمنين أفضل البقاء والسعادة والخيرة فيما أراد والتوطن في البلاد وصلاح أمر جميع العباد . ثم جلس فقام عبد الله بن عصام فحمد الله واثني عليه ثم قال: اصلى الله أمير المؤمنين وأمتع به انا قد أصبحنا في دنيا منقضية وأهواء منجذمة، نخاف حدها وننتظر جدها، شديد منحدرها كثير وعمرها، شاحخة مراقبها ثابتة مراتبها، صعبة مراقبها، فالموت يا أمير المؤمنين وراءك ووراء العباد لا يخلد في الدنيا أحد ولا يبقى لنا أمد وأنت يا أمير المؤمنين مسؤول عن رعيتك وما خوذ بولايتك وأنت أنظر للجماعة وأعلا عينا بحسن الرأي لاهل الطاعة وقد هديت ليزيد في أكمل الامور وأفضلها رأياً وأجمعها رضا فاقطع يزيد قالة

٢٦٧

الكلام ونخوة المبطل وشعث المنافق وأكبت به الباذخ المعادي فان ذلك ألم للشعث واسهل للوعث فاعزم على ذلك ولا تتراحمى بك الظنون. ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزاري فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ان الله قد آثرك بخلافته واختصك بكرامته وجعلك عصمة لاوليائه وذا نكاية لاعدائه فأصبحت بأنعمه جذلا ولما حملك محتملاً، يكشف الله تعالى بك العمى ويهدي بك العدى ويزيد ابن أمير المؤمنين أحسن الناس برعيتك رأفة وأحقهم بالخلافة بعدك قد ساس الامور وأحكمته الدهور، ليس بالصغير الفهيه ولا بالكبير السفهيه قد احتجن المكارم وارتجى لحمل العظام وأشد الناس في العدو نكاية وأحسنهم صنعا في الولاية وأنت أغني بأمرك واحفظ لو صيتك واحرز لنفسك . اسأل الله لأمير المؤمنين العافية في غير جهد والنعمة في غير تغير . قال فقال معاوية أو كلكم قد أجمع على هذا رأيهم فقالوا كلنا قد أجمع رأيهم على ما ذكرنا قال فأين الاحنف فأجابه قال الاتكلم فقام الاحنف فحمد الله واثنى عليه ثم قال: اصلح الله أمير المؤمنين ان الناس قد أمسكوا في منكر زمان قد سلف

ومعروف زمان مؤتلف ، ويزيد بن أمير المؤمنين نعم الخلف
وقد حلت الدهر أشطره يأمر المؤمنين فاعرف من تسند
إليه الأمر من بعدك ثم اعص أمر من يأمرك لا يغرك
من يشر عليك ولا ينظر لك ، وأنت أنظر للجماعة واعلم
بإستقامة الطاعة مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون
بهذا ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حياً

✽ مارد الضحاك بن قيس عليه ✽ قال فغضب الضحاك
ابن قيس فقام الثانية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اصلح الله
أمر المؤمنين أن أهل النفاق من أهل العراق مروءتهم في
أنفسهم الشقاق والفهم في دينهم الفراق ، يرون الحق على
أهوائهم كأنما ينظرون بأقفائهم اختلوا جهلاً وبطراً لا يرقبون
من الله راقبة ، ولا يخافون وبال عاقبة ، اتخذوا إبليس لهم ربا
واتخذهم إبليس حزبا فمن يقاربوه لا يسروه ومن يفارقوه
لا يضروه فادفع رأيهم يأمر المؤمنين في نحورهم وكلامهم في
صدورهم ماله حسن وذوي الحسن في سلطان الله الذي استخلف
به معاوية في أرضه هيهات لا تورث الخلافة عن كلاله ولا يحجب
غير الذكر العصابة فوطنوا أنفسكم يا أهل العراق على المناصحة

٢٦٩

لِإِمَامِكُمْ وَكَاتِبِ نَيْكِمُ وَصَهْرُهُ^(١) يَسْلِمُ لَكُمْ الْعَاجِلَ وَتَرْجُوْا مِنْ
 الْآجِلِ ثُمَّ قَامَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فَحَمْدَ اللَّهَ وَاتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا قَدْ فَرَرْنَا عَنْكَ قَرِيشًا فَوَجَدْنَاكَ أَكْرَمَ مَهَازِنَدَا
 وَأَشَدَّهَا عَقْدًا وَأَوْفَاَهَا عَهْدًا ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَفْتَحِ الْعِرَاقَ
 عَنْوَةً وَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهَا قَعَصًا وَلَكِنَّكَ أَعْطَيْتَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ
 مِنْ عَهْدِ اللَّهِ مَا قَدْ عَلِمْتَ لِيَكُونَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ فَإِنْ تَفَّ
 فَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَإِنْ تَعَذَّرْتَ تَعْلَمُ وَاللَّهُ أَنْ وَرَاءَ الْحَسَنِ خِيُولًا
 جِيَادًا وَأُذْرَعًا شَدَادًا وَسَيْوْفًا حَدَادًا ، إِنْ تَدْنُ لَهُ شَبْرًا مِنْ
 غَدَرٍ تَجِدُ وَرَاءَهُ بَاعًا مِنْ نَصْرٍ ، وَأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ
 مَا أَحْبَبُوكَ مِنْذُ ابْنِ نُضْلٍ وَلَا أَبْغَضُوا عَلِيًّا وَحَسَنًا مِنْذُ أَحْبَبُوهُمَا
 وَمَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ غَيْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَإِنَّ السَّيُوفَ الَّتِي
 شَهَرُوهَا عَلَيْكَ مَعَ عَلِيٍّ يَوْمَ صَفِّينَ لَعَلِّيْ عَوَاتِقُهُمْ وَالْقُلُوبُ الَّتِي
 أَبْغَضُوكَ بِهَا لِبَيْنِ جَوَانِحِهِمْ وَأَيْمُ اللَّهِ أَنْ الْحَسَنَ لَا حُبَّ إِلَى
 أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ عَلِيٍّ . ثُمَّ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ الثَّقَفِيُّ فَحَمْدَ اللَّهَ
 وَاتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ رَأَى النَّاسُ مُخْتَلَفَ

(١) وَيُرْوَى : وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الدَّعْوَةُ مِنَ الرُّسُولِ حَيْثُ : قَالَ اللَّهُمَّ عَلِمَ
 مَعَاوِيَةَ الْحَسَابَ وَالْكِتَابَ وَقَدْ عَذَابَ فَكَشَفُوا الْحُضْنَ مِنْ طَاعَتِكَ يَسْلِمُ الْخُ

وكثير منهم منحرف لا يدعون أحداً الى رشاد ولا يجيبون
داعياً الى سداد ، مجانبون لرأي الخلقاء مخالفون لهم في السنة
والقضاء وقد وقفت ليزيد في أحسن القضية وأرضائها لحمل
الرعية فاذا خار الله لك فاعزم ثم اقطع قالة الكلام فان يزيد
أعظمنا حلماً وعلماً وأوسعنا كنفاً وخيراً سلفاً، قد أحكمته
التجارب، وقصدت به سبل المذاهب، فلا يصرفك عن بيعته
حصار ولا يقفن بك دونها واقف ممن هو شاسع عاص ينوص
للفتنة كل مناص، لسانه ملتوي وفي صدره داء دوي، ان قال
فسر قائل وان سكت فداء غائل قد عرفت من هم أولئك
وما هم عليه لك من المجانبة للتوفيق والكلف للتفريق فاجل
بيعته عنا النعمة واجمع به شمل الامة فلا تخدعنه اذا هديت له
ولا تنبش عنه اذا وقفت له فان ذلك الرأي لنا ولك والحق علينا
وعليك اسأل الله العون وحسن العافية لنا ولك بمنه . فقام
معاوية فقال :أيها الناس ان لا بليس من الناس اخوانا وخالانا
بهم يستعدواياهم يستعينون وعلى ألسنتهم ينطق إن رجوا طمعا
أو جفوا وان استغني عنهم ارجفوا ثم يلحقون الفتن بالفجور
ويشققون لها حطب النفاق عيابون مرتابون ان لووا عروة أمر

٢٧١

حنقوا وان دعوا الى غي أسرفوا وليسوا أولئك بمنتهين
ولا بمقلعين ولا متعظين حتى تصيبهم صواعق خزي وبيل وتحل
بهم قوارع أمر جليل، تجتث أصولهم كاجتثاث أصول الفقع
فأولى لأولئك ثم أولى فانا قد قدمنا وانذرنا ان أغني التقدم
شيئاً أو نفع النذر. فديعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة وعاد
عبد الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام أبو حنيفة فقال: يا أمير المؤمنين
انا لا نطيق السنة مضر وخطبها أنت يا أمير المؤمنين فان هلك
فيزيد بمدك فمن أبي فهذا وسل سيفه فقال معاوية أنت
أخطب القوم واكرمهم. ثم قام الاحنف بن قيس فقال: يا أمير
المؤمنين أنت^(١) أعلمنا بإيله ونهاره وبسرّه وعلا نيته فان كنت
تعلم أنه خير لك فوله واستخلفه وان كنت تعلم أنه شر لك فلا
تزوّد الدنيا وأنت صائر الى الآخرة فانه ليس لك من الآخرة
الا ما طاب واعلم انه لا حجة لك عند الله ان قدمت يزيد على
الحسن والحسين وأنت تعلم من هما والى ما هما، وانما علينا أن
نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

(١) وروى ان معاوية قال للاحنف ما تقول يا أبا بجر فقال :

نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا وأنت يا أمير المؤمنين أعلمنا. الخ.

﴿ قدوم معاوية المدينة وما خاوض فيه العبادلة ﴾ قالوا
 فاستخار الله معاوية وأعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة
 سنة خمسين فتلقياه الناس فلما استقر في منزله ارسل الى عبدالله
 ابن عباس وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب والي عبدالله بن عمر
 والي عبدالله بن الزبير وأمر حاجبه أن لا يأذن لاحد من الناس
 حتي يخرج هؤلاء النفر فلما جلسوا تكلم معاوية فقال: الحمد لله
 الذي أمرنا بحمده ووعدنا عليه ثوابه نحمده كثيراً كما أنم علينا
 كثيراً وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً
 عبده ورسوله اما بعد: فاني قد كبر سني ووهن عظمي وقرب
 اجلي وأوشكت أن ادعى فاجيب، وقد رأيت ان استخلف
 عليكم بعدي يزيد ورأيتكم لكم رضا وأتم عبادلة قريش وخيارها
 وابناء خيارها ولم يمنعني ان أحضر حسنا وحسينا الا انهما أولاد
 ابيهما على حسن رأيي فيهما وشديد محبتي لهما فردوا على أمير
 المؤمنين خيراً رحمكم الله فتكلم عبد الله بن عباس فقال: الحمد لله
 الذي ألهمنا أن نحمده واستوجب علينا الشكر على آلائه وحسن
 بلائه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً
 عبده ورسوله وصلي الله على محمد وآل محمد: أما بعد فانك قد

٢٧٣

تكلمت فانصتنا وقلت فسمعنا وان الله جل ثناؤه وتقدست
 أسماؤه اختار محمداً صلى الله عليه وسلم لرسالته واختاره لروحيه
 وشرفه على خلقه فأشرف الناس من تشرف به وأولاهم بالامر
 أخصهم به وانما على الامة التسليم لنبينا اذ اختاره الله لها فانه
 انما اختار محمداً بعلمه وهو العليم الخبير وأستغفر الله لي ولكم.
 فقام عبد الله بن جعفر فقال: الحمد لله أهل الحمد ومنتهاهم حمده
 علي الهامنا حمده ونزغب اليه في تأدية حقه وأشهد أن لا اله
 الا الله واحداً صمداً، لم يخذ صاحبة ولا ولداً وان محمداً عبده
 ورسوله صلى الله عليه وسلم: أما بعد فان هذه الخلافة ان
 أخذ فيها بالقرآن فأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب
 الله وان أخذ فيها بسنة رسول الله فأولوا رسول الله وان أخذ
 فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأبي الناس أفضل وأكمل
 وأحق بهذا الامر من آل الرسول. وأيم الله لو ولوه بعد
 نبيهم لوضعوا الامر موضعه لحقه وصدقه ولا طيع الرحمن
 وعصي الشيطان وما اختلف في الامة سيفان فاتق الله يا معاوية
 فانك قد صرت راعياً ونحن رعية فانظر لرعتك فانك مسؤول
 عنها غداً. وأما ما ذكرت من ابني عمي وتركك ان تحضرها

فوالله ماأصبحت الحق ولا يجوز لك ذلك الا بهما وانك لتعلم
 انهما معدن العلم والكرم فقل أودع وأستغفر الله لي ولكم.
 فتكلم عبد الله بن الزبير فقال: الحمد لله الذي عرفنا دينه
 واكرمنا برسوله أحمدته على ما أبلى وأولى وأشهد أن لا اله
 الا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد فان هذه الخلافة
 لقريش خاصة تناولها بما آثرها السنية، وأفعالها المرضية مع
 شرف الآباء وكرم الابناء، فأتق الله يامعاوية وانصف من
 نفسك فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله وهذا
 عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله وأنا عبد الله
 ابن الزبير ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى خلف
 حسناً وحسيناً وأنت تعلم من هما وما هما فاتق الله يامعاوية
 وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك. فتكلم عبد الله بن عمر فقال:
 الحمد لله الذي أكرمنا بدينه وشرفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم
 أما بعد فان هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا
 كسراوية يتوارثها الابناء على الآباء ولو كان كذلك كنت
 القائم بها بعد ابي فوالله ماأدخلني مع الستة من أصحاب
 الشورى الا على أن الخلافة ليست شرطاً مشروطاً وانما هي في

٢٧٥

قريش خاصة لمن كان لها أهلاً ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم
 من كان اتقى وارضى فإن كنت تريد الفتیان من قريش
 فلمعزي ان يزيد من فتياها واعلم انه لا يغني عنك من الله شيئاً.
 فتكلم معاوية فقال: قد قلت وقتلته وانه قد ذهب الآباء وبقيت
 الابناء فابني أحب الي من أبنائهم مع ان ابني ان قالو لتموه وجد
 مقالا وانما كان هذا الامر لبني عبد مناف لانهم أهل رسول
 الله فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى الناس أبا بكر
 وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة غير انهما سارا بسيرة
 جميلة ثم رجع الملك الى بني عبد مناف فلا يزال فيهم الى يوم
 القيامة وقد أخرجك الله يا ابن الزبير وأنت يا ابن عمر منها فأما
 ابنا عمي هذان فليسا بخارجين من الرأي ان شاء الله . ثم أمر
 بالرحلة واعرض عن ذكر البيعة ليزيد ولم يقطع عنهم شيئاً من
 صلاتهم واعطاهم ثم انصرف راجعاً الى الشام وسكت عن
 البيعة فلم يعرض لها الى سنة احدى وخمسين

﴿ موت الحسن بن علي رضي الله عنهما ﴾ قال فلما كانت
 سنة احدى وخمسين مرض الحسن بن علي مرضه الذي مات
 فيه فكتب عامل المدينة الى معاوية يخبره بشكاية الحسن

فكتب اليه معاوية : ان استطعت ان لا يمضي يوم بي يمر الا
يأتيني فيه خبره فافعل فلم يزل يكتب اليه بحاله حتى توفي .
فكتب اليه بذلك فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً
حتى سجد وسجد من كان معه فبلغ ذلك عبد الله بن عباس
وكان بالشام يومئذ . فدخل على معاوية فلما جلس قال معاوية :
يا ابن عباس هلك الحسن بن علي فقال ابن عباس نعم هلك إن الله
وانا اليه راجعون ترجيماً مكرراً وقد بلغني الذي اظهرت من
الفرح والسرور لو فاته اما والله ماسد جسده حفرتك ، ولا زاد
نقصان أجله في عمرك ولقدمات وهو خير منك ، ولئن اصبنا به
لقد اصبنا بمن كان خيراً منه جده رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فخير الله مصيبتته وخلف علينا من بعده احسن الخلافة .
ثم شق ابن عباس وبكى وبكى من حضر في المجلس وبكى معاوية
فما رأيت يوماً اكثر باكياً من ذلك اليوم . فقال معاوية بلغني
انه ترك بنين صغاراً فقال ابن عباس كلنا كان صغيراً فكبر .
قال معاوية كم اتي له من العمر فقال ابن عباس امر الحسن اعظم
من ان يحل احد مولده قال فسكت معاوية يسيراً ثم قال يا ابن
العباس أصبحت سيد قومك من بعده فقال ابن عباس اماماً

أبى الله أبا عبد الله الحسين فلا . قال معاوية لله أبوك يا ابن عباس
ما استنبأتك ألا وجدت لك معداً .

﴿ بيعة معاوية ليزيد بالشام واخذه أهل المدينة ﴾ قالوا ثم لم
يأبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله إلا يسيراً حتى بايع
ليزيد بالشام وكتب بيعته إلى الآفاق وكان عامه على المدينة
مروان بن الحكم فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه
من بيعة يزيد ويأمره بجمع من قبله من قريش وغيرهم من
أهل المدينة ثم ليبايعوا ليزيد

﴿ عزل مروان عن المدينة ﴾ قال فلما قرأ مروان كتاب
معاوية أبى من ذلك وأبته قريش فكتب لمعاوية : إن قومك قد
أبوا اجابتك إلى بيعتك ابنك فأرني رأيك . فلما بلغ معاوية كتاب
مروان عرف ذلك من قبله . فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله
ويخبره أنه قد ولي المدينة سعيد بن العاص فلما بلغ مروان كتاب
معاوية أقبل مغاضباً في أهل بيته وناس كثير من قومه حتى نزل
بأخواله بني كنانة فشكا إليهم وأخبرهم بالذي كان من رأيه في أمر
معاوية وفي عزله واستخلافه يزيد ابنه عن غير مشورة مبادرة
له فقالوا : نحن نملك في يدك وسيفك في قرابك فمن زميته بنا

أصبناه ومن ضربته بنا قطعناه، الرأي رأيك ونحن طوع
 يمينك . ثم أقبل مروان في وفد منهم كثير ممن كان معه من
 قومه وأهل بيته حتى نزل دمشق فخرج فيهم حتى أتى سدة
 معاوية وقد أذن للناس . فلما نظر الحاجب إلى كثرة من
 معه من قومه وأهل بيته منعه من الدخول فوثبوا إليه فضربوا
 وجهه حتى خلى عن الباب ثم دخل مروان ودخلوا معه حتى
 إذا كان من معاوية بحيث ثاله يده قال بعد التسليم عليه بالخلافة:
 إن الله عظيم خطره لا يقدر قادر قدره خلق من خلقه عبداً جعلهم
 لدعائهم دينه أوتاداً ، هم رقباؤه على البلاد وخلفاؤه على العباد
 أسفر بهم الظلم وألف بهم الدين وشدد بهم اليقين ، ومنع بهم
 الظفر ووضع بهم من استكبر ، فكان من قبلك من خلفائنا
 يعرفون ذلك في سالف زماننا وكنا نكون لهم على الطاعة
 أخوانا وعلى من خالف عنها أعوانا يشد بنا العضد ويقام منا
 الأود ونستشار في القضية ونستأمر في أمر الرعية ، وقد أصبحنا
 اليوم في أمور مستخيرة ذات وجوه مستديرة تفتح بازمة
 الضلال وتجلس بأسوأ الرجال ، يؤكل جزورها وتمق أحلابها
 فما لنا لا نستأمر في رضاها ونحن فطامها وأولات فطامها وأئيم

٢٧٩

الله لولا عهود مؤكدة ومواثيق معقدة لاقت أود وليها فاقم
 الامر يا ابن أبي سفيان واهداً من تأميرك الصبيان واعلم ان
 لك في قومك نظراً وان لهم على مناوأتك وزراً، فغضب معاوية
 من كلامه غضباً شديداً ثم كظم غيظه بحلمه واخذ بيد مروان
 ثم قال: ان الله قد جعل لكل شيئاً أصلاً وجعل لكل خير أهلاً
 ثم جعلك في الكرم مني محتداً والعزير مني والدأ، اخترت من
 قروم قادة ثم استللت سيدها فانت ابن ينايع الكرم
 فرحبا بك وأهلاً من ابن عم ذكرت خلفاً مفقودين شهداء
 صديقين كانوا كما نعت وكنت لهم كما ذكرت وقد أصبحنا
 في امور مستخيرة ذات وجوه مستديرة وبك والله يا ابن الم
 نرجو استقامة أودها وذلوله صعوبتها وسفور ظلمتها حتى
 يتطأطأ جسيمها ويركب بك عظيمها فانت نظير أمير المؤمنين
 بعده وفي كل شدة عضده واليك بعده، فقد وليتك قومك
 واعظمتنا في الخراج سهمك وانا مجيز وفدك ومحسن رفدك
 وعلي أمير المؤمنين غناك والنزول عند رضاك، فكان أول
 مارزق الف دينار في كل هلال وفرض له في أهل بيته مائة مائة
 كراهية أهل المدينة البيعة وردهم لها قال وذكروا

ان معاوية كتب الى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره ان يدعو أهل المدينة الى البيعة ويكتب اليه بمن سارع ممن لم يسارع . فلما اتى سعيد بن العاص الكتاب دعا الناس الى البيعة ليزيد واظهر الغلظة وأخذهم بالمزم والشدة وسطا بكل من ابطأ عن ذلك فأبطأ الناس عنها الا اليسير لا سيما بني هاشم فانه لم يحبه منهم احد وكان ابن الزبير من اشد الناس انكاراً لذلك ورداً له . فكتب سعيد بن العاص الى معاوية : اما بعد فانك أمرتني ان ادعو الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين وان اكتب اليك بمن سارع ممن ابطأ واني اخبرك ان الناس عن ذلك بطأ لا سيما أهل البيت من بني هاشم فانه لم يحبني منهم احد وبلغني عنهم ما اكره ، واما الذي جاهر بمداوتة وإيائه لهذا الامر فعبد الله بن الزبير ولست اقوي عليهم الا بالخليل والرجال او تقدم بنفسك فتري رأيك في ذلك والسلام . فكتب معاوية الى عبد الله بن عباس والى عبد الله بن الزبير والى عبد الله بن جعفر والى الحسين بن علي رضي الله عنهم كتباً وأمر سعيد بن العاص ان يوصلها اليهم ويبعث بجواباتها . وكتب الى سعيد بن العاص : اما بعد فقد أتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس

٢٨١

عن البيعة ولا سيما بني هاشم وما ذكر ابن الزبير وقد كتبت
 إلى رؤسائهم كتباً فسلمها إليهم وتيجز جواباتها وإبعث بها إلى
 حتى أرى في ذلك رأيي ولتشدد عزيمتك ولتصلب شكيمتك
 وتحسن نيتك وعليك بالرفق وإياك والخرق فإن الرفق رشد
 والخرق نكد. وانظر حسينا خاصة فلا يناله منك مكروه فإن
 له قرابة وحقا عظيمة لا ينكره مسلم ولا مسلمة وهوليث عرين
 ولست آمنك أن شاورته أن لا تقوى عليه، فإما من يرد مع السباع
 إذا وردت ويكنس إذا كنت فذلك عبد الله بن الزبير فاحذره
 أشد الحذر ولا قوة إلا بالله وأنا أقدم عليك أن شاء الله والسلام.
 وكتب إلى ابن عباس: أما بعد فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة
 يزيد بن أمير المؤمنين وإني لو قتلتك بعثت لكان ذلك إلى
 لأنك ممن ألب عليه واجلب وما معك من أمان فتطمئن به
 ولا عهد فتسكن إليه فإذا أتاك كتابي هذا فخرج إلى المسجد
 والعن قتلة عثمان وبايع عاملي فقد أعذر من أنذر وأنت
 بنفسك أبصر والسلام. وكتب إلى عبد الله بن جعفر: أما
 بعد فقد عرفت أثرتي إياك على من سواك وحسن رأيي فيك
 وفي أهل بيتك وقد أتاني عنك ما أكره فإن بايعت تشكر

وان تأبى تجبر والسلام . وكتب الى الحسن : أما بعد فقد انتهت
الى منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عنها وان أحق الناس
بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك في خطرِكَ وشرفكَ
ومنزلك التي أنزلك الله بها فلا تنازع الى قطيعتك واتق الله
ولا تردن هذه الامة في فتنة وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد
ولا يستخفك الذين لا يوقنون . وكتب الى عبدالله بن الزبير :
رأيت كرام الناس ان كف عنهم * بحلم رأوا فضلا لمن قد تحلما
ولاسيما ان كان عفواً بقدره * فذلك أحرى ان يجل ويعظما
ولست بذى لؤم فتمذر بالذي * أتيت من أخلاق من كان ألوما
ولكن غشاً لست تعرف غيره * وقد غش قبل اليوم ابليس آدماء
فما غش الا نفسه في فعاله * فاصبح ملعوناً وقد كان مكرماً
واني لا خشى أن أنالك بالذي * أردت فيجزى الله من كان أظماً
﴿ ما أجابه القوم به رضي الله عنهم ﴾ فكان أول من أجابه
عبد الله بن عباس فكتب اليه : أما بعد فقد جاءني كتابك
وفهمت ما ذكرت وان ليس معي منك أمان وانه والله مامنك
يطلب الامان يا معاوية وانما يطلب الامان من الله رب العالمين .
وأما قولك في قتلي فوالله لو فعلت للقيت الله ومحمد صلى الله

٢٨٣

عليه وسلم خصمك فما أخاله أفلح ولا أتجح من كان رسول
الله خصمه . وأما ما ذكرت من اني ممن ألبي في عثمان واجلب
فذلك أمر غبت عنه ولو حضرته مانسبت الي شيئا من
التأليب عليه وأيم الله ما أرى أحدا غضب لعثمان غضبي ولا
أعظم أحد قتله اعظامي ولو شهدته لنصرته أو أموت دونه
ولقد قلت وتمنيت يوم قتل عثمان ليت الذي قتل عثمان لقيني
فقتلني معه ولا أبقى بدمه ، وأما قولك لي العن قتلة عثمان فلعثمان
ولد وخاصة وقرابة هم أحق بلعنهم مني فان شاؤا ان يلعنوا
فيلعنوا وان شاؤا ان يمسكوا فليمسكوا والسلام . وكتب اليه
عبدالله بن جعفر : أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت
فيه من أثرتك اياي على من سواي فان تفعل فبحظك أصبت
وان تأبى فبنفسك قصرت وأما ما ذكرت من جبرك اياي
على البيعة ليزيد فاعمري لئن أجبرتني عليها لقد أجبرناك واباك
على الاسلام حتي أدخلنا كما كارهين غير طائعين والسلام .
وكتب اليه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما :

الا سمع الله الذي أنا عبده * فاجزي اله الناس من كان أظلم
واجري على الله العظيم بحلمه * وأسرعهم في الموبقات تقهلا

أغرك انت قالوا حلیم بغرة * وليس بذی حلم ولكن تحلما
 ولورمت ما إن قد زعمت وجدتي * هز برعین یترك القرن اکما
 واقسم لولا بیعة لك لم أكن * لا تقضها لم ینج منی مسلما
 وكتب الیه الحسن رضی الله عنه: أما بعد فقد جاءنی
 کتابك تذکر فیہ انه انتهت الیک غنی أمور لم تكن تظننی
 بها رغبة بی عنها وان الحسنات لا یهدی لها ولا یسدد الیها الا
 الله تعالی وأما ما ذکرته انه رقی الیک غنی فانما رقاہ الملاقون
 المشاؤون بالنمیمة المفرقون بین الجمع وكذب الفاوون المارقون
 ما أردت حربا ولا خلافا وانی لا خشی الله فی ترك ذلك منك
 ومن حزبك القاسطین المحلین حزب الظالم وأعوان الشیطان
 الرجیم . ألت قاتل حجر وأصحابه العابدين المختبین الذین
 كانوا یستفظعون البدع ویأمرون بالمعروف ونهون عن المنکر
 فقتلهم ظلما وعدوانا من بعد ما أعطیهم المواثیق الغلیظة والعهود
 المؤکدة جراءة علی الله واستخفافا بعهده أو لست بقاتل عمرو
 ابن الحمق الذی أخلقت وأبليت وجهه العبادة فقتلته من بعد
 ما أعطیته من العهود مالو فهمته العُصم نزلات من سقف الجبال
 فأولست المدعی زیادا فی الاسلام فزعمت انه ابن أبی سفیان

٢٨٥

وقد قضي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الولد للفراش
 وللماهر الحجر ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطع
 أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل سبحانه
 الله يامعاوية لكأنك لست من هذه الامة وليسوا منك .
 أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب اليك فيه زياد انه على
 دين علي كرم الله وجهه ودين علي هو دين ابن عمه صلى
 الله عليه وسلم الذي اجلسك مجلسك الذي أنت فيه ولولا ذلك
 كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء
 والصيف فوضعها الله عنكم بنامنة عليكم وقلت فيما قلت لا ترد
 هذه الامة في فتنة واني لأعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها
 وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولامة محمد واني والله
 ما أعرف أفضل من جهادك فان أفعل فانه قربة الى ربي وان
 لم أفعله فأستغفر الله لديني واسأله التوفيق لما يحب ويرضى .
 وقلت فيما قلت متي تكدني أككدك فكدني يامعاوية فيما
 بدالك فلمعري لقدما يكيد الصالحون واني لا رجوا ان لا تضر
 الا نفسك ولا تحقق الا عملك فكدني ما بدالك واتق الله
 يامعاوية واعلم ان الله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها .

واعلم ان الله ليس بناس لك قتلك بالظنة وأخذك بالتهمة وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ماأراك الا وقد أوبقت نفسك وأهلكك دينك وأضعت الرعية والسلام

﴿ قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة ﴾ قال وذكروا انه لما جاب القوم معاوية بما جابوه من الخلاف لأمره والكراهية لبيعته ليزيد كتب الى سعيد بن العاص يأمره ان يأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذاً بغاظة وشدة ولا يدع أحداً من المهاجرين والانصار وأبنائهم حتي يبايعوا وأمره ان لا يحرك هؤلاء النفر ولا يهيجهم فلما قدم عليه كتاب معاوية أخذهم بالبيعة أعنف ما يكون من الاخذ وأغلظه فلم يبايعه أحد منهم . فكتب الى معاوية انه لم يبايعني أحد وانما الناس تبع لهؤلاء النفر فلو يابعوك يابعك الناس جميعا ولم يتخلف عنك أحد فكتب اليه معاوية يأمره ان لا يحركهم الى ان يقدم فقدم معاوية المدينة حاجاً فلما ان دنى من المدينة خرج اليه الناس يتلقونه ما بين راكب وماش وخرج النساء والصبيان فلقيه الناس علي حال طاقهم وما تسارعوا به في القوت والقرب فلان لمن كآفهم

٢٨٧

وفافوض العامة بمحادثته وتألفهم جهده مقاربة ومصانعة
ليستميلهم الى ما دخل فيه الناس حتى قال في بعض ما يجتلبهم
به: أهل المدينة ما زلت أطوي الحزن من وعشاء السفر بالحب
لمطالعتكم حتي انظوي البعيد ولان الخشن وحق لجار رسول الله ان
يتاق اليه . فرد عليه القوم بنفسك ودارك ومهاجرك اما ان لك
منهم كاشفاق الحميم البر والحنى قال حتى اذا كان بالجرف لقيه
الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فقال معاوية مرحبا بابن
ينت رسول الله وابن صنو أبيه ثم انحرف الى الناس فقال هذان
شيخا بنى عبد مناف واقبل عليهما بوجهه وحديثه فرحب
وقرب وجعل يواجهه هذا مرة ويضاحك هذا اخرى حتي
ورد المدينة فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلمون
عليه ويسايرونه الى ان نزل فانصرفا عنه . قال الحسين الى منزله
ومضى عبد الله بن عباس الى المسجد فدخله وأقبل معاوية
ومعه خلق كثير من أهل الشام حتي أتى عائشة أم المؤمنين
فاستأذن عليها فأذنت له وحده لم يدخل عليها معه أحد وعندها
مولاهاذ كوان فقالت عائشة يا معاوية أكنت تأمن ان أقعد
لك رجلا فاقتلك كما قتلت اخي محمد بن أبي بكر فقال معاوية

ما كنت لتفعلين ذلك قالت لم قال لاني في بيت آمن بيت رسول الله. ثم ان عائشة حمدت الله وأثنت عليه وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أبا بكر وعمر وحضته على الاقتداء بهما والاتباع لآثرهما ثم صمتت قال فلم يخطب معاوية وخاف ان لا يبلغ ما بلغت فارتجل الحديث ارتجالاً ثم قال أنت والله يا أم المؤمنين العالمة بالله وبرسوله دللتنا على الحق وحضضتنا على حظ أنفسنا وأنت أهل لان يطاع أمرك ويسمع قولك وان أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم وقد أكد الناس بيعتهم في أعناقهم واعطوا عهودهم على ذلك وموآئيقهم افترى ان ينقضوا عهودهم وموآئيقهم فلما سمعت ذلك عائشة علمت انه سيمضي على أمره فقالت : اما ما ذكرت من عهود وموآئيق فاتق الله في هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم فلعلهم لا يصنعون الا ما احببت. ثم قام معاوية فلما قام قالت عائشة يا معاوية قتلت حجرا واصحابه العابدين المجتهدين فقال معاوية دعي هذا كيف انا في الذي بيني وبينك وفي حوائجك؟ قالت صالح قال فدعينا واياهم حتى نلقى ربنا ثم خرج ومعه ذكوان فاتكأ على يد ذكوان وهو يمشي ويقول تالله

ان رأيت كالיום قط خطيباً أبلغ من عائشة بعد رسول الله ثم مضى حتى أتى منزله فارسل الى الحسين بن علي نخلاً به فقال له يا ابن أخي قد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم يا ابن أخي فما أربك الى الخلاف قال الحسين ارسل اليهم فان بايعوك كنت رجلاً منهم والا تكن عجت علي بأمر قال وتفعل قال نعم قال فأخذ عليه ان لا يخبر بحدثهما احداً فخرج وقد أقعد له ابن الزبير رجلاً بالطريق فقال يقول لك اخوك ابن الزبير ما كان فلم يزل به حتي استخرج منه شيئاً قال ثم ارسل معاوية بعده الى ابن الزبير نخلاً به فقال له قد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم يا ابن أخي فما أربك الى الخلاف قال فارسل اليهم فان بايعوك كنت رجلاً منهم والا تكن عجات علي بأمر قال وتفعل قال نعم فأخذ عليه ان لا يخبر بحدثهما احداً، قال فارسل بعده الى ابن عمر فاتاه وخلا به فكلمه بكلام هوألين من صاحبيه وقال اني كرهت ان ادع أمة محمد بعدى كالضأن لا راعي لها وقد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر أنت تقودهم فما أربك الى الخلاف قال ابن عمر: هل لك في امر تحقن به الدماء وتدرك به

٢٩٠

حاجتك فقال معاوية وددت ذلك فقال ابن عمر تبرز سريرتك
ثم اجيء فأبايعك على اني أدخل فيما اجتمعت عليه الامة فوالله
لو ان الامة اجتمعت على عبد حبشي لدخلت فيما تدخل فيه
الامة ، قال وتفضل قال نعم ثم خرج وارسل الى عبد الرحمن ابن
ابي بكر فخلاه قال بأي يد أو رجل تقدم على معصيتي فقال
عبد الرحمن ارجو ان يكون ذلك خيراً لي فقال معاوية والله
لقد هممت ان اقتلك فقال لو فعلت لاتبعك الله في الدنيا
ولادخلك في الآخرة النار ، قال ثم خرج عبد الرحمن بن أبي
بكر وبقي معاوية يومه ذلك يطوي الخواص ويذني بذمة الناس
فلما كان صبيحة اليوم الثاني أمر بفراش فوضع له وسويت
مقاعد الخاصة حوله وتلقاه من أهله ثم خرج وعليه حلة يمانية
وعمامة دكناء وقد اسبل طرفها بين كتفيه وقد تغلف
وتعطر فقعد علي سريرته واجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما
يأمر به وأمر حاجبه ان لا يأذن لاحد من الناس وان قرب .
ثم ارسل الى الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فسبق ابن
عباس فلما دخل وسلم عليه اقعده في الفراش عن يساره فخاضه
ملياً ثم قال: يا ابن عباس لقد وفر الله حظكم من مجاورة هذا القبر

٢٩١

الشریف ودار الرسول علیه السلام فقال ابن عباس نعم أصلح
الله أمير المؤمنين وحظنا من القناعة بالبعض والتجافي عن الكل
أو فر فجعل معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجاورة ويعدل
الى ذكر الاعمار على اختلاف الفرائز والطبائع حتى اقبل الحسين
ابن علي فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه فدخل
الحسين وسلم فاشار اليه فاجلسه عن يمينه مكان الوسادة فسأله
معاوية عن حال بنى اخيه الحسن واسنانهم فاخبره ثم سكت
قال ثم ابتدا معاوية فقال: أما بعد فالحمد لله ولي النعم ومنزل النعم
واشهد ان لا اله الا الله المتعالي عما يقول الملحدون علواً كبيراً
وان محمداً عبده المختص المبعوث الى الجن والانس كافة لينذرهم
بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد فادى عن الله وصدع بامرہ وصبر عن الاذي في
جنبه حتي وضع دين الله وعز اوالياءه وقع المشركين وظهر
امر الله وهم كارهون فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا
ما بذل له واختار منها الترك لما سخر له زهادة واختياراً لله
وانفة واقتداراً على الصبر بغيراً لما يدوم ويبقى فهذه صفة الرسول
صلى الله عليه وسلم ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك

وبين ذلك خوض طال ما عاجلناه مشاهدة ومكافحة ومعاينة
وسماعا وما أعلم منه فوق ما تعلمان وقد كان من امر يزيد ما سبقتم
اليه والى تجويزه وقد علم الله ما احاول به من أمر الرعية من
سد الخلال ولم الصدع بولاية يزيد بما ايقظ العين واحمد الفعل
هذا معناني في يزيد وفيكما فضل القرابة وخطوة العلم وكمال
المروءة وقد اصبحت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما
اعيانى مثله عندكما وعند غيركما مع علمه بالسنة وقراءة القرآن
والحلم الذي يرجع بالصم الصلاب وقد علمتا ان الرسول المحفوظ
بعضمة الرسالة قدّم على الصديق والفاروق ومن دونها من اكابر
الصحابة واوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم يقارب
القوم ولم يعاندهم بريبة في قرابة موصولة ولا سنة مذكورة
فقادهم الرجل باصره وجمع بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيهم
وقال فلم يقل معه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة
فهلا بني عبد المطلب فانا وأتم شعبا نفع وجد وما زلت ارجو
الانصاف في اجتماعكما فما يقول القائل الا بفضل قولكما فردا
على ذي رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة في عتابكما وأستغفر
الله لي ولكما . قال فتيسر ابن عباس للكلام ونصب يده

٢٩٣

للمخاطبة فإشاراليه الحسين وقال على رسلك فانا المراد ونصبي
 في التهمة أوفر. فامسك ابن عباس فقام الحسين فحمد الله وصلى على
 الرسول ثم قال: أما بعد يا معاوية فلن يؤدي القاتل وإن أطنب في
 صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع جزءاً وقد فهمت ما
 لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتكبر عن
 استبلاغ البيعة وهيئات هيئات يا معاوية فضح الصبح فحة
 الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج ولقد فضلت حتى أفرطت
 واستأثرت حتى أجهفت ومنعت حتى بخلت وجرت حتى
 جاوزت ما بذلت لذي حق من اسم حقه مصيب حتى أخذ
 الشيطان حظه الأوفر ونصيبه الأكمل وفهمت ما ذكرته عن
 يزيد من اكتماله وسياسته لامة محمد تريد أن توهم الناس في
 يزيد كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا أو تخبر عما كان مما
 احتويه بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ
 ليزيد فيما اخذ به من استقراء الكلاب المهارشة عند التحارش
 والحمام السبق لأتراهين والقينات ذوات المعازف وضروب
 الملاهى تجده ناصراً ودع عنك ما تحاول، فما اغناك ان تلقى
 الله بوزر هذا الخلق باكثر مما انت لاقيه فوالله ما برحت

تقدح باطلا في جور وحنقا في ظلم حتي ملأت الاسقية وما بينك وبين الموت الا غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص، ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الامر ومنعتنا عن آباءنا تراثا ولقد لعمر الله أورشنا الرسول عليه السلام ولادق وجئت لنا بها ما حجبتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة بذلك ورده الايمان الى النصف فركبتم الاعاليل وفعلتم الافاعيل وقلتم كان ويكون حتي اتاك الامر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك فهناك فاعتبروا يا أولي الابصار. وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيره له وقد كان ذلك ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له وما صار لعمرو يومئذ حتي انف القوم إمرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه افعاله فقال صلى الله عليه وسلم: لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري. فكيف يحتاج بالمنسوخ من فعل الرسول فيؤكد الاحوال واولاها بالمجتمع عليه من الصواب ام كيف صاحبت بصاحب تابعا وحولك من لا يؤمن في صحبته ولا يعتمد في دينه وقرابته وتخطاهم الى مسرف مفتون تريد ان تلبس الناس شبهة يسعد

٢٩٥

بها الباقي في دنياه وتشقى بها في آخرتك ان هذا لهو الخسران
المبين واستغفر الله لي ولكم . قال فنظر معاوية الى ابن عباس فقال
ما هذا يا ابن عباس ولما عندك ادهى وامر فقال ابن عباس لعمر
الله انها لذرية الرسول واحد اصحاب الكساء ومن البيت المطهر
فاله عما تريد فان لك في الناس مقنعا حتى يحكم الله بأمره وهو
خير الحاكمين فقال معاوية : اعود الحلم التحلم وخيره التحلم عن
الاهل انصرفا في حفظ الله ، ثم ارسل معاوية الى عبد الرحمن
ابن ابي بكر والى عبد الله بن عمر والى عبد الله بن الزبير فجلسوا
فحمد الله واثى عليه معاوية ثم قال يا عبد الله بن عمر قد كنت
تحدثنا انك لا تحب أن تبيت ليلة وليس في عنقك بيعة جماعة
وان لك الدنيا وما فيها وانى احذرك ان تشق عصا المسلمين وتسمى
في تفريق ملائهم وان تسفك دماءهم وان امر يزيد قد كان قضاء من
القضاء وليس للعباد خيرة من امرهم وقد وكد الناس بيعتهم في
اعناقهم واعطوا على ذلك عهدهم ومواثيقهم ثم سكت . فتكلم عبد
الله ابن عمر فحمد الله واثى عليه ثم قال : أما بعد يا معاوية لقد كانت
قبلك خلفاء وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من أبنائهم فلم يروا
في أبنائهم ما رأيت في ابنك فلم يحابوا في هذا الامر أحدا

ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم وان تحذرنى ان
اشق عصا المسلمين وافرق ملائهم واسفك دماءهم ولم اكن
لا فعل ذلك ان شاء الله ولكن ان استقام الناس فسادخل في
صالح ماتدخل فيه أمة محمد فقال معاوية يرحمك الله ليس عندك
خلاف ثم قال معاوية لعبد الرحمن بن أبي بكر نحو ما قاله لعبد
الله بن عمر فقال له عبد الرحمن انك والله لوددنا ان نكلك الى
الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد والذي نفسي بيده لنجعلها
شوري اولاً عيدها جذعة ثم قام ليخرج فتعلق معاوية بطرف
ردائه ثم قال علي رسلك اللهم اكفنيه بما شئت لاتظهرن لاهل
الشام فاني اخشى عليك منهم ثم قال لابن الزبير نحو ما قاله
لابن عمر ثم قال له انت ثعلاب رواق كلما خرجت من جحر
انبحرت في آخر انت ألبت هذين الرجلين واخرجتهما
الى ما خرجا اليه فقال ابن الزبير اتريد أن تباع ليزيد أرايت
إن بايعناه ايكما نطيع أنطيعك ام نطيعه ان كنت مللت
الخلافة فاخرج منها وباع ليزيد فنحن نبايعه فكثير كلامه
وكلام ابن الزبير حتى قال له معاوية في بعض كلامه والله ما
اراك الا قاتلاً نفسك ولكاني بك قد تخبطت في الحباله ثم

أمرهم بالانصراف واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج ثم خرج فامر المنادي ان ينادي في الناس ان يجتمعوا لامر جامع فاجتمع الناس في المسجد وقعد هؤلاء حول المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر يزيد وفضله وقراءته القرآن ثم قال: يا أهل المدينة لقد هممت ببيعة يزيد وما تركت قرية ولا مدرة الا بعثت اليها في بيعته فبايع الناس جميعا وسلموا واخرت المدينة بيعته وقلت بيضته وأصله ومن لا اخافهم عليه وكان الذين ابوا البيعة منهم من كان اجدر ان يصله ووالله لو علمت مكان احد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له، فقال الحسين فقال: والله لقد تركت من هو خير منه أباً وأماً ونفساً فقال معاوية كأنك تريد نفسك فقال الحسين نعم أصلحك الله فقال معاوية اذا أخبرك اما قولك خير منه اما فلعمري أمك خير من أمه ولو لم تكن الا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش فضلهم فكيف وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فاطمة في دينها وسابقتها فأملك لعمر الله خير من أمه وأما أبوك فقد حاكم أباه الى الله فقضى لبيه على أبيك فقال الحسين حسبك جهلك أثرت العاجل على الآجل فقال معاوية وأما ما ذكرت من انك خير من يزيد نفسا فزيد

والله خير لأمة محمد منك فقال الحسين هذا هو الإفك والزور
يزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خير مني فقال معاوية مهلا
عن شتم ابن عمك فانك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتبك ثم
التفت معاوية الى الناس وقال: ايها الناس قد علمتم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف احداً فرأى المسلمون
ان يستخلفوا ابا بكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمل بكتاب الله
وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى ان يستخلف عمر فعمل عمر
بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى ان يجعلها شورى
بين ستة نفر اختارهم من المسلمين فصنع أبو بكر ما لم يصنعه
رسول الله وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر كل ذلك يصنعونه
نظراً للمسلمين فلذلك رأيت ان أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه
من الاختلاف ونظراً لهم بعين الانصاف

﴿ ما قال عبد الله بن الزبير لمعاوية ﴾ قال وذكروا ان
عبد الله بن الزبير قام الى معاوية فقال: ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبض فترك الناس الى كتاب الله فرأى المسلمون
ان يستخلفوا ابا بكر ثم رأى ان يستخلف عمر وهو اقصى قرين
منه نسباً ورأى عمر ان يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من

٢٩٩

المسلمين وفي المسلمين ابنه عبد الله وهو خير من ابنك فان
 شئت ان تدع الناس على ما تركهم رسول الله فيختارون
 لانفسهم وان شئت ان تستخلف من قريش كما استخلف أبو
 بكر خير من يعلم وان شئت ان تصنع مثل ما صنع عمر تختار
 رهطاً من المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل ، فنزل معاوية عن
 المنبر وانصرف ذاهباً الى منزله وامر من حرسه وشرطته
 قوماً ان يحضروا هؤلاء النفر الذين ابوا البيعة وهم الحسين بن علي
 وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد
 الرحمن بن أبي بكر وأوصاهم معاوية فقال اني خارج العشية
 الى أهل الشام فاخبرهم ان هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا فان
 تكلم احد منهم بكلام يصدقني او يكذبني فيه فلا ينقضي كلامه
 حتى يطير رأسه فحذر القوم ذلك فلما كان العشي خرج معاوية
 وخرج معه هؤلاء النفر وهو يضاعفهم ويحدثهم وقد ألبسهم
 اللؤلؤ فألبس ابن عمر حلة حمراء وألبس الحسين حلة صفراء
 وألبس عبد الله بن عباس حلة خضراء وألبس ابن الزبير حلة
 يمانية ، ثم خرج بينهم وأظهر لاهل الشام الرضا عنهم أي القوم
 وانهم بايعوا فقال يا أهل الشام ان هؤلاء النفر دعاهم أمير

المؤمنين فوجدهم واصلين مطيعين وقد بايموا وسلموا قال ذلك والقوم سكوت لم يتكلموا شيئاً حذر القتل فوثب اناس من أهل الشام فقالوا يا أمير المؤمنين ان كان رابك منهم ريب نخل بيننا وبينهم حتى نضرب أعناقهم فقال معاوية سبحان الله ما أحل دماء قريش عندكم يا أهل الشام لا اسمع لهم ذا كراً يسوء فأنهم قد بايموا وسلموا وارتضوني فرضيت عنهم رضى الله عنهم، ثم ارتحل معاوية راجعاً الى مكة وقد أعطى الناس أعطائهم واجزل العطاء واخرج الى كل قبيلة جوائزها واعطائاتها ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء فخرج عبد الله بن عباس في أثره حتى لحقه بالروحاء^(١) فجلس ببابه فجعل معاوية يقول من بالباب فيقال عبد الله بن عباس فلم يأذن لأحد فلما استيقظ قال من بالباب فقبل عبد الله بن عباس فدعا بدابته فادخلت اليه ثم خرج راكباً فوثب اليه عبد الله بن عباس فاخذ بلجام البغلة ثم قال اين تذهب قال الى مكة قال فاین جوائزنا كما اجزت غیرنا فأومأ اليه معاوية فقال والله ما لكم عندي جائزة ولا عطاء حتى يبایع صاحبکم قال ابن عباس فقد أبى ابن الزبير

(١) موضع بين الحزمين على ثلاثين او اربعين ميلاً من المدينة

٣٠١

فاخرجت جائزة بني أسد وأبي عبد الله بن عمر فاخرجت جائزة
 بني عدي فما لنا ان ابي صاحبنا وقد ابي صاحب غيرنا فقال معاوية
 لستم كغيركم لا والله لا أعطيكم درهما حتى يبايع صاحبكم فقال ابن
 عباس اما والله لئن لم تفعل لالحقن بساحل من سواحل الشام ثم
 لا قولن ما تعلم والله لا تركنهم عليك خوارج فقال معاوية لا بل
 اعطيكم جوائزكم فبعث بهما من الروحاء ومضى راجعاً الى الشام، فلم
 يلبث الا قليلا حتى توفي عبد الرحمن بن أبي بكر في نومة نامها رحمه الله
 ﴿ ما قال سعيد بن عثمان بن عفان لمعاوية ﴾ فلما قدم
 معاوية الشام اتاه سعيد بن عثمان بن عفان وكان شيطان قريش
 ولسانه قال يا أمير المؤمنين علي م تباع لزيد وتتركني فوالله لتعلم
 ان أبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وأنا خير منه وانك انما
 نلت ما أنت فيه بأبي فضحك معاوية وقال يا ابن اخي اما قولك
 ان أباك خير من أبيه فيوم من عثمان خير من معاوية واما قولك
 ان امك خير من أمه ففضل قرشية على كلبية فضل
 بين واما ان اكون نلت ما انا فيه بابيك فانما هو الملك يؤتيه الله
 من يشاء قتل أبوك رحمه الله فتواكلته بنو العاصي وقامت فيه
 بنو حرب فنحن أعظم بذلك منه عليك، واما ان تكون خيراً من

٣٠٢

يزيد فوالله ما أحب ان دارى مملوءة رجالا مثلك يزيد ولكن
دعني من هذا القول وسلي أعطيك، فقال سعيد بن عثمان:
يا أمير المؤمنين لا يعدم يزيد من كذا ما دمت له وما كنت لارضى
ببعض حتى دون بعض فاذا ابيت فاعطني مما أعطاك الله فقال
معاوية لك خراسان قال سعيد وما خراسان قال انها لك طعمة
وصلة رحم، فخرج راضياً وهو يقول:

ذكرت أمير المؤمنين وفضله * فقلت جزاه الله خيراً بما وصل
وقد سبقت مني اليه بوادر * من القول فيه آفة العقل والزلل
فماد أمير المؤمنين بفضله * وقد كان فيه قبل عودته ميل
وقال خراسان لك اليوم طعمة * فجوزي أمير المؤمنين بما فعل
فلو كان عثمان الغداة مكانه * لما نالني من ملكه فوق ما بذل
فلما انتهى قوله الى معاوية أمر يزيد أن يزوده وأمر اليه
بخلعة وشيعة فرسخاً

﴿ قدوم أبي الطفيل على معاوية ﴾ قال وذكروا أنه لم
يكن أحد أحب الى معاوية أن يلقاه من أبي الطفيل الكنانى
وهو عامر بن وائلة وكان فارس أهل صفين وشاعرهم وكان
من أخص الناس بعلى كرم الله وجهه فقدم أبو الطفيل الشام

٣٠٣

يزور ابن أخ له من رجال معاوية فأخبر معاوية بقدومه فأرسل إليه فاتاه وهو شيخ كبير فلما دخل عليه قال له معاوية أنت أبو الطفيل عامر بن وائلة قال نعم قال معاوية اكننت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين قال لا ولكن ممن شهدته فلم ينصره قال ولم قال لم ينصره المهاجرون والانصار فقال معاوية : أما والله إن نصرته كانت عليهم وعليك حقا واجبا وفرضا لازما فاذ ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أتم أهله واصباركم الى ما رأيتم، فقال أبو الطفيل فما منعك يا أمير المؤمنين اذ تربصت به ريب المنون ان لا تنصره ومعك أهل الشام، قال معاوية أوترى طلبي لدمه فضحك أبو الطفيل وقال: بلي ولكني وأياك كما قال عبيد بن الابرص : لا عرفنك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادي فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحكم فلما جلسوا نظر اليهم معاوية ثم قال اتعرفون هذا الشيخ قالوا لا فقال معاوية: هذا خليل علي بن ابي طالب وفارس صفيين وشاعر أهل العراق هذا أبو الطفيل، قال سعيد بن العاص قد سرفناه يا أمير المؤمنين فما يمنعك منه وشتمه القوم فزجرهم معاوية قال مهلا قرب يوم ارتفع عن الاسباب قد ضقتكم به

٣٠٤

ذرعاً ثم قال اتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل قال: ما انكرهم من
سوء ولا أعرفهم بخير، وانشد شعراً

فإن تكن العداوة قد أكننت * فشر عداوة المرء السباب
فقال معاوية يا أبا الطفيل ما أبقى لك الدهر من حب علي
قال حب ام موسى واشكو الى الله التقصير فضحك معاوية قال ولكن
والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عني ما قالوا هذا فقال مروان
أجل والله لا نقول الباطل قال ثم جهزه معاوية والحقه بالكوفة
﴿ما حاول معاوية من تزويج يزيد﴾ قال وذكروا ان يزيد
ابن معاوية سهر ليلة من الليالي وعنده وصيف لمعاوية يقال له رقيق
فقال يزيد يستديم الله بقاء أمير المؤمنين وعافيته اياه وأرغب اليه في
تولية أمره فقد كنت اعرف من جميل رأي أمير المؤمنين في وحسن
نظره في جميع الاشياء ما الثقة في ذلك والتوكل عليه معني من البوح
بما ججت في صدري له وتطلابه اليه فاضاع وترك من النظر في
شأني وقد كان في حلمه وعلمه ورضائه ومعرفته بما يحق لمثله النظر
فيه غير غافل عنه ولا تارك له مع ما يعلم من هيبتى له وخشيتى
منه فالله يجزيه عني باحسانه ويغفر له ما اجترح من عهده
ونسياهه، فقال الوصيف وما ذلك جعلت فداك لاتلم على تضديمه

٣٠٥

اياك فانك تعرف تفضيله لك وحرصه عليك وما يخافه من حبك وان ليس شيء احب اليه ولا آثر عنده منك لديه . فاذا كر بلاءه واشكر حياءه فانك لا تبلغ من شكره الا بعون من الله . قال فأتى يزيد أطرافاً عرف الوصيف منه ندامته على ما بدا منه وباح به . فلما آب من عنده توجه نحو سدة معاوية ليلا وكان غير محبوب عنه ولا محبوب من دونه فلم معاوية انه ما جاء به ليلا الا خبر أراد اعلامه به . فقال له معاوية ما وراءك وما جاء بك فقال اصلى الله أمير المؤمنين كنت عند يزيد ابنك فقال فيما استجر من الكلام كذا وكذا فوثب معاوية وقال ويحك ما اضعنا منه رحمة له وكرهية لما شجاء وخالف هواه . وكان معاوية لا يعدل بما يرضيه شيئاً فقال على به وكان معاوية اذا أتته الامور المشككة المعضلة بعث الى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها واستسهاال معضلاتها فلما جاءه الرسول قال أجب أمير المؤمنين فحسب يزيد انما دعاه الى تلك الامور التي يفرع اليه منها ويستعين برأيه عليها فاقبل حتى دخل عليه فسلم ثم جلس فقال معاوية: يا يزيد ما الذي اضعنا من امرك وتركنا من الحيلة عليك وحسن النظر لك حيث

(٢٠)

قلت ما قلت وقد تعرف رحمتي بك ونظري في الاشياء التي
تصلحك قبل ان تخطر علي وهمك فكنت أظنك على تلك
النعماء شاكرًا فاصبحت بها كافرًا اذ فرط من قولك ما الزمتني
فيه اضاعتي اياك وأوجبت علي منه التقصير ، لم يزجرك عن ذلك
تخوف سخطي ولم يحجزك دون ذكره سالف نعمتي ولم يردعك
عنه حق ابوتي فاي ولد اعق منك أو اكيد وقد علمت اني تخطأت
الناس كلهم في تقديمك ونزلتهم لتولييتي اياك ونصبتك امامًا على
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم من عرفت وحاولت
منهم ما علمت . قال فتكلم يزيد وقد خنقه من شدة الحياء الشرق
واخضله من أليم الوجد العرق . قال : لا تلزمني كفر نعمتك ولا
تنزل بي عقابك وقد عرفت نعمة مواصلتك ببرك وحظوظتي
الى كل ما يسرك في سرى وجهرى فليسكن سخطك فان الذي
أرثي له من أعباء حمله وثقله اكثر مما أرثي لنفسي من أليم ما بها
وشدته وسوف أنبئك واعلمك أمري . كنت قد عرفت من أمير
المؤمنين استكمل الله بقاءه نظرًا في خيار الامور لي وحرصًا على
سياقها الي . وأفضل ما عسيت استعده بعد اسلامي المرأة الصالحة
وقد كان ما تحدث به من فضل جمال ارينب بنت اسحاق وكال

٣٠٧

أدبها ما قد سطع وشاع في الناس فوق بني بموقع الهوى فيها
والرغبة في نكاحها. فرجوت الاتدع حسن النظر لي في أمرها
فتركت ذلك حتى استنكحها بعلمها فلم يزل ما وقع في
خدي ينمو ويعظم في صدرى حتى عيل صبرى فبحت
يسرى فكان مما ذكرت تقصيرك في امرى فإله
يجزيك أفضل من سؤالى وذكرى. فقال له معاوية: مهلا
يا يزيد فقال على م تأمرنى بالمثل وقد انقطع منها الامل فقال
له معاوية فإين حباك ومروءتك وتقاك فقال يزيد: قد يغلب
الهوى على الصبر والحجا ولو كان أحد ينتفع فيما يبتلى به من
الهوى بتقاه او يدفع ما اقصده بحجاه لكان أولى الناس بالصبر
داود عليه السلام وقد خبرك القرآن بأمره. فقال معاوية فما
منعك قبل القوت من ذكره قال ما كنت أعرفه وأثق به
من جميل نظرك قال صدقت ولكن اكنتم يا بني أمرك
بحلمك واستسن بالله على غلبة هواك بصبرك فان البوح به
غير نافعك والله بالغ أمره ولا بد مما هو كائن .
وكانت أرينب بنت اسحاق مثلا في أهل زمانها في جمالها
وتتام كمالها وشرفها وكثرة مالها فتزوجها رجل من بنى عمها

يقال له عبد الله بن سلام من قريش وكان من معاوية بالمنزلة
الرفيعة في الفضل ووقع أمر يزيد من معاوية موقعا ملاء هما
وأوسع غمًا فأخذ في الحيلة والنظر أن يصل إليها وكيف
يجمع بينه وبينها حتى يبلغ رضا يزيد فيها. فكتب معاوية إلى عبد
الله بن سلام وكان قد استعمله على العراق أن أقبل حين تنظر
في كتابي هذا الأمر حظك فيه كامل ولا تتأخر عنه فأعد
المسير والاقبال . وكان عند معاوية بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عبد الله بن سلام
الشام أمر معاوية أن ينزل منزلا قديما له وأعد له فيه نزله
ثم قال لأبي هريرة وصاحبه: إن الله قسم بين عباده قسما ووهبهم
نعمًا أوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها وأمرهم برعاية
حقها وسلطان طريقها بجميل النظر وحسن التفقد لمن طوقهم
الله أمره كما فوضه إليهم حتى يؤدوا إلى الله الحق فيهم كما أوجبه
عليهم فخباني منها عز وجل بأعز الشرف وسمو السلف وأفضل
الذكر وأغدق اليسر وأوسع على في رزقه وجعلني راعي خلقه
وأمينه في بلاده والحاكم في أمر عباده ليلوني أشكر آلائه
أم أكفرها فإياه أسأله أداء شكره وبلوغ ما أرجو بلوغه من

٣٠٩

عظيم أجره وأول ما ينبغي للمرء أن يتفقدّه وينظر فيه فيمن
استرعاه الله أمره من أهله ومن لاغنا به عنه . وقد بلغت ابنة
أردت انكاحها والنظر في تبعل من يريد أن يباعها لعل
من يكون بعدي يهتدي منه بهدي ويتبع فيه أثري فاني قد
تخوفت ان يدعو من يلي هذا الامر من بعدي زهوة السلطان
وسرفه الى عضل^(١) نسائهم والايرون لهن فيمن ملكهن أمره
كفوؤاً ولا نظيراً وقد رضيت لها عبدالله بن سلام لدينه وفضله
ومروءته وأدبه . فقال أبو هريرة وأبو الدرداء إن أولى الناس
برعاية أنعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيها فيما خصه به منها
أنت صاحب رسول الله وكاتبه . فقال معاوية اذكر له ذلك غني
وقد كنت جعلت لها في نفسها شوري غير اني أرجو انها لا
تخرج من رأيي ان شاء الله . فلما خرجا من عنده متوجهين الى
منزل عبدالله بن سلام بالذي قال لهما قال ودخل معاوية الى ابنته
فقال لها اذا دخل عليك أبو هريرة وأبو الدرداء فعرضا عليك
أمر عبد الله بن سلام وانكاحي اياك منه ودعواك الى مباعته
وحضاك على ملائمة رأيي والمسارة الى هواي فقولى لهما

(١) عضل النساء منعهن عن التزويج ظالماً

عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم غير أنه تحته أرنب
 بنت اسحاق وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض
 للنساء فاتولي منه ما اسخط الله فيه فيعذبني عليه فأفارق الرجاء
 واستشعر الاذي ولست بفاعلة حتى يفارقها . فذكر ذلك أبو
 هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام واعلماه بالذي أمرها
 معاوية فلما أخبراه سر به وفرح وحمد الله عليه ثم قال: نستمتع
 الله بأمير المؤمنين لقد والي على من نعمه وأسدي الي من
 منته فأطول ما أقوله فيه قصير وأعظم الوصف لها يسير ثم
 أراد اخلاطى بنفسه والحاقي باهله اتعما لنعمته وإكمالا لحسانه
 فالله استعين على شكره وبه أعوذ من كيده ومكره . ثم بعثها
 اليه خاطبين عليه فلما قدما قال لهما معاوية قد تعلمان رضائي به وتبخلي ايام
 وحرصتي عليه وقد كنت اعلمتكما بالذي جعلت لها في نفسها من
 الشوري فادخلا اليها وأعرضا عليها الذي رأيت لها فدخلتا
 عليها وأعلماهما بالذي أرتضاه لها أبوها لما رجا من ثواب الله عليه
 فقالت لهما كالذي قال لها أبوها فاعلماه بذلك . فلما ظن انه لا يمنعها
 منه الا أمرها فارق زوجته واشهدهما على طلاقها وبعثهما
 خاطبين اليه أيضا فخطبا واعلما معاوية بالذي كان من فراق عبد

٣١١

الله بن سلام امرأته طلاباً لما يرضيها وخروجاً عما يشجها
فاظهر معاوية كراهية لقلعه وقال: ما أستحسن له طلاق امرأته
ولا احبته ولو صبر ولم يعجل لكان امره الى مصيره فان كون
ما هو كائن لا بد منه ولا محيص عنه ولا خيرة فيه للعباد
والاقدار غالبية وما سبق في علم الله لا بد جار فيه فانصرفا في
عافية ثم تمودان اليها فيه وتأخذان ان شاء الله رضانا. ثم كتب
الى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق ارينب بنت اسحاق عبد
الله بن سلام فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء الى معاوية امرها
بالدخول عليها وسألاها عن رضاها تبرأ من الامر ونظراً في
القول والعذر فيقول لم يكن لي ان اكرها وقد جعلت لها
الشوري في نفسها فدخلا عليها واعلمها بالذي رضىه ان رضيت
هي وبطلاق عبد الله بن سلام امرأته ارينب طلاباً لمسررتها
وذكرها من فضله وكمال مروءته وكريم محتده ما القول يقصر
عن ذكره. فقالت لهما: جف القلم بما هو كائن وانه في قریش
لرفيع غير ان الله عز وجل يتولى تدبير الامور في خلقه وتقسيمها
بين عباده حتى ينزلها منازلها فيهم ويضعها على ما سبق في اقدارها
وليست تجري لأحد على ما يهوى ولو كان لبلغ منها غاية ما شاء.

وقد تعرفان ان التزويج هزله جد وجد ندم النادم عليه يدوم
والعشور فيه لا يكاد يقوم والأناة في الامور أوفق لما يخاف فيها
من المحذور، فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد الثاني
فيها كان المرء بحسن العزاء خليقاً وبالصبر عليها حقيقاً، وعلمت
ان الله وليّ التدبير فلم تلم النفس على التقصير واني بالله استعين
سائلة عنه حتي اعرف دخيلة خبره ويصح لي الذي اريد علمه
من امره ومستخيرة وان كنت اعلم انه لا خيرة لاحد فيما هو
كائن ومعلمتكما بالذي يريد به الله في أمره ولا قوة الا بالله . فقالا
وفقك الله وخارك ثم انصرفا عنها فلما أعلماه بقولهما مثل وقال:
فإن يك صدر هذا اليوم ولي * فان غداً لناظرين قريب
وتحدث الناس بالذي كان من طلاق عبد الله امرأته قبل ان
يفرغ من طلبته وقبل ان يوجب له الذي كان من بغيته ولم
يشكوا في غدر معاوية اياه . فاستحث عبد الله بن سلام ابا هريرة
وابا الدرداء وسألهما الفراغ من امره فأثياها فقالا لها قد آتيناك
لما أنت صانعة في امرك وأن تستخيري الله يخرلك فيما تختارين
فانه يهدي من استهداه ويعطي من اجتداه وهو أقدر القادرين .
قالت: الحمد لله ارجو ان يكون الله قد خار لي فانه لا يكل الى

٣١٣

غيره من توكل عليه . وقد استبرأت امره . وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما اريد لنفسي مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهي عنه ومنهم الآمر به واختلافهم اول ما كرهت من الله فعلم عبد الله انه خدع فلهع ساعة واشتد عليه الهم . ثم انبته فحمد الله تعالى واشى عليه وقال متعزياً : ليس لامر الله راد ولا لما لا بد أن يكون منه صاد ، أمور في علم الله سبقت فحرت بها اسبابها حتى امتلأت منها اقرباؤها وإن امرؤا نثال له حلمه واجتمع له عقله واستدله رأيه ليس بدافع عن نفسه قدراً ولا كيداً ولا انحرافاً عنه ولا حيداً ولا آل ماسرّوا به واستجذلوا له لا يدوم لهم سرورده ، ولا يصرف عنهم محذورده . قال وذاع امره في الناس وشاع ، ونقلوه الى الامصار وتحدثوا به في الاسمار ، وفي الليل والنهار وشاع في ذلك قولهم وعظم لمعاوية عليه لومهم وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته وانما أرادها لابنه فبئس من استرعاه الله أمر عباده وممكنه في بلاده واشركه في سلطانه يطلب أمراً بخدعة من جعل الله اليه أمره ويحيره ويصرعه جرأة على الله . فلما باغ معاوية ذلك من قول الناس قال

لعمري ما خدعته . قال فلما انقضت أقرأؤها^(١) وجه معاوية أبا
الدرداء الى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها
يومئذ الحسين بن علي وهو سيد أهل العراق فقهاً وحالاً وجوداً
وبذلاً فقال أبو الدرداء اذ قدم العراق: ما ينبغي لذوي الحجاب
والمعرفة والتقي ان يبدأ به ويؤثره على مهم أمره مما يلزمه حقه
ويجب عليه حفظه وهذا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة فليست بناظر في شيء
قبل الالمام به والدخول عليه والنظر الى وجهه الكريم واداء حقه
والتسليم عليه ثم أستقبل بعد ان شاء الله ما جئت له وبعثت
اليه فقصد حتي أتى الحسين فلما رآه الحسين قام اليه فصاحه
اجلالاً له ومعرفة لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وموضعه من الاسلام . ثم قال الحسين : مرحباً بصاحب رسول
الله وجليسه يا أبا الدرداء حدث لي رؤيتك شوقاً الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأوقدت مطلقاً احزاني عليه فاني لم
أر منذ فارقت أحداً كان له جليساً واليه حبيباً الا هملت عيناى

(١) الأقرء الحيض والأقرء الاطهار . يقال أقرأت المرأة في الامرين

جميعاً . وهنا يعني لما انقضت عدتها (أيام حيضها)

٣١٥

وأحرقت كبدي اسي عليه وصباة اليه . فقاضت عينا أبي الدرداء .
 لذكر رسول الله وقال : جزي الله لبانة أقدمتنا عليك وجمعتنا
 بك خيراً . فقال الحسين والله اني لدوحرص عليك ولقد كنت
 بالاشتياق اليك فقال ابو الدرداء : وجهني معاوية خاطباً على ابنه
 يزيد اريئب بنت اسحاق فرأيت ان لا أبداً بشيء قبل احداث
 العهد بك والتسليم عليك . فشكر له الحسين ذلك واثني عليه
 وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها بعد
 انقضاء اقراءها فلم يمنعني من ذلك الا تخيير مثلك فقد أتى الله
 بك فاخطب رحمك الله على وعليه فلتختر من اختاره الله لها
 وانها أمانة في عنقك حتي تؤديها اليها وأعطيها من المهر مثل
 ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال ابو الدرداء أفعل ان شاء الله . فلما
 دخل عليها قال لها : ايتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته
 فجعل لكل امر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله
 مستحاص ولا عن الخروج عن علمه مستنص ، فكان مما سبق لك
 وقدر عليك الذي كان من فراق عبد الله بن سلام اياك ولعل ذلك
 لا يضرك وان يجعل الله لك فيه خيراً كثيراً . وقد خطبك أمير
 هذه الامة وابن الملك وولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن

معاوية وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن اول من آمن به من أمته وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما وجنتك خاطباً عليهما فاختاري ايهما شئت . فسكتت طويلاً ثم قالت يا أبا الدرداء : لو ان هذا الامر جاءني وأنت غائب عني أشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم اقطعه دونك على بعد مكانك ونأي دارك فأما اذ كنت المرسل فيه فقد فوضت أمري بعد الله اليك وبرئت منه اليك وجعلته في يديك فاختر لي ارضاهما لديك والله شهيد عليك واقض فيه قضاء ذي التحري المتقي ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوي فليس أمرهما عليك خفياً وما أنت عما طوqتك عمياً . فقال أبو الدرداء : ايتها المرأة انما على اعلامك وعليك الاختيار لنفسك قالت : عفا الله عنك انما أنا بنت أخيك ومن لا غنا بها عنك فلا يمنعك رهبة أحد من قول الحق فيما طوqتك فقد وجب عليك اداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعي وخيف انه بنا خير لطيف . فلما لم يجد بداً من القول والاشارة عليها قال أي بنيه ابن بنت رسول الله أحب الي وأرضاهما عندي والله اعلم بخيرهما لك وقد كنت رأيت رسول الله صلى

٣١٧

الله عليه وسلم واضعاً شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتك
حيث وضعها رسول الله ، قالت قد اخترته ورضيته فاستنكحها
الحسين بن علي وساق اليها مهراً عظيماً وقال الناس . وبلغ معاوية
الذي كان من فعل أبي الدرداء في ذكره حاجة احد مع حاجته
وما بعته هو له ونكاح الحسين اياها فتعاضمه ذلك جداً ولأمه
لوماً شديداً وقال : من يرسل ذا بلاهة وعماً يركب في أمره
خلاف ما يهوى ورأيي كان من رأيه أسوأ ولقد كنا بالملامة منه
أولى حين بعثناه ولحاجتنا اتخلناه . وكان عبد الله بن سلام قد
استودعها قبل فراقه اياها بدرات مملوءة ذراً كان ذلك الدرُّ
اعظم ماله واحبه اليه وكان معاوية قد اطرحه وقطع جميع روافده
عنه لسوء قوله فيه وتهمته اياه على الخديعة فلم يزل يحفوه وينفضبه
ويكدي به عنه ما كان يجديه حتى عيل صبره وطال أمره
وقل ما في يديه ولا م نفسه على المقام لديه فخرج من عنده راجعاً
الى العراق وهو يذكر ماله الذي كان استودعها ولا يدري
كيف يصنع فيه وأتى يصل اليه ويتوقع جحودها عليه لسوء فعله
بها وطلاقه اياها على غير شيء انكره منها ولا نقمة عليها فلما قدم
العراق لقي الحسين فسلم عليه . ثم قال قد علمت جعلت فداك

الذي كان من قضاء الله في طلاق أرنب بنت اسحاق وكنت
قبل فراقى اياها قد استودعتها مالا عظيماً ذُرّاً وكان الذي كان
ولم أقبضه ووالله ما انكرت منها في طول ما صحبتها فتبلاً ولا
أظن بها الا جميلاً فذا كرهاً أمري وأحضضها على الرد على
فان الله يحسن عليك ذكرك ويجزل به أجرك . فسكت عنه
فلما انصرف الحسين الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو
يحسن الثناء عليك ويحمل الشر عنك في حسن صحبتك وما
أنسه قديماً من أمانتك فسرني ذلك وأعجبني ، وذكر أنه كان
استودعك مالا قبل فراقه اياك فأدى اليه أمانته وردي عليه
ماله فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب الا حقا . قالت صدق قد والله
استودعني مالا لا أدري ما هو وانه لمطبوع عليه بطابعه ما
أخذ منه شيئاً الى يومه هذا فأتى عليها الحسين خيراً وقال بل
أدخله عليك حتى تبرئي اليه منه كما دفعه اليك . ثم لقي عبد الله
ابن سلام فقال له ما انكرت مالك وزعمت انه لكما دفعته اليها
بطابعك فادخل يا هذا عليها وتوف مالك منها فقال عبد الله
ابن سلام أو تأمر بدفعه الى جعلت فداك قال لا حتى تقبضه منها
كما دفعته اليها وتبرئها منه اذا أدته . فلما دخلا عليها قال لها

٣١٩

الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فادبها اليه
 كما قبضتها منه فاخرجت البدرات فوضعتها بين يديه وقالت له
 هذا مالك فشكر لها واثني عليها وخرج الحسين فقض عبد الله خاتم
 بدره فخالها من ذلك الدر حثوات وقال خذي فهذا قليل مني لك
 واستعبرا جميعاً حتى تعالت اصواتهما بالبكاء اسفاً على ما ابتليابه
 فدخل الحسين عليهما وقدرق لهما للذي سمع منهما . فقال : أشهد
 الله أنها طالق ثلاثاً اللهم انك تعلم اني لم استنكحها رغبة في
 مالها ولا جمالها ولكنني أردت إحلالها لبعليها وثوابك على ما
 عاجلته في أمرها فأوجب لي بذلك الاجر واجزل لي عليه
 الذخر انك على كل شيء قدير . ولم يأخذ مما ساق اليها في مهرها
 قليلاً ولا كثيراً . وقد كان عبد الله بن سلام سأل ذلك أرينب
 أي التعويض على الحسين فأجابته الي رد ماله عليه شكراً لما
 صنعه بهما فلم يقبله وقال الذي أرجو عليه من الثواب خير لي
 منه . فتزوجها عبد الله بن سلام وعاشا متحابين متصافيين حتى
 قبضهما الله وحرماها الله على يزيد . والحمد لله رب العالمين

﴿ وفاة معاوية رحمه الله ﴾ قال وذكروا ان عتبة بن
 مسعود قال مر بنائي معاوية بن أبي سفيان ونحن بالمسجد

والذي كان من قضاء الله في طلاق أرنب بنت اسحاق وكنت
 قبل فراقى اياها قد استودعتها مالا عظيماً ذراً وكان الذي كان
 ولم أقبضه ووالله ما انكرت منها في طول ما صحبتها فتبلاً ولا
 أظن بها الا جيلاً فذا كرهاً أمري وأحضضها على الرد على
 فان الله يحسن عليك ذكرك ويجزل به أجرك . فسكت عنه
 فلما انصرف الحسين الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو
 يحسن الثناء عليك ويحمل الشر عنك في حسن صحبتك وما
 أنسه قديماً من أمانتك فسرني ذلك وأعجبني ، وذكر أنه كان
 استودعك مالا قبل فراقه اياك فأدى اليه أمانته وردي عليه
 ماله فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب الا حقا . قالت صدق قد والله
 استودعني مالا لا أدري ما هو وانه لمطبوع عليه بطابعه ما
 أخذ منه شيئاً الى يومه هذا فأتى عليها الحسين خيراً وقال بل
 أدخله عليك حتى تبرئي اليه منه كما دفعه اليك . ثم لقي عبد الله
 ابن سلام فقال له ما انكرت مالك وزعمت انه لكما دفعته اليها
 بطابعك فادخل يا هذا عليها وتوف مالك منها فقال عبد الله
 ابن سلام أو تأمر بدفعه الى جعلت فداك قال لا حتى تقبضه منها
 كما دفعته اليها وتبرئها منه اذا أدته . فلما دخلا عليها قال لها

٣١٩

الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فادبها اليه
كما قبضتها منه فاخرجت البدرات فوضعتها بين يديه وقالت له
هذا مالك فشكرها واثني عليها وخرج الحسين فقض عبد الله خاتم
بدره فحشاها من ذلك الدر حثوات وقال خذي فهذا قليل مني لك
واستعبرا جميعاً حتى تعالت اصواتهما بالبكاء اسفاً على ما ابتلي به
فدخل الحسين عليهما وقد رقت لهما للذي سمع منهما . فقال : أشهد
الله أنها طالق ثلاثاً اللهم انك تعلم اني لم استكحها رغبة في
مالها ولا جمالها ولكني أردت إحلالها لبعليها وثوابك على ما
عاجته في أمرها فأوجب لي بذلك الاجر واجزل لي عليه
الذخر انك على كل شيء قدير . ولم يأخذ مما ساق اليها في مهرها
قليلاً ولا كثيراً . وقد كان عبد الله بن سلام سأل ذلك أرينب
أي التعويض على الحسين فأجابته الي رد ماله عليه شكراً لما
صنعه بهما فلم يقبله وقال الذي أرجو عليه من الثواب خير لي
منه . فتزوجها عبد الله بن سلام وعاشا متحابين متصافيين حتى
قبضهما الله وحرماها الله على يزيد . والحمد لله رب العالمين

﴿ وفاة معاوية رحمه الله ﴾ قال وذكروا ان عتبة بن
مسعود قال مر بنائي معاوية بن أبي سفيان ونحن بالمسجد

الحرام قال فقمنا فاتينا ابن عباس فوجدناه جالسا قد وضع له الخوان وعنده نفر فقلنا أما علمت بهذا الخبر يا ابن عباس قال وما هو قلنا هلك معاوية فقال ارفع الخوان يا غلام وسكت ساعة ثم قال: جبل ترعزع ثم مال بكلكله أما والله ما كان من كان قبله ولما يكن بعده مثله . اللهم أنت أوسع لمعاوية فينا وفي بني عمناهؤلاء لدى لب معتبر اشتجرتنا بيننا فقتل صاحبهم غيرنا وقتل صاحبنا غيرهم وما اغراهم بنا الا انهم لا يجدون مثلنا وما اغرانا بهم الا انا لا نجد مثلهم . كما قال القائل :مالك تظلمني قال لا أجدمن أظلم غيرك . والله ان ابنه خير أهله أعد طعامك يا غلام قال فما رفع الخوان حتى جاء رسول خالد بن الحكم الى ابن عباس ان أنطلق فبايع فقال للرسول اقريئ الامير السلام وقل له والله ما بقي في ما تخافون فاقض من أمرك ما أنت قاض فاذا سهل المشي وذهبت حطمة الناس جثتك ففعلت ما أحبيت . قال ثم أقبل علينا فقال: مهلا معشر قريش ان تقولوا عند موت معاوية ذهب جد بني معاوية وانقطع ملكهم ذهب لعمر الله جدهم وبقي ملكهم وشرها بقية هي أطول مما مضى الزموا مجالسكم وأعطوا بيعتكم قال فما برحنا حتى جاء

٣٢١

رسول خالد فقال يقول لك الامير لا بد لك أن تأتينا قال فان
 كان لا بد فلا بد مما لا بد منه . يا نوار هل لي ثيابي ثم قال وما
 ينفعكم إتيان رجل ان جلس لم يضركم قال فقلت له أتباع يزيد وهو
 يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهتر بالفواحش قال مه فاين ماقلت لكم
 وكم بعده من آت ممن يشرب الخمر او هو شر من شاربها انتم الى
 بيعته سراع أما والله اني لأنهاكم وأنا أعلم انكم فاعلون ما أنتم
 فاعلون حتى يصلب مصلوب قريش بمكة يعني عبد الله بن الزبير
 ﴿ كتاب يزيد بالبيعة الى أهل المدينة ﴾ قال وذكروا
 ان نافع بن جبير قال اني بالشام يوم موت معاوية وكان يزيد
 غائباً واستخلف معاوية الضحاك بن قيس بعده حتي يقدم
 يزيد فلما مات معاوية خرج الضحاك على الناس فقال لا يحملان
 اليوم نعش أمير المؤمنين الا قرشي قال فحملته قريش ساعة
 ثم قال أهل الشام أصلح الله الأمير اجعل لنا من أمير المؤمنين
 نصيباً في موته كما كان لنا في حياته قال فاحملوه فحملوه وازدحموا
 عليه حتي شقوا البرد الذي كان عليه صدعين قال فلما قدم يزيد
 دمشق بعد موت أبيه الى عشرة أيام كتب الى خالد بن الحكم وهو
 عامل المدينة: أما بعد فان معاوية بن أبي سفيان كان عبداً استخلفه

(٢١)

الله على العباد وممكن له في البلاد وكان من حادث قضاء الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه فيه ماسبق في الأولين والآخرين لم يدفع عنه ملك مقرب ولا نبي مرسل فعاش حميداً ومات سعيداً وقد قلنا الله عز وجل ما كان اليه فياها مصيبة مأجلها ونعمة مأعظمها نقل الخلافة وفقد الخليفة فنستوزعه الشكر ونستلهمه الحمد ونسأله الخيرة في الدارين معاً ومحمود العقبى في الآخرة والأولى انه ولي ذلك وكل شيء بيده لا شريك له . وان أهل المدينة قومنا ورجالنا ومن لم نزل على حسن الرأي فيهم والاستعداد بهم واتباع أثر الخليفة فيهم والاحتذاء على مثاله لديهم من الاقبال عليهم والتقبل من محسنهم والتجاوز عن مسيئتهم فبايع لنا قومنا ومن قبلك من رجالنا بيعة منشرة بها صدوركم طيبة عليها انفسكم . وليكن اول من يبايعك من قومنا وأهلنا الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر ويحلفون على ذلك بجميع الايمان اللازمة ويحلفون بصدقة اموالهم غير عشرها وجزية رقيقهم وطلاق نسائهم بالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم ولا قوة إلا بالله والسلام . ﴿ إياية القوم المتمنعين عن البيعة ﴾ قال وذكروا ان خالد

٣٢٣

ابن الحكم لما اتاه الكتاب من يزيد قطع به فدعا مروان بن
 الحكم وكان على المدينة قبله فلما دخل عليه مران وذلك في اول
 الليل قال له خالد احتسب صاحبك يا مروان فقال له مروان
 اكتم ما بانك إنا لله وانا اليه راجعون ثم اقرأه الكتاب وقال
 له ما الرأي فقال: ارسل الساعة الى هؤلاء نفر نخذ بيعتهم فانهم
 ان بايعوا لم يختلف علي يزيد احد من اهل الاسلام فمجل عليهم
 قبل ان يفشى الخبر فيمتنعوا فارسل الى الحسين بن علي وعبد الله
 ابن الزبير وعبد الله بن عمر فلما اتاهم الرسول قال عبد الله بن
 الزبير للحسين: ظن يا أبا عبد الله فيما ارسل الينا فقال الحسين لم
 يرسل الينا الا للبيعة فما ترى قال آتية فان ارادتلك امتنعت عليه .
 ندعا الحسين مواليه واهل بيته وأقعدهم على الباب وقال لهم
 ان ارتفع صوتي فاقتحموا الدار عليّ والا فمكانكم حتى اخرج
 ليكم . ثم دخل على خالد فاقرأه الكتاب فقال الحسين رحم الله
 معاوية فقالا له بايع فقال الحسين: لا خير في بيعة سر والظاهرة
 خير فاذا حضر الناس كان امراً واحداً ثم وثب اهله . فقال
 مروان لخالد اشد يدك بالرجل فلا يخرج حتي يبايعك فان
 بني فاضرب عنقه . فقال له ابن الزبير: قد علمت انا كنا ايننا البيعة

اذ دعانا اليها معاوية وفي نفسه علينا من ذلك مالا تجهله ومتى ما نبايعك ليلا على هذه الحال نرى انك أغضبتنا على أنفسنا دعنا حتى نصبح وتدعو الناس الى البيعة فنأتيك فنبايعك بيعة سليمة صحيحة فلم يزالا به حتي خلا عنهما وخرجا . فقال مروان لخالد: تركتهما والله لا تظفر بمثلها منهما أبدا ويحك أتشير علي أن أقتل الحسين فوالله ما يسرني ان لي الدنيا وما فيها وما أحسب ان قاتله يلقي الله بدمه الا خفيف الميزان يوم القيامة فقال له مروان مستهزئا ان كنت انما تركت ذلك لذلك فقد اصبت

﴿ خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية ﴾ قال وذكروا ان يزيد بن معاوية عزل خالد بن الحكم عن المدينة وولاها عثمان ابن محمد بن أبي سفيان الثقفي وخرج الحسين بن علي وعبد الله ابن الزبير الى مكة وأقبل عثمان بن محمد من الشام والياً على المدينة ومكة وعلى الموسم في رمضان فلما استوى على المنبر بمكة رعف فقال رجل مستقبلة جئت والله بالدم فتلقاه رجل آخر بعمامته فقال مه والله عم الناس . ثم قام بخطب فتناول عصاها شعبتان فقال مه شعب والله أمر الناس ثم نزل فقال الناس للحسين يا أبا عبد الله لو تقدمت فصليت بالناس فانه اليهم بذلك

٣٢٥

اذ جاء المؤذن فأقام الصلاة فتقدم عثمان فكبر فقيل للحسين يا أبا عبد الله اذا أبيت ان تتقدم فاخرج فقال الصلاة في الجماعة أفضل قال فصلي ثم خرج فلما انصرف عثمان بن محمد من الصلاة بلغه ان الحسين خرج قال: اركبوا كل بعيرين السماء والارض فاطلبوه فطلب فلم يدرك . قال ثم قدم المدينة فاقبل ابن ميثاء بسراح له من الحرّة يريد الاموال التي كانت لمعاوية فمنع منها وأزاحه اهل المدينة عنها وكانت اموالا اكتسبها معاوية ونخيلاً يجمع منها مائة الف وسق وستين ألفاً ودخل نفر من قريش والانصار على عثمان فكلّموه فيها فقالوا قد علمت ان هذه الاموال كلها لنا وان معاوية آثر علينا في عطائنا ولم يعطنا قط درهما فما فوقه حتى مضى الزمان ونالتنا المجاعة فاشتراها منا بجزء من مائة من ثمنها فاغلظ لهم عثمان في القول وأغلظوا له فقال لهم لا كتبن الى أمير المؤمنين بسوء رأيكم وما أنتم عليه من كمون الاضغان القديمة والاحقاد التي لم تزل في صدوركم فاقتربوا على موجدة ثم اجتمع رأيهم على منع ابن ميثاء القيم عليها فكف عثمان بن محمد عنهم وكتب باصرهم الى يزيد بن معاوية قال عبد الله بن جعفر جاء كتاب عثمان بن محمد بعد هدأة من الليل وقد كنت انصرفت

اذ دعانا اليها معاوية وفي نفسه علينا من ذلك مالا تجهله ومتى
ما نبأ بك ليلا على هذه الحال نرى انك أغضبتنا على أنفسنا
دعنا حتى نصبح وتدعو الناس الى البيعة فنأتيك فنبايعك بيعة
سليمة صحيحة فلم يزالا به حتي خلا عنهما وخرجا. فقال مروان
لخالد: تركتهما والله لا تظهر بمثلها منهما أبدا ويحك أتشير علي أن
أقتل الحسين فوالله ما يسرني ان لي الدنيا وما فيها وما أحسب ان
قاتله يلقي الله بدمه الا خفيف الميزان يوم القيامة فقال له مروان
مستهزئا ان كنت انما تركت ذلك لذلك فقد اصبحت

﴿ خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية ﴾ قال وذكروا ان
يزيد بن معاوية عزل خالد بن الحكم عن المدينة وولاها عثمان
ابن محمد بن أبي سفيان الثقفي وخرج الحسين بن علي وعبد الله
ابن الزبير الى مكة وأقبل عثمان بن محمد من الشام والياً على
المدينة ومكة وعلى الموسم في رمضان فلما استوى على المنبر
بمكة رعف فقال رجل مستقبلاً جئت والله بالدم فتلقاه رجل
آخر بعمامته فقال له والله عم الناس. ثم قام يخطب فتناول عصاها
شعبتان فقال له شعب والله أمر الناس ثم نزل فقال الناس
للحسين يا أبا عبد الله لو تقدمت فصليت بالناس فانه اليهم بذلك

٣٢٥

اذ جاء المؤذن فأقام الصلاة فتقدم عثمان فكبر فقليل للحسين يا أبا عبد الله اذا أبيت ان تتقدم فاخرج فقال الصلاة في الجماعة أفضل قال فصلي ثم خرج فلما انصرف عثمان بن محمد من الصلاة بلغه ان الحسين خرج قال: اركبوا كل بعيرين السماء والارض فاطلبوه فطلب فلم يدرك . قال ثم قدم المدينة فاقبل ابن ميثاء بسراح له من الحرّة يريد الاموال التي كانت لمعاوية فنزع منها وأزاحه اهل المدينة عنها وكانت اموالا اكتسبها معاوية ونخيلا يحد منها مائة الف وسق وستين الفاً ودخل نفر من قريش والانصار على عثمان فكلّموه فيها فقالوا قد علمت ان هذه الاموال كلها لنا وان معاوية آثر علينا في عطائنا ولم يعطنا قط درهما فما فوقه حتى مضى الزمان ونالتنا المجاعة فاشترانا منا بجزء من مائة من ثمنها فاغلظ لهم عثمان في القول وأغلظوا له فقال لهم لا كتبنا الى أمير المؤمنين بسوء رأيكم وما أنتم عليه من كمن الاضغان القديمة والاحقاد التي لم تزل في صدوركم فافترقوا على موجدة ثم اجتمع رأيهم على منع ابن ميثاء القيم عليها فكف عثمان بن محمد عنهم وكتب باصرهم الى يزيد بن معاوية قال عبد الله بن جعفر جاء كتاب عثمان بن محمد بعد هدأة من الليل وقد كنت انصرفت

من عند يزيد فلم ألبث ان جاءني رسوله فدخلت عليه والشمعة
 بين يديه وهو مغضب قد حسر عن ذراعيه والكتاب بين
 يديه فقال دونك يا أبا جعفر هذا الكتاب فاقرأه فرأيت كتابا
 قبيحاً فيه تعريض لاهل المدينة وتحريش ثم قال: والله لأطأنهم
 وطأة آتى منها على أنفسهم قال ابن جعفر فقلت له ان الله لم يزل
 يعرف أباك في الرفق خيراً فان رأيت ان ترفق بهم وتجاوز
 عنهم فعلت فانما هم أهلك وعشيرتك وانما تقتل بهم نفسك اذا
 قتلهم. قال أقتل واشفى نفسي فلم أزل الح عليه فيهم وارفقه عليهم
 وكان لي سامعاً ومطيماً فقال لي: ان ابن الزبير حيث علمت من مكة
 وهو زعم انه قد نصب الحرب فانا ابعت اليه الجيوش وأمر صاحب
 أول جيش ابعثه ان يتخذ المدينة طريقاً وان لا يقاتل فان أقروا
 بالطاعة ونزعوا من غيهم وضلالهم فاهم على عهد الله وميثاقه
 ان لهم عطاءين في كل عام مالا افعله باحد من الناس طول حياتي
 عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف ولهم على عهد ان اجعل
 الحنطة عندهم كسمر الحنطة عندنا والحنطة عندهم سبع أصع
 بدرهم والعطاء الذي يذكرون انه احتبس عنهم في زمان معاوية
 فهو على ان اخرجه لهم وافراً كاملاً فان أنابوا وقبلوا ذلك

٣٢٧

جاءوا الى ابن الزبير وان أبو اقاتلهم ثم ان ظفر بها انهبها ثلاثا هذا
عهدي الى صاحب جيشي لمكانك ولطابتك فيهم ولما زعمت
انهم قومي وعشيرتي . قال عبد بن جعفر فرأيت هذا لهم فرجا
فرجعت الى منزلي فكتبت اليهم من ليأتي كتابا الى أهل المدينة
اعلمهم فيه قول يزيد واحضهم على الطاعة والتسليم والرضا والقبول
لما بذل لهم وانهاهم ان يتعرضوا للجوشه وقلت لرسولي اجهد السير
فدخلها في عشر فوالله ما ارادوا ذلك ولا قبلوه وقالوا والله لا يدخلها
عنوة ابدا ✽ كتاب يزيد الى أهل المدينة ✽ قال وكتب يزيد الى
أهل المدينة كتابا وأمر عثمان بن محمد يقرأه عليهم فقدم الكتاب
المدينة وعثمان خائف فقرأه عليهم فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم :
أما بعد فاني قد نفستكم حتى أخلفتمكم ورفعتمكم حتى اخرجتمكم ورفعتمكم
على رأسي ثم وضعتكم وايم الله لئن اشرت ان اضعكم تحت قدمي
لا طأنكم وطأة أقل منها عددكم واطر ككم أحاديث تتناسخ كاحاديث
عادو ثمود وايم الله ليا تينكم مني أولى من عقوبي فلا أفلح من ندم
✽ ما اجمع عليه أهل المدينة وراؤه من إخراج بني أمية ✽
قال وذكروا انه لما قرئ الكتاب تكلم عبد الله بن مطيع
ورجال معه كلاما قبيحا فلما استبان لهم ان يزيدا باعنا الجيوش اليهم

أجمعوا على خلافهم واختلفوا في الرئاسة ايهم يقوم بهذا الامر .
فقال قائل ابن مطيع وقال قائل ابراهيم بن نعيم ثم اجتمع رأيهم
ان يقوم بأمرهم ابن حنظلة وهرب عثمان بن محمد منهم ليلا فاحق
بالشام ثم أخذ مروان بن الحكم وكبراء بني أمية فاخرجوهم عن
المدينة فقالوا الشقة بعيدة ولا بدلنا مما يصلحنا ولنا عيال وصبية
ونحن نريد الشام قال فاستنظروا عشرة أيام فانتظروا ثم اجتمع
رأي أهل المدينة ان يحلقوا كبراء بني أمية عند منبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم لئن لقوا جيش يزيد ليردونه عنهم ان
استطاعوا فان لم يستطيعوا مضوا الى الشام ولم يرجعوا معهم
فحلقوا لهم على ذلك وشرطوا عليهم ان يقيموا بذى خشب
عشرة أيام فخرجوا من المدينة وتبعهم الصبيان وسفهاء الناس
يرمونهم بالحجارة حتي انتهوا الى ذى خشب ولم يتحرك أحد
من آل عثمان بن محمد ولم يخرج من المدينة فلما رأت بنو أمية
ما صنع بهم أهل المدينة من اخراجهم منها اجتمعوا الى مروان
فقالوا يا أبا عبد الملك ما الرأي قال من قدر منكم ان يغيب
حريمه فليفعل فانما الخوف على الحرمه فغيبوا حريمهم فأتي
مروان عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن بلغني انك تريد

٣٢٩

الخروج الى مكة وتغيب عن هذا الامر فاحب ان اوجه عيالي معك فقال ابن عمر اني لا أقدر على مصاحبة النساء قال فتجعلهم في منزلك مع حرمك قال لا آمن ان يدخل على حريمي من أجل مكانكم . فكلم مروان على بن الحسين فقال نعم فضعهم على اليه وبعت بهم مع عياله . قال ثم ارتحل القوم من ذي خشب على أقبح اخراج يكون واجتثاث منهم خوفاً ان يبدوا للقوم في حبسهم وجعل مروان يقول لابنه عبد الملك يا بني ان هؤلاء القوم لم يدروا ولم يستشيروا فقال ابنه وكيف ذلك قال اذ لم يقتلونا او يحبسونا فان بعت اليهم بعثنا كنا في أيديهم وما أخوفني ان يفتنوا لهذا الامر فبيعوا في طلبنا فالو حالو حال النجا النجا

﴿ ارسال يزيد الجيوش اليهم ﴾ قال فلما اجمع رأي يزيد على ارسال الجيوش صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أهل الشام فان أهل المدينة اخرجوا قومنا منها والله لئن تقع الخضراء على الغبراء أحب اليّ من ذلك . وكان معاوية قد أوصي يزيد فقال له ان رابك منهم ريب او انتقض عليك منهم أحد فعليك باعور بني مرة ﴿ مسلم بن عقبة ﴾ فدعا به فقال سر الى هذه المدينة بهذه الجيوش وان شئت اغفيتك

٢٣٠

فاني أراك مدنفا منهوكا فقال نشدتك الله ان لا تحرمني اجرا
 ساقه الله الى أوتبعث غيري فاني رأيت في النوم شجرة غرق قد تصيح
 اغصانها يا ثارات عثمان فاقبلت اليها وجعلت الشجرة تقول الى
 يا مسلم بن عقبة فاتيت فاخذتها فعبرت ذلك أن أكون أنا
 القائم بأمر عثمان ووالله ما صنعوا الذي صنعوا الا أن الله أراد
 بهم الهلاك . فقال يزيد فسر على بركة الله فانت صاحبهم فخرج
 مسلم فمسكر وعرض الأجناد فلم يخرج معه أصغر من ابن
 عشرين ولا أكبر من ابن خمسين على خيل عراب وسلاح
 شاك واداة كاملة ووجه معه عشرة آلاف بمير تحمل الزاد
 حتي خرج فخرج معه يزيد فودعه قال له ان حدث بك حدث
 فامر الجيوش الى حصين بن نمير فانهض باسم الله الى ابن الزبير
 واتخذ المدينة طريقاً اليه فان صدوك او قاتلوك فاقتل من
 ظفرت به منهم وانهبها ثلاثاً . فقال مسلم بن عقبة اصلح الله الامير
 لست بأخذ من كل ما عهدت به الا بحرفين قال يزيد وما هما
 ويحك قال اقبل من المقبل الطائع واقتل المدبر العاصي فقال يزيد:
 حسبك ولا تكن البيان لا يضررك والتأ كيد ينفعك فاذا
 قدمت المدينة فمن عافك عن دخولها او نصب لك الحرب

۳۳۱

فالسيف السيف اجهرز على جريحهم واقبل على مدبرهم واياك ان تبقى عليهم وان لم يتعرضوا لك فامض الى ابن الزبير. فمضت الجيوش فلما نزلوا بوادي القرى لقيتهم بنو امية خارجين من المدينة فرجعوا معهم واستخبرهم مسلم بن عقبة عما خلفهم وعما لقوا وعن عددهم فقال مروان عددهم كثير أكثر مما جئت به من الجيوش ولكن عامتهم ليس لهم نيات ولا بصائر وفيهم قوم قليل لهم نية وبصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف وليس لهم كراع ولا سلاح وقد خندقوا عليهم وحصنوا. قال مسلم هذه اشدها علينا ولكننا نقطع عنهم مشربهم ونردم عليهم خندقهم فقال مروان عليه رجال لا يسلّمونه ولكن عندي فيه وجه سأخبرك به قال هاته فقال اطوه ودعه حتى يحضر ذلك قال فدعه اذا. ثم قال لهم مسلم تريدون ان تسيروا الى أمير المؤمنين او تقيموا موضعكم هذا او تسيروا معنا فقال بعضهم نسير الى أمير المؤمنين ونحدث به عهدا، فقال مروان اما انا فراجع فقال بعضهم لبعض قد حلفنا لهم عند المنبر لئن استطعنا ان نرد الجيش عنهم نردهم فكيف بالرجوع اليهم فقال مروان اما انا فراجع اليهم فقال له قوم ما نري ان تفعل فانما تقتلون بهؤلاء

٣٣٢

انفسكم والله لا اكثرنا عليهم لمسلم جمعا ابدا فقال مروان انا
والله ماض مع مسلم الى المدينة فمدرك ثارى من عدوي وممن
اخرجني من بيتي وفرق بيني وبين أهلي وان قتلت بهم نفسي
فلم يرجع مع مسلم من بني امية غير مروان وابنه عبد الملك
وكان مجدورا فجعله بذى خشب. فلما ايقن اهل المدينة بقدم
الجوش اليهم تشاوروا في الخندق وقالوا قد خندق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنخدقوا المدينة من كل نواحيها. ثم جمع عبد
الله بن حنظلة أهل المدينة عند المنبر فقال تبايعوني على الموت
والا فلا حاجة في بيعتكم فبايعوه على الموت ثم صعد المنبر فحمد
الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس انما خرجتم غضبا لدينكم فأبلاوا
الى الله بلاء حسنا ليوجب لكم به الجنة ومغفرته ويحل بكم
رضوانه واستعدوا باحسن عدتكم وتأهبوا باكل اهبتكم فقد
اخبرت ان القوم قد نزلوا بذى خشب ومعهم مروان بن الحكم
والله ان شاء مهلكه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتصايح الناس وجعلوا ينالون منه ويسبونونه
فقال لهم ان الشتم ليس بشيء ولكن نصدقكم اللقاء والله ما
صدق قوم قط الا نصرنا ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم

٣٣٣

انا بك واثقون وعليك متوكلون واليك الجأنا ظهورنا ثم نزل
 وكان عبد الله بن حنظلة لا بيت الا في المسجد الشريف وكان
 لا يزيد على شربة من سويق يفطر عليها الى مثلها من الغد
 ﴿ قدوم الجيوش الى المدينة ﴾ قال وذكروا ان اهل
 الشام لما انتهوا الى المدينة عسكروا بالجرف ومشوا رجالا من
 رجالهم فأخذقوا بالمدينة من كل ناحية لا يجدون مدخلا لانهم
 قد خندقوها عليهم والناس متلبسون السلاح قد قاموا على افواه
 الخنادق وقد حرسوا ان لا يتكلم منهم متكلم وجعل اهل الشام
 يطوفون بها والناس يرمونهم بالحجارة والنبل من فوق الاكام
 والبيوت حتى خرجوا فيهم وفي خيلهم فقال مسلم لروان ابن مقلت
 لي بوادي القرى . فخرج مروان حتى جاء بني حارثة فكلهم رجلا
 منهم ورغبه في الضيعة وقال افتح انا طريقاً فاناً كتب بذلك
 الى أمير المؤمنين ومتضمن لك عنه شطر ما كان بذل لاهل
 المدينة من المطاء وتضعيفه ففتح له طريقاً ورغب فيما بذل له وتقبل
 ما تضمن له عن يزيد فاقتحمت الخيل فجاء الخبر الى عبد الله بن حنظلة
 فاقبل وكان من ناحية الطورين وأقبل عبد الله بن مقطع وكان
 من ناحية ذئاب وأقبل ابن أبي ربيعة فاجتمعوا جميعا بمن معهم

بحيث اقتحم عليهم أهل الشام فاقتلوا حتى عاينوا الموت ثم تفرقوا
﴿ غلبة أهل الشام على أهل المدينة ﴾ قال وذكرنا ان
عبد الله بن أبي سفيان قال وقعت مع قوم عند مسجد بني عبد
الاشهل منهم عبد الله بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقاتل مسيلمة الكذاب ومعه عبد الله بن حنظلة ومحمد
ابن سعد بن أبي وقاص وابراهيم بن فارط وابراهيم بن نعيم
ابن النجار فهم يقاتلون ويقولون للناس أين الفرار والله لئن
يقتل الرجل مقبلا خيره من أن يقتل مدبراً قال فاقتلوا ساعة
والنساء والصبيان يصيحون ويبكون على قتلاهم حتى جاءهم
مالا طاقة لهم به وجعل مسلم يقول من جاء برأس رجل فله
كذا وكذا وجعل ينوي قوما لا دين لهم فقتلوا وظهروا على
أكثر المدينة قال وكان على بشر بن حنظلة يومئذ درعان فلما
هزم القوم طرحهما ثم جعل يقاتلهم وهو حاسر حتى قتلوه
ضربه رجل من أهل الشام ضربة بالسيف قطع منكبه فوقع
ميتاً فلما مات ابن حنظلة صار أهل المدينة كالنعم بلاراع شروء
يقتلونهم أهل الشام من كل وجه فاقبل محمد بن عمرو بن حزم
الانصاري وان جراحه لتنفث دماً وهو يقاتل ويحمل على

٢٣٥

الكرْدوس منهم فيفيض جماعتهم وكان فارساً فحمل عليه أهل الشام حملة واحدة حتى نظموه بالرماح فقال ميتاً فلما قتل انهرم من بقي من الناس في كل وجه ودخل القوم المدينة فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون قال وخرج يومئذ عبد الله بن زيد بن عاصم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيل تسرع في كل وجه قتلاً ونهباً فقبل له لو علم القوم باسمك وصحبتك لم يهجوكم فلو أعلنهم بمكانك . فقال والله لا أقبل لهم أماناً ولا أبرح حتى أقتل لا أفلح من ندم وكان رجلاً أبيض طويلاً اصلع فاقبل عليه رجل من أهل الشام وهو يقول والله لا أبرح حتى أضرب صامتك وهو حاسر فقال عبد الله شر لك خير لي فضربه بفأس في يده فرأيت نوراً ساطعاً في السماء فسقط ميتاً وكان يومه ذلك صائماً رحمه الله . قال فجعل مسلم يطوف على فرس له ومعه مروان بن الحكم على القتلى . فرأى عبد الله بن حنظلة وهو ماد أصبعه السبابة فقال مروان أما والله لئن نصبتها ميتاً فطالما نصبتها حياً داعياً إلى الله ومر على إبراهيم بن نعيم ويده على فرجه فقال أما والله لئن حفظته في الممات لقد حفظته في الحياة ومر على محمد بن عمرو بن حزم

وهو على وجه واضعاً جبهته بالأرض فقال أما والله لئن كنت على وجهك في الممات لطال ما افترشته حياً ساجداً لله فقال مسلم والله ما أرى هؤلاء إلا من أهل الجنة ومر على عبد الله بن زيد وبين عينيه أثر السجود فلما نظرا إليه مروان عرفه وكره أن يعرفه لمسلم فيحز رأسه فقال له مسلم من هذا فقال بعض هذه الموالي وجأوزه فقال له مسلم كلا وبیت الله لقد نكبت عنه لشيء فقال له مروان هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن زيد فقال ذاك اخزي ناكث بيعته حزوا رأسه. وكان قصر بني حارثة أماناً لمن أراد أهل الشام أن يؤمنوه وكان بنو حارثة آمنين ما قتل منهم أحد وكان كل من نادى باسم الأمان إلى أحد من قبيلة أُمَيَّة رجلاً كان أو امرأة ثم ذبوا عنه حتى يبلغوه قصر بني حارثة فاجير يومئذ رجال كثيرة ونساء كثيرة فلم يزالوا في قصر بني حارثة حتى انقضت الثلاث قال واول دور انتهت والحرب قائمة دور بني عبد الأشهل فما تركوا في المنازل من اثاث ولا حلي ولا فراش الا نقض صوفه حتى الحمام والدجاج كانوا يذبجونها فدخلوا دار محمد بن مسلمة فصاح النساء فاقبل زيد بن محمد بن

٣٣٧

مسلمة الى الصوت فوجد عشرة ينيبون فقاتلهم ومعه رجلان من أهله حتى قتل الشاميون جميعا وخلصوا ما أخذ منهم فalcوا متاعهم في بئر لا ماء فيها والقي عليها التراب ثم أقبل نفر من أهل الشام فقاتلوهم أيضا حتى قتل زيد بن محمد أربعة عشر رجلا فضربوه بالسيف منهم أربعة في وجهه . ولزم أبو سعيد الخدري في بيته فدخل عليه نفر من أهل الشام فقالوا أيها الشيخ من انت فقال أنا أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما زلنا نسمع عنك فبحظك أخذت في تركك قتالنا وكفك عنا ولزوم بيتك ولكن أخرج إلينا ما عندك قال والله ما عندي مال فتنفوا لحيته وضربوه ضربات ثم أخذوا كلما وجدوه في بيته حتى الصوم وحتى زوج حمام كان له . وكان جابر بن عبد الله يومئذ قد ذهب بصره فجعل يمشي في بعض أزقة المدينة وهو يقول تعس من أخاف الله ورسوله فقال له رجل ومن أخاف الله ورسوله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي . فجعل عليه رجل بالسيف ليقتله فترامى عليه مروان فاجاره وأمران يدخله منزله ويغلق عليه بابه . وكان سعيد بن المسيب رحمه الله

(٢٢)

لم يبرح من المسجد ولم يكن يخرج الا من الليل الى الليل وكان يسمع اذا جاء وقت الاذان اذانا يخرج من قبل القبر الشريف حتى آمن الناس فكان سعيد يقول ما رأيت خيراً من الجماعة ثم أمر مسلم بالاساري فقلوا بالحديد ثم دعا الى بيعة يزيد. فكان اول من بايع مروان بن الحكم ثم اكابر بني أمية حتى أتى على آخرهم ثم دعا بني أسد وكان عليهم حنقاً فقال أتبايعون لعبد الله يزيد بن أمير المؤمنين ولمن استخلف عليكم بعده على ان أموالكم ودماءكم وأنفسكم خول له يقضي فيها ما شاء. فقال يزيد بن عبد الله بن زمعة: انما نحن نفر من المسلمين لنا ما لهم وعلينا ما عليهم فقال مسلم والله لا أقبل ولا تشرب البارد بعدها أبداً فأمر به فضربت عنقه. ثم أتى بمعقل بن سنان وكان معقل حاملاً لواء قومه يوم الفتح مع رسول الله فلما دخل عليه قال له أعطشت يامعقل قال نعم أصلح الله الأمير قال حوصوا له شربة من سويق اللوز الذي زودنا به أمير المؤمنين فلما شربها قال له رويت قال نعم فقال مسلم أما والله لا تبولها من مثانتك أبداً فقدم فضربت عنقه ثم قال ما كنت لادعك بعد كلام سمعته منك تطعن به على امامك وكان معقل قد طعن بعض

٢٣٩

الطمع على يزيد قبل ذلك فيما بينه وبين مسلم على الاستراحة بذلك ثم أمر بمحمد بن أبي الجهم وجماعة من وجوه قريش والانصار وخيار الناس والصحابة والتابعين ثم أتى بعبد الله ابن الحارث مغلولاً فقال مسلم أنت القاتل اقتلوا سبعة عشر رجلاً من بني أمية لاتروا شراً أبداً قال قد قاتها ولكن لا يسمع من أسير أمر أرسل يدي وقد برئت مني الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه وأيم الله لو أطاعوني ماأشرت به عليهم ما تحكمت فيهم أنت أبداً فقال له مسلم والله لا قدمنك الى نار تلظى ثم أمر به فضربت عنقه فقال مروان قد والله سقيتني من دماء هؤلاء القوم الا ما كان من قريش فانك أئمنتها وأفنيتها فقال مسلم والله لا أعلم عند أحد غشاً لامير المؤمنين الا سألت الله ان يسقيني دمه فقال ان عند أمير المؤمنين عفواً لهم وحلماً عنهم ليس عندك . وجعل مروان يعتذر الى قريش ويقول والله لقد أساءني قتل من قتل منكم فقالت له قريش أنت والله الذي قتلتنا ما عذرك الله ولا الناس لقد خرجت من عندنا وحلفت لنا عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لتردناهم عنا فان لم تستطع لتمضين ولا ترجع معهم

فرجعت ودلت علي العورة وأعنت علي الهلكة قاله لك
بالجزاء . قال فبلغ عدة قتلى الحرة يومئذ من قريش والانصار
والمهاجرين ووجوه الناس الف وسبعمائة وسائرهم من الناس
عشرة آلاف سوي النساء والصبيان . قال أبو معشر دخل
رجل من أهل الشام علي امرأة نساء من نساء الانصار
ومعها صبي لها فقال لها: هل من مال قالت لا والله ما تركوا
لي شيئاً فقال والله لتخرجن الي شيئاً أو لأقتلنك وصبيك
هذا فقالت له ويحك انه ولد ابن أبي كبشة الانصاري صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بايعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم معه يوم بيعة الشجرة علي ان لا أذني ولا أسرق
ولا أقتل ولدي ولا آتي بهتان افتريه فما أتيت شيئاً فاتق الله .
ثم قالت لا بنها يا بني والله لو كان عندي شئ لاقتديتك به قال
فاخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها فضرب
به الحائط فانتثر دماغه في الارض قال فلم يخرج من البيت
حتي اسود نصف وجهه وصار مثلاً . قال أبو معشر قال لي رجل
بيننا انا في بعض أسواق الشام فاذا برجل ضخم فقال لي ممن
أنت قلت رجل من أهل المدينة قال من أهل الخبيثه قال فقلت

٣٤١

له سبحانه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وسميتها خيثة قال فبكي فقلت له ما يبكيك قال العجب والله: كنت اغزو الصائفة كل عام زمن معاوية فأثيت في المنام فقبل لي انك تغزو المدينة وتقتل فيها رجلاً يقال له محمد بن عمرو بن حزم وتكون بقتله من أهل النار. قال فقلت ما هذا من شأن المدينة ولا يقع في نفس مدينة الرسول قال فقلت لعلها بعض مدائن الروم فكنت أغزو ولا أسل فيها سيفاً حتى مات معاوية وولى يزيد فضرب بعث المدينة فاصابتني القرعة قال فقلت هي هذه والله فاردت ان يأخذوا مني بديلاً فابوا فقلت في نفسي أما اذا أبوا فاني لا أسل فيها سيفاً. قال فحضرت الحرة فخرج أصحابي يقاتلون وجلست في فسطاطي فلما فرغوا من القتال جاءنا أصحابنا فقالوا دخلنا وفرغنا من الناس. فقال بعض أصحابي لبعض تعالوا حتى ننظر الى القتلى فتقلدت سيفي وخرجت فجعلنا ننظر الى القتلى ونقول هذا فلان وهذا فلان فاذا رجل في بعض تلك الدارات في يده سيف وقد أزيد شدقاه وحوله صرعي من أهل الشام فلما أبصرني قال يا كلب أحقن عني دمك قال فنسيت والله كل شيء فحملت عليه فقاتلته فقتلته فسطع نور بين عينيه

وسقط في يدي قلت من هذا فقيل لي هذا محمد بن عمرو بن حزم فجعلت ادور مع أصحابي فيقولون هذا فلان وهذا فلان فمر انسان لا يُعرف فقال من قتل هذا ويحكم يريد محمد بن عمرو بن حزم قتله الله والله لا يرى الجنة بعينه أبداً

﴿ عدة من قتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم ﴾ قال وذكروا انه قتل يوم الحرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلاً ولم يبق بدري بعد ذلك ومن قريش والانصار سبعمائة ومن سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف وكانت الواقعة في ذي الحجة لثلاث بقين منها سنة ثلاث وستين . قالوا وكان الناس يعجبون من ذلك ان ابن الزبير لم يصلوا اليه الا بعد ستة أشهر ولم يكن مع ابن الزبير الا نفر قليل وكان بالمدينة أكثر من عشرة آلاف رجل والله ما استطاعوا ان يناهضوهم يوماً الى الليل

﴿ كتاب مسلم بن عقبة الى يزيد ﴾ قال وذكروا ان مسلماً لما فرغ من قتال أهل المدينة ونهبها كتب الى يزيد بن معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم: لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين من مسلم بن عقبة سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فاني

٣٤٣

أحمد الله اليك الذي لا اله الا هو أما بعد تولى الله حفظ أمير المؤمنين والكفاية له فاني أخبر أمير المؤمنين أبقاه الله اني خرجت من دمشق ونحن على التعبئة التي رأي أمير المؤمنين يوم فارقنا بوادي القرى فرجع معنا مروان بن الحكم وكان لنا عوناً على عدونا وانا انتهيينا الى المدينة فاذا أهلها قد خندقوا عليها الخنادق وأقاموا على انقابها الرجال بالسلح وأدخلوا ماشيتهم وما يحتاجون لحصارهم سنة فيما يقولون وانا اعذرنا اليهم وأخبرناهم بعد أمير المؤمنين وما بذل لهم فأبوا ففرقت أصحابي على أفواه الخنادق فوليت الحصين بن نعيم ناحية ذئاب وما والاها عليها الموالي ووجهت حبيش بن دجلة الى ناحية بني سلمة ووجهت عبد الله بن مسعدة الى ناحية بقيع الفرقد وكنت ومن معي من قواد أمير المؤمنين ورجاله في وجوه بني حارثة فأدخلنا الخيل عليهم حين ارتفع النهار من ناحية عبد الاشهل بطريق فتحه لنا رجل منهم بما دعاه اليه مروان بن الحكم الى صنع أمير المؤمنين وقد تضمن له عنه من قرب المكان وجزيل العطاء والى الحاق وقضاء الدمام وقد بعثت به الى أمير المؤمنين وارجو من الله عز وجل ان يلهم خليفه وعبداه عرفان ما

أولى من الصنع وأسدى من الفضل وكان أكرم الله أمير المؤمنين من محمود مقام مروان بن الحكم وجميل مشهده وشديد بأسه وعظيم نكايته لعدو أمير المؤمنين مالا خال ذلك ضائعاً عند امام المسلمين وخليفة رب العالمين ان شاء الله . وسلم الله رجال أمير المؤمنين فلم يصب منهم أحد بمكروه ولم يقم لهم عدوهم ساعة من ساعات نهارهم فما صليت الظهر أصلح الله أمير المؤمنين الا في مسجدهم بعد القتل الذريع والانتهاك العظيم وأوقعنا بهم السيوف وقتلنا من أشرف لنا منهم وأتبعنا مدبرهم وأجهزنا على جريحهم واتهبناها ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين أعز الله نصره وجعات دور بني الشهيد المظلوم عثمان ابن عفان في حرز وأمان فالحمد لله الذي شفا صدري من قتل أهل الخلاف القديم والنفاق العظيم فطالما عتوا وقديماً ما طغوا وكتب الى أمير المؤمنين وأنا في منزل سعيد بن العاص مدنفاً مريضاً ما أراني الا لما بي فما كنت أبالي متى مت بعد يومي هذا وكتب لهلal الحرم سنة ثلاث وستين . فلما جاءه الكتاب أرسل الى عبد الله بن جعفر والى ابنه معاوية بن يزيد فقرأهما الكتاب فاسترجع عبد الله بن جعفر واكثر وبكى معاوية

٣٤٥

ابن يزيد حتي كادت نفسه ان تخرج وطال بكأؤه فقال يزيد
 لعبد الله بن جعفر ألم أجبك الى ما طلبت وأسعفتك فيما سألت
 فبذلت لهم العطاء واجزلت لهم الاحسان واعطيت اليهود
 والمواثيق على ذلك . فقال عبد الله بن جعفر من هنالك استرجعت
 وتأسفت عليهم اذ اختاروا البلاء على العافية والفاقة على النعمة
 ورضوا بالحرمان دون العطاء ثم قال يزيد لابنه معاوية : فما بكأؤك
 انت يا بُني قال ابكي على قتل من قتل بهم وانما قتلنا بهم أنفساً
 فقال يزيد هو ذاك قتلت بهم نفسي وشفيتها . قال وسأل مسلم
 ابن عقبة قبل ان يرتحل عن المدينة عن علي بن الحسين احاضر
 هو فقيل له نعم فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه فرحب بهما
 وسهل وقرب وقال ان أمير المؤمنين أوصاني بك فقال علي
 ابن الحسين وصل الله أمير المؤمنين واحسن جزاءه ثم انصرف
 عنه . ولم يكن أحد نصب للحرب من بني هاشم ولزموا بيوتهم
 فسلموا الا ثلاثة منهم تعرضوا للقتال فاصيبوا

﴿ موت مسلم بن عقبة ونبشه ﴾ قال وذكروا ان مسلم
 ابن عقبة ارتحل عن المدينة وهو يجود بنفسه يريد ابن الزبير بمكة
 فنزل في بعض الطريق فدعا الحصين بن نمير فقال له يا برذعة الحمار

انه كان من عهد أمير المؤمنين ان حدث بي حدث الموت ان أعهـد اليك فاسمع فاني بك عالم لا تمكن قريشاً من أذنك اذ قدمت مكة فانما هو الوقاف ثم الثفاف ثم الانصراف . ثم مات فدفن في ثنية المشلل^(١) فلما تفرق القوم عنه أته ام ولد ليزيد بن عبد الله ابن زمعة وكانت من وراء العسكر تترقب موته فنبشت عنه فلما انتهت الى لحدّه وجدت أسود من الاساود منظوياً في رقبته فاتحماً فاه فتهيته ثم لم تزل به حتى تنحى لها عنه فصلبته على المشلل . قال : الضحاك : فحدثني من رآه يرعى كما يرعى قبر ابي رغال^(٢)

﴿ فضائل قتلى أهل الحرة رحمهم الله تعالى ﴾ قال وذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في سفر من أسفاره فلما صر ببحرة بنى زهرة وقف فاسترجع فقالوا ما هو يا رسول الله قال : يقتل في هذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي . قال وذكروا ان عبد الله بن سلام وقف بالحرّة زمان معاوية بن أبي سفيان

(١) المشلل جبل يهبط منه الى قديد (٢) ابورغال كنيته واسمه زيد بن مخلف بن ثمود و قيل كان رجلاً عشاراً جائراً فقبره يرمي الى اليوم وقبره بين مكة والطائف . قال جرير :

اذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

٣٤٧

فقال أجد في كتاب يهود الذي لم يبدل ولم يغير أنه يكون ههنا
مقتلة قوم يحشرون يوم القيامة واضمى سيوفهم على رقابهم حتي
يأتوا الرحمن تبارك وتعالى فيقفون بين يديه فيقولون قتلنا فيك .
قال وذكروا عن داود بن الحصين قال عندنا قبور قوم من
قتلى الحرة فقل ما حرُكت الا فاح منها ريح المسك . وقال بعضهم
عن عبدالله بن أبي سفيان عن أبيه قال رأيت عبدالله بن حنظلة
في منامى بأحسن صورة معه لواؤه فقلت يا أبا عبد الرحمن أقتلت
قال بلى فلقيت ربي فادخلني الجنة فانا أسرح في ثمارها حيث
شئت قلت فاصحابك فما صنع بهم قال هم معي وحول لوائي هذا الذي
ترى لم تحل عقده بعد . وقال الاعرج كان الناس لا يلبسون
المصبوغ من الثياب قبل الحرة فلما قتل الناس بالحرة استحبوا ان
يلبسوها وقد مكث النوح في الدور على أهل الحرة سنة لا يهدؤن .
وقال عبد الله بن أبي بكر كان أهل المدينة أعز الناس وأهيبهم
حتي كانت الحرة فاجترأ الناس عليهم فهانوا . قال الزهري بلغ القتل يوم
الحرة من قريش والانصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس سبعمائة
وسائر الناس عشرة آلاف من اخلاط الناس والموالي والعبيد
وأصيب نساء وصبيان . وكان قدوم أهل الشام المدينة لثلاث بقين .

من ذي الحجة سنة ثلاث وستين فانتبهوها ثلاثا حتى رأوا هلال
 المحرم ثم أمسكوا بعد ان لم يبقوا أحدا به رمق . وقتل بها من أصحاب
 النبي صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بعد ذلك بدري . وقالوا
 قال عيسى بن طلحة : قلت لعبد الله بن مطيع ^(١) كيف نجوت يوم
 الحرة ؟ قال : رأيت مارأيت من غلبة أهل الشام وصنع بني حارثة
 الذي صنعوا من إغلاهم علينا أهل الشام فذكرت قول الحارث
 ابن هشام ^(٢) يوم بدر وعلمت ان لا يضر عدوي مشهدي ولا
 ينفع وليي فتواريت ثم لحقت بابن الزبير وكنت أعجب كل العجب
 ان ابن الزبير لم يصلوا اليه ستة أشهر ولم يكن معه الا نفر يسير
 قوم من قریش من الخوارج وكان معنا يوم الحرة القارجل كلهم
 خوو حفاظ فما استطعنا ان نجسهم يوما الى آخر الليل .
 (تم الجزء الاول من كتاب الامامة والسياسة ويليه الجزء الثاني)

(١) هو الذي قتل في أيام عبد الملك وجعل يقاتل أهل الشام ويقول :

أنا الذي فررت يوم الحرة والشيخ لا يفر الا مره
 قال يوم أجزى كرة بفره لا بأس بالكرة بعد الفره

(٢) وقول الحارث من أحسن ما اعتذر به في الفرار وهو :

والله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهري بأشقر مزبد
 خسرقت عنهم والاحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

كِتَابُ

الْأَوَّلِ مِلَالًا

تأليف

(الامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم)

(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

الجزء الثاني

اعتني بطبعه وتصحيحه وشرح بعض مسائله مع كلماته اللغوية

محمود الفخري

(حقوق الطبع محفوظة)

مطبعة النيل بشارع محمد علي بدار النجعة بمصر

To: www.al-mostafa.com

jabir.abbas@yahoo.com